المبرّد ناقداً

إعداد
رباب محمّد عبد الرّحمن لافي

المشرف
الدكتور عبد الكريم الحياري

قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربيّة وآدابها

كليّة الدراسات العليا
الجامعة الأردنيّة
2009

نوقشت هذه الرسالة (المبرّد ناقداً) وأجيزت بتاريخ 8/4 /2009 م

أعضاء لجنة المناقشـــــــــة	التوقيـــــــــــــــع
الدكتور عبد الكريم الحياري، مشرفاً أستاذ مشارك– البلاغة والنقد القديم	....
الدكتور ياسين عايش خليل، عضواً أستاذ مشارك– أدب عباسي	....
الدكتورة سهى فتحي نعجة، عضواً أستاذ مشارك– الصّرف والمعجميات	....
الدكتور فايز القرعان، عضواً أستاذ مشارك – البلاغة العربية (جامعة اليرموك)	....

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره لعظيم فضله، فإنّني ما كنت بالغة ما بلغت إلاّ بفضله وكرمه. ثمّ أتوجه بعظيم تقديري إلى أستاذي الفاضل الدّكتور" عبد الكريم الحياري"، بحر العلم والمعرفة الذي أشرف على هذا العمل المتواضع؛ فبفضل توجيهاته ودقته كان هذا الجهد، وأسأل الله أن يمنّ عليه بالصّحة والعافية.

كما أتقدّم بخالص التّقدير لأعضاء لجنة المناقشة؛ لتفضّلهم بمراجعة هذه الدّراسة استدراكاً لنقصها، وإسهاما في تكميل فائدتها، فلهم جميعاً كلّ الاحترام، ووافر الأجر والثواب من الله عزّ وجل.

كما لا أنسى أن أشكر أساتذتي الذين نهلت من علومهم في جامعتي العزيزة، التي تبنّتني في سنواتي الدراسيّة الأولى، واحتضنتني طالبة في الدراسات العليا، وأخصّ بالذكر الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور جاسر أبو صفية على الدعم الذي قدماه.

وأخيراً أتقدّم بالشّكر لكلّ من ساعدني ولو بكلمة، وأخصّ بالذكر صديقتيّ عريب عيد وعائشة الملاّح.

إهداء

إلى من كانا سبباً في وجودي بعد الله

إلى والديّ الكريمين

إلى من كان سبباً في استمراري

زوجي الحبيب

إلى الذين حقّوني بحبّهم وتفهمهم

أبنائي الأعزاء

فهرس المحتويات

قرار لجنة المناقشة..... ب
شكروتقدير ..... ج
إهداء ..... د
فهرس المحتويات..... هـ
الملّخص..... ح
المقدّمة 1
التمهيد:..... 5
أوّلا : التعريف بالمبرّد: 5
اسمه:..... 5
مولده ووفاته:..... 5
كنيته ولقبه:..... 5
مذهبه العلمي: 6
شيوخه:..... 6
تلاميذه:..... 8
اتصاله بأمراء عصره: 9
ثانيا: آثاره العلمية و الأدبية:..... 10
ثالثاً: نظرة الآخرين إلى المبرّد : 16
أولا: رأي القدماء فيه:..... 16
ثانياً: رأي المحدثين فيه:..... 19
رابعا: المبرّد وبعض ما اشترط النّقاد في النّاقد..... 22
الفصل الأوّل: منهج المبرّد في النّقد الأدبي 33
أوّلا : الموازنة عند المبرّد..... 35

- أسس الموازنة عند المبرّد :..... 35
- مظاهر الموازنة عند المبرّد :..... 36
- الموضوعيّة في الموازنة :..... 41
ثانيا: أنواع النّقد عند المبرّد..... 51
أ.النّقد اللغوي عند المبرّد :..... 51
ب.النّقد الفنّي عند المبرِّد..... 55
ج- النقد التوثيقي:..... 59
د- نقد يهتم بأثر البيئة في لغة الشّعر:..... 68
الفصل الثّاني: قضايا نقديّة عامّة..... 71
أوّلا : الطبع و التكلف..... 71
- الشّاعر المطبوع عند المبرّد:..... 71
- التّكلّف عند المبرّد:..... 76
ثانياً : اللفظ و المعنى عند المبرّد..... 80
ثالثاً: السّرقات الشّعريّة..... 90
أولا: تداول المعنى..... 90
أ- ابتداع المعنى..... 91
ب- المماثلة و المشاكلة و النظير..... 94
ج- الطرافة..... 99
ثانياً: أنواع السرقات عند المبرّد:..... 100
رابعاً: الصّراع بين القديم و الحديث:..... 113
- ذوق المبرّد:..... 114
الفصل الثالث: نقد المعنى عند المبرد..... 121
أ- مقاييس المعنى:..... 122
ب- الأغراض الشعريّة:..... 147

الفصل الرّابع: نقد الأسلوب..... 185

1- دراسة المفردات وبعض مقاييسها 186

2- تنميق الأسلوب..... 192

3- الأسلوب والمخاطب..... 195

4- المؤاخاة..... 198

أ-المؤاخاة بين المعاني:..... 199

ب-المؤاخاة بين الألفاظ :..... 201

ج- المؤاخاة بين اللفظ والمعنى:..... 202

5- وحدة النسج 203

6- الاختصار والاطناب..... 203

الخاتمة..... 209

المصادر والمراجع..... 215

الملخص باللغة الإنجليزية..... 229

المبرّد ناقداً

إعداد

رباب محمد عبد الرحمن لافي

المشرف

الدكتور عبد الكريم الحياري

ملخّص

تبرز الدّراسة دور المبرّد في نقد القرن الثالث الهجريّ، وذلك من خلال توضيح منهجه في النقد، وتبيان المصطلحات النقديّة التي استخدمها، والقضايا النقدية التي تناولها، كما تتناول الدّراسة نقد المعنى بالبحث والتطبيق، ونقد الأسلوب عند المبرّد؛ في محاولةٍ لوضع المبرد في المكان المناسب بين نقاد عصره.

كما يعتمد البحث الدراسة المتأنيّة لكتب المبرّد الموجودة بين أيدينا، وهي:البلاغة، والفاضل، والكامل في اللغة والأدب، والقوافي وما اشتقت ألفاظها منها، والتّعازي والمراثي، وما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم، ورسالة في أعجاز أبيات تغني في التّمثيل عن صدورها، والبحث عمّا ورد في هذه الكتب من آراء وملاحظات نقديّة قالها المبرّد صراحة، أونقلها عن غيره، وظهرت موافقته عليها، في محاولة لشرح هذه الآراء والملاحظات وتوضيحها، وإعادة بنائها على نحو تتبيّن معه معالم الرّؤية النّقديّة.

وقد أفادت الباحثة من الأقوال التي نسبت للمبرّد، ووردت في كتب غيره من المعاصرين واللاحقين له، كما أفادت من الاقتباسات التي أخذت من مؤلّفات المبرّد المفقودة فيما ورد في المصادر العربيّة القديمة.

وخلصت الدّراسة إلى القواعد التي شارك بها المبرّد في ميدان النقد الأدبي؛ وذلك من الدراسة التحليلية لكتب المبرّد، وجمع ما ورد فيها، وفي غيرها من لفتات المبرّد النقديّة، في محاولة لاستنطاقها وردّها إلى مصطلحات نقديّة معروفة، مع محاولة تفهّم ما بنى عليه المبرّد اختياراته الشّعريّة.

فللمبرّد دورٌ بارزٌ في النقد الأدبي مثل غيره من معاصريه، ولم يكن المبرّد أقلّ منهم من حيث المعالجة النقديّة، فقد كان مشاركًا في مسائل نقديّة عديدة ، كما ظهرت عنده مصطلحات نقديّة حاول البحث توضيح مفهومها، وكان للفتاته النّقديّة المتناثرة في مؤلّفاته ما

أظهر فكره النّقدي، وجهوده في قضايا نقدية عديدة من قضايا النقد في القرن الثّالث، التي أفاد منها من أتى بعده، كما برز موقفه واضحاً من قضية اللفظ والمعنى، والطّبع والتكلّف، والقديم والحديث، والسّرقات الشّعريّة، كما كان له آراء في نقد الأسلوب ونقد المعنى.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدّمة

تعود معرفتي بالمبرّد عندما طلب إليّ أستاذي عبد الكريم الحياري، حفظه الله، أن أبحث في المنهج النّقدي عند المبرّد في كتابه الكامل، وكان هذا في مادة النقد العربي القديم، وفي أثناء عملي لاحظت وجود الكثير من اللفتات النقديّة في هذا المؤلّف، ومع هذا فقد جرى المؤرخون للنّقد الأدبي على أن يهملوا المبرّد، وإن ذكروه مرّوا بمؤلفاته مرورًا عابرًا.

كان عملي حينها بحثاً في مؤلّف واحد للمبرّد، فشعرت بأنّي لم أوف الموضوع حقّه، وذلك لضيق الوقت وحجم العمل الكبير، فبقي الموضوع يجول في خاطري؛ وخاصّة بعد اطّلاعي على كتب المبرّد الأخرى مثل الفاضل، والتعازي والمراثي، فهما لا يقلاّن أهميّة عن كتاب الكامل فيما يحملانه من لفتات نقديّة.

تناولت الدّراسة شخصيّة المبرّد ناقدًا في آثاره التي يُستحق الوقوف عليها ودراستها بشكل عميق؛ لكونها محاولة لربط آرائه النّقدية المتناثرة في مؤلفاته وغيرها، بالقضايا النّقدية المعروفة في النّقد العربيّ. فقد عاش المبرّد في القرن الثالث، وهو القرن الذي وضعت فيه الأصول الأولى للمذاهب النقدية المختلفة، وحدّدت الأسس التي بنيت عليها دراسة الأدب والنظر فيه، وكانت هذه المدّة الزمنية على جانب كبير من الأهمية في التاريخ النقديّ، وكان للغويين دور في هذا النقد، فقاموا بدراسة فنون القول بلاغيًا ونقديًا إلى جانب دراستهم للغة، وظهرت بعض الكتب النقدية التي تناولت الحديث عن بعضهم، و ثمة آخرون لم تنصفهم الدراسات أو تظهر جهودهم في النقد، وكان المبرّد أحد هؤلاء، فبعض الدّارسين لآثار هؤلاء اللغويين عدّوهم لغويين فحسب، واهتموا بنتاجهم النحوي والصرفيّ واللغوي، ولم يشيروا إلى جهودهم النّقدية.

ومع القيمة النقديّة التي نلحظها في كتب المبرّد الموجودة بين أيدينا، حيث تكثر فيها اللّمحات النقدية، إلاّ أنّ المبرّد لم ينل ما يستحقّ من عناية الباحثين، ولم يأخذ حقه من الدّراسة.

بدأت عملي بجمع ما ورد من لفتات نقديّة في ثنايا كتب المبرّد المطبوعة التي بين أيدينا، وما ورد من هذه اللفتات في مؤلّفات الآخرين ولم تُذكر في مؤلّفاته، وكان هذا أكثر ما كان في أمهات الكتب ، فمع كثرة مؤلّفات المبرّد إلاّ أنّه لم يخلّف كتاباً مخصّصاً في موضوع النّقد الأدبي، ثم قمت بمحاولة ترتيب هذه الآراء وتصنيفها، بعد محاكمتها وغربلتها.

وكان العمل أكثر صعوبة؛ لأنّ المساحة التي خصّصت للمبرّد في الكتب التي تتناول تاريخ النّقد الأدبي لم تكن كافية لدراسة آرائه النّقدية على نحو تفصيلي، حيث لم يتناول أحد من

الباحثين المبرّد ناقدًا بشكلٍ مفصّل وعميق، وكانت أقرب دراسة لموضوع الرّسالة ما كتبه علي محمد حسن العماري في بحثه "مذهب المبرّد في النقد الأدبي"[1] .

كما أنّ منهج المبرّد النّقدي لم يكن واضحا في مؤلّفاته، وكان جمع ما ورد عنده من لفتات نقدية محاولة لإنصاف هذا الرّجل، ووضعه في المرتبة النّقدية التي يستحق.

وقد واجهتني مشكلة عدم تبلور المصطلح النقدي في زمن الدّراسة – القرن الثالث الهجري– فقد تداخلت المصطلحات النقدية والبلاغية بشكل واضح؛ إذ كانت مباحث البلاغة والنقد في هذا العصر مختلطة ومتداخلة. فقد "عاش النقد والبلاغة مختلطين منذ أقدم عصورهما، لاتفاقهما في الغرض وهو تحقيق القوة والصدق والجمال في الأداء والتعبير الأدبي، وعلى هذا فموضوع هذين الفنين واحد "[2]. فالبلاغة العربية ملازمة للنقد، وهو ملازم لها، يؤكّد هذا أنّ " المتقدمين يشيرون إلى تسمية علم البلاغة وتوابعها بعلم (نقد الشعر)، و(صنعة الشعر)، و(نقد الكلام)"[3].

وهذا التلازم بينهما جعل تخصيص فصل يتناول المصطلحات النقديّة عند المبرّد غير كاف؛ فأغلب المصطلحات التي ظهرت عنده، وكان له رأي واضح فيها كانت مصطلحات بلاغية، وإن ظهرت بعض المصطلحات النقدية عنده فهي محدودة، ولم يظهر قصده فيها واضحاً؛ وذلك لكونه لم يورد المصطلحات النقدية مع تعريفات واضحة لها دائماً، فإن أشار إلى بعضها وعرّفها، فإنّه يشير إلى بعضها الآخر دون تعريف.

وقد حاولت تبيّن ما أراد المبرّد في تعريفات أوردها دون ذكر مصطلح لها، وكان هذا بمقارنة ما جاء عنده من تعريف مع ما جاء عند غيره، في محاولة التوصّل إلى قصده بهذا التعريف، بعد أن أبقيت هذه التعريفات في مكانها من البحث.

كما واجهتني مشكلة ورود أكثر من تعليق من المبرّد في البيت الشعري الواحد، ممّا جعل عدم تكرار الأبيات الشّعريّة صعباً أحياناً؛ وذلك لأنّ هذه التعليقات النقدية في مباحث

---

[1] انظر العماري، علي محمد حسن، **مذهب المبرّد في النّقد الأدبي، مجلة رسالة الإسلام**، مطبوعات المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، السنة السابعة : العدد 25، ص77 وما بعدها، عبر الشبكة الالكترونية :
http://www.taghrib.org/arabic/nashat/esdarat/kotob/arabic/books/resalatalislam/07/25/10.htm

[2] طه، هند حسين، **النظرية النقدية عند العرب**، ط:1، دار الرشيد ، العراق، 1981م، ص111.

[3] الخولي، أمين، **منهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ط:1، دار المعرفة،1961م، ص93.

مختلفة، فاكتفيت بتوثيق البيت في المرّة الأولى التي يذكر فيها، وحين يذكر البيت في غير مرّة من البحث أشير إلى موقعه الأوّل من البحث.

وقد كانت غاية الدّراسة بحث الفكر النّقدي للمبرد، بذكر ما ورد عند المبرّد، ثمّ تحليله وفهم غرض المبرّد من ذكره، مع محاولة توضيح منهجه، بمقارنة ما ورد عنده من لفتات نقديّة بما ورد عند غيره، للوقوف على رأيه في القضايا النقديّة المعروفة في عصره.

وقد حاولت الدّراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- **ما معالم المنهج النقدي عند المبرّد؟**
- **هل كان المبرّد معلّلاً لأحكامه النّقديّة دائماً؟**
- **ما المصطلحات النّقدية التي ظهرت عند المبرّد؟**
- **ما رأي المبرّد في بعض القضايا النقدية ؟**
- **ما آراء المبرّد في نقد االمعنى؟**
- **ما آراء المبرّد في نقد الأسلوب؟**

وتتألّف هذه الدّراسة من تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، تناول التمهيد تعريفا بالمبرّد: حياته، ووفاته، وتلاميذه، وشيوخه، ورأي الآخرين فيه، ثمّ مؤلّفاته: المطبوع منها والمفقود. ثم بيان بعض ما اشترط النقاد في الناقد ومدى تحقيق المبرّد لهذه الشروط من ثقافة، ومعرفة لغوية، ورواية للشّعر ونظمه، ومن خبرة بالأدب الذي ينقده؛ لما لهذه الأمور من تأثير في تذوق المبرّد النصوص، وتنمية مهاراته النقديّة.

وقد تناول **الفصل الأول** منهج المبرّد في النقد الأدبي، وأنواع النقد التي تناولها.

وأما **الفصل الثّاني** فقد تناول قضايا نقدية عامّة وردت عند المبرّد، ثم بيان رأيه فيها، وربط رأيه برأي غيره من النقاد السابقين عليه أو اللاحقين له.

وكان **الفصل الثالث** نقد المعنى عند المبرد، فيه إسهاب في بعض المواضع وإيجاز في أخرى، وهذا حسب اهتمام المبرّد بها ووفرة لفتاته النقدية فيها، التي وردت في مؤلّفاته أو في مؤلّفات غيره ونسبت له، أو من أقوال نقدية لغيره أوردها في مؤلّفاته، ولم يعترض عليها.

وأمّا **الفصل الرّابع** فقد كان في نقد الأسلوب عند المبرّد، وما ظهرعنده من مقاييس للمفردات، وعناية بتنميق الأسلوب، والمؤاخاة، وعنايته بوحدة النّسج، وبالإطناب والاختصار كأسلوب من الأساليب التي أخذت عناية كبيرة من الباحثين، ثمّ ا **لخاتمة** التي بيّنت فيها أهمّ النتائج التي انتهت إليها الدّراسة.

وبعد، فقد حاولت هذه الدّراسة بيان جهد علم من أعلام القرن الثّالث الهجريّ أسهم مساهمة واضحة في نقد أدب ذلك القرن، فأسأل الله التّوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

أوّلا : التعريف بالمبرّد:

اسمه:

هو أبو العبّاس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن أسلم بن ثمالة[1].

مولده ووفاته:

ولد المبرّد يوم الاثنين، غداة عيد الأضحى سنة عشر ومئتين، وقيل ولد سنة سبع ومائتين. أمّا وفاته فقد كانت سنة خمس وثمانين ومائتين [2].

كنيته ولقبه:

كنية محمد بن يزيد أبو العباس، ولقبه المبرّد، بضم الميم وفتح الباء الموحدة، والرّاء المشدّدة وبعدها دال مهملة [3]، وقد اختلف في حركة الرّاء فقيل: (المبرِّد) بكسرها، وقيل (المبرَّد) بفتحها.

عرف المبرّد بهذا اللقب، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك، فقد ذكرت كتب الأخبار والتراجم روايات كثيرة، منها:

قيل : " لمّا انتهى المازني من تأليف كتاب (الألف واللام)، سأل أبا العباس عن دقيقه وعويصه، فأجابه بأحسن جواب فقال له (المازني): قم فأنت المبرِّد، أي المثبت للحق"[4].

وهناك رواية أخرى يذكرها المبرّد نفسه، وتتلخص في أنه اختبأ من صاحب الشرطة الذي جاء يطلبه عند أبي حاتم السجستاني، وبعد أن بحث رسول صاحب الشرطة عنه في دار

---

[1] انظر ابن النديم ، أبو الفرج بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق (ت:380)، **الفهرست من أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، ط:3، (تح/ رضا تجدّد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني)، مكتبة الأسدي، طهران، 1971م، ص 6.

[2] انظر ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .(ت: 681 هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، ط:2، (تح/إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1978م، 4 /319.

[3] انظر المصدر نفسه، 4/321.

[4] الحموي، معجم الأدباء، 7/81

السجستاني لم يعثر عليه، فقد كان مختبئًا في مزملة [1]، ثمّ أخذ السجستاني ينادي عليه يا مبرَّد يا مبرَّد؛ فسمع الناس بهذا اللقب فلهجوا به [2].

وقد استغلّ بعضهم لقب المبرّد بفتح الرّاء للنيل منه، فقد ذكر ابن عبد ربه لقب المبرّد في كتابه (العقد الفريد) بفتح الرّاء المشدّدة، وقال في سبب هذا اللقب إنّ المبرّد قد عمد إلى الأشعار الباردة من أشعار الشعراء، وضمّنها كتابه الموسوم بالرّوضة، فقال عنه:" فما أحسبه لحقه هذا الاسم إلا لبرده "[3]، وسنوضّح رأينا في اختيارات المبرّد للأبيات الشّعريّة لاحقا [4].

مذهبه العلمي:

كان المبرّد بصرياً [5]، من آخر أئمة المدرسة البصرية النابهين [6]. وانتهى إليه علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني [7].

شيوخه:

أكبّ المبرّد منذ صغره على التزوّد من اللّغة على أيدي نخبة من علماء عصره، واتفقت المصادر على أنّ المبرّد سمع عنهم وأخذ، ومنهم:

- أبو عمر الجرمي، وقد قرأ المبرّد ثلث كتاب سيبويه عليه [8]، وقد روى عنه المبرّد في الكامل [9].

---

[1] المزملة: التي يبرّد فيها الماء، انظر إبراهيم مصطفى، وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، ط:2، المكتبة الإسلاميّة، استانبول، تركيا،1972م، (زمل).

[2] انظر المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، (ت: 384)، **نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشّعراء**، اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري ، ط: 1، (تح/ رودلف زيلهايم) ، فرانتس شتاينر، فسبادن، 1964م، ص324.

[3] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت 328هـ)، **العقد الفريد**، ط2، (تح/ محمد سعيد العريان)، دار العودة، بيروت، 1953م، 71/7 و72.

[4] انظر ص33 فيما سيأتي من البحث.

[5] انظر الزبيدي، طبقات النحويين البصريين، ص101-110

[6] انظر ضيف، شوقي، المدارس النحويّة، ط:2، دار المعارف، مصر، 1972، ص124.

[7] انظر السيرافي، أخبارالنحويين البصريين ص96

[8] انظر القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ، (ت:646)، **إنباه الرُّواة على أنباه النّحاة**، ط:1، (تح / محمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار الكتب المصريّة، مصر، 1955م، 242/3.

[9] انظر المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت 285)، **الكامل**، ط:3، (تح/ محمد أحمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص 731/2

– أبو عثمان المازني، لمّا توفي الجرمي ابتدأ المبرّد قراءة كتاب سيبويه على المازني وختمه عليه، ونبغ فيه، واهتمّ به[١]، وقد كان المازني معجباً بنبوغ المبرّد، فرويت عنه روايات في اعتماده عليه في تفسير كتاب سيبويه وتدريسه للطلبة[٢]، وقد روى له المبرّد في مواضع من كتابه الكامل[٣].

– عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، وهو من أحفاد الشّاعر جرير، وقد روى المبرّد عنه في غير موضع من كتابه الكامل[٤].

– أبو محمد التوزي، وقد ذكر المبرّد أنّه قرأ عليه[٥]، وقد روى عنه في مواضع من كتابه الكامل[٦].

– أبو إسحاق إبراهيم الزيادي، وقد روى عنه المبرّد في كتابه الكامل[٧].

– أبو عثمان الجاحظ، وقد روى على يد الجاحظ فيما رواه عنه في كتابه الكامل، وقد كنّاه باللّيثي تارة[٨]، وباسمه الحقيقي تارة أخرى[٩].

– أبو حاتم السجستاني، أخذ عنه المبرّد وجلس في حلقته[١٠]، وقد كان السجستاني معترفاً بتميّز المبرّد على غيره[١١]، وقد روى عنه المبرّد في كامله[١٢].

– أبو الفضل الرياشي، قال السيرافي:" حدّثني أبو بكر بن أبي الأزهر– وكان عنده أخبار

---

[١] انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 110. ,انظر السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت : 368) أخبار النّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ،ط:1، (تح/ فرينس كرنكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1936م، ص101.

[٢] انظر ص 22 فيما سيأتي.

[٣] انظر المبرّد، الكامل، 1/125، و159، 2/603، وغيرها

[٤] انظر المصدر نفسه، 3/1074، 1/1،165/218 وغيرها

[٥] انظر المصدر نفسه،1/461

[٦] انظر المصدر نفسه، 1/291، و 124، 2/493

[٧] انظر المصدر نفسه، 1/407، و443 وغيرها

[٨] انظر المصدرنفسه، 1/493.

[٩] انظر المصدر نفسه، 1/485، 2/532

[١٠] انظر السّيرافي، أخبار النّحويين البصريين، ص94 .

[١١] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3/243.

[١٢] انظر المبرّد، الكامل، 2/711.

الرياشي– قال: كنا نراه يجيء إلى أبي العبّاس المبرّد في قدمةٍ قدِمها من البصرة"[1]، وقد روى عنه المبرّد في غير موضع[2].

– أبو الحسن المدائني، عالم جليل، روى عنه المبرّد في غير موضع[3].

تلاميذه:

تلقّى العلم على يد المبرّد جمع كبير من الدارسين البغداديين الذين اشتهروا فيما بعد، فضلاً عمّن درس عليه كتاب سيبويه في البصرة منذ أن كان صبيّاً في حلقة أستاذه المازني، فكان منهم:

– أبو علي الدينوري، قرأ على المبرّد كتاب سيبويه[4].

– ابنُ ولاد التميمي، قرأ على المبرّد كتاب سيبويه[5].

– ابن كيسان أبو الحسن محمد بن أحمد، و كان متوسطاً بين شيخيه المبرّد وثعلب، معتدلاً في احترامه لهما، وحضور مجلسيهما[6].

– أبو إسحاق الزّجّاج، وهو أوّل من انضمّ إلى حلقة المبرّد، ولازمه بعد وصوله إلى بغداد[7].

– الأخفش الصغير[8]، وكان له فضل في إخراج الكامل[9].

– أبو بكر ابن السّراج قرأ على المبرّد كتاب سيبويه، وإليه انتهت الرّياسة في النحو بعد المبرّد[10].

---

[1] السّيرافي، أخبار النّحويين البصريين، ص 89

[2] انظر المبرّد، الكامل،1/ 6، و54، و125

[3] انظر المصدر نفسه، 1460/3، والمبرّد،الفاضل، ص89

[4] انظر الزبيدي، الأندلسي، أبو بكر، محمد بن الحسن، (ت: 379)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط:2، (تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر،1973م، ص214.

[5] انظر المصدر نفسه، ص 217

[6] انظر المرزباني، نور القبس ، ص327

[7] انظر، إنباه الرواة، 250/3

[8] انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 115

[9] المبرّد، الكامل، 180/1

[10] انظر الحموي، معجم الأدباء، 632/6

- أبو بكر الصولي[1]، وقد نقل عنه في كتبه المختلفة [2].

- ابن شقير النحوي[3].

- أبو بكر ابن الخياط[4].

- أبو بكر العسكري، أخذ النحو عن المبرّد وعن أبي إسحاق الزجّاج[5].

- أبو محمد ابن دُرُستويه، أخذ فن الأدب عن المبرّد[6]، وقرأ عليه الكتاب[7].

اتصاله بأمراء عصره:

كان المبرّد مقدّماً في الدول عند الأكابر [8]، وقد أخذ عنه الأمير العالم الفقيه الشاعر نعمان بن عامر بن أرسلان التنوخي اللخمي سنة 249هـ، الذي ولي إمارة الساحل [9]. كما اتصل المبرّد بالشاعر الأمير ابن المعتز[10]، وكان أحد تلاميذ المبرّد[11]، وجرت بينهما أحاديث تناولت جوانب الأدب وقضاياه [12].

---

[1] انظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت. 463هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463 ، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمكتبة العربية، بغداد، ومطبعة السعادة، مصر،1931م، 3/ 384.

[2] الصولي، أبو بكر محمّد بن يحيى،(ت:335)، أخبار أبي تمام، ط:3، (تح / محمد عبده عزّام ، خليل محمود عساكر، ونظير الإسلام الهندي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ص96 و97.و انظر الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت: 335)، أخبار البحتري، ط:2، ، (تح/ صالح الأشتر)، دار الفكر، دمشق، 1964م، ص164و168. وغيرها. و انظر الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت:335)، كتاب الأوراق قسم أخبار الشّعراء، ط:1، (عني بنشره ج. هيورث . دن)، مطبعة الصاوي، مصر، 1934م، ص: 32و39و54و 64و84 و70.و انظر المصدر نفسه، قسم أشعار أولاد الخلفاء، ص107.

[3] انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 116

[4] انظر المصدر نفسه ، ص117

[5] انظر المصدر نفسه، ص114. وانظر الحموي، معجم الأدباء، 673/6

[6] انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 44/3

[7] انظر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 116

[8] انظر القفطي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، 247/3.

[9] انظر الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1310هـ)، الأعلام، ط:5، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان،1980م،8/37.

[10] انظر الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص 107

[11] انظر ابن المعتزعبد الله (ت:296)، الديوان، ط:1، ص 3 ، (تصدير شفيق جبري)، المكتبة العربية، دمشق، 1951م.

[12] انظر ص 24 فيما سيأتي من البحث.

وقد اتصل المبرّد بالخليفة المتوكّل وقد جاء خبر قدومه عليه في قصّة لطيفة [1]، كما توثّقت صلة المبرّد بالفتح بن خاقان، الذي أعجب بعلمه وذكائه وغزارة علمه وحسن حديثه؛ فكان كل منهما يحرص على وُدِّ صحابه، ويقدر له مكانته[2].

ثانيا: آثاره العلمية والأدبية:

ترك المبرد مؤلفات كثيرة شهدت على سعة علمه وتنوع ثقافته واتساع معارفه ، فقد ألف في النحو والصرف، واللغة، والأدب، والشعر، والبلاغة، والعروض، والأنساب.

ومع كثرة آثار المبرّد ومؤلّفاته، إلاّ أنّه لم يصل إلينا إلاعدد قليل منها، وقد ذكر لنا ابن النديم أكثر من أربعين كتابا للمبرّد، سنتحدّث بإيجاز عن المطبوع منها، كما سنتحدّث عن المفقود من هذه المؤلّفات ممّا حمل عنواناً يرتبط بالقضايا النقديّة.

*مؤلّفات المبرّد كما ذكرها ابن النديم[3]:

كتاب الكامل، وكتاب الروضة، وكتاب المقتضب، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب القوافي، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب المدخل إلى سيبويه، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب معاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب احتجاج القراءة، وكتاب الرسالة الكاملة، وكتاب الرد على سيبويه، وكتاب قواعد الشعر، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الحث على الأدب والصدق ، وكتاب قحطان وعدنان، وكتاب الزيادة المنتزعة من سيبويه، وكتاب المدخل في النحو، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب ضرورة الشعر ، وكتاب أدب الجليس، وكتاب الحروف في معاني القرآن، وكتاب صفات الله جل وعلا ، وكتاب الممادح والمقابح، وكتاب الرياض المؤنقة، وكتاب أسماء الدواهي عند العرب، وكتاب الاعراب، وكتاب الجامع، وكتاب التعازي، وكتاب الوشى، وكتاب معنى كتاب سيبويه ، وكتاب الناطق ، وكتاب العروض، وكتاب معنى كتاب الأوسط للأخفش ، وكتاب البلاغة، وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها ، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، وكتاب الفاضل والمفضول، وكتاب طبقات النحويين البصريين وأخبارهم ، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، كتاب الحروف، وكتاب التصريف.

---

[1] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 3/243- 244،

[2] انظر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص102،103

[3] انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص65 .

المطبوع من مؤلّفات المبرّد:

الكامل في اللغة والأدب:

هو أشبه بموسوعة أدبية لغوية، جعله ابن خلدون أحد الكتب الأربعة التي يقوم عليها فن الأدب[١]، وقال فيه القاضي الفاضل:" طالعته سبعين مرّة، وكلّ مرّة أزداد منه فوائد " [٢]. فقد جمع هذا المؤلّف " ضروبًا من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف؛ ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة " [٣]، وكان منهج المبرّد في الكتاب تفسير كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن يشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحًا وافيًا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيًا، ولا يرجع إلى غيره في تفسير ما ورد فيه[٤].

وقد قام كثيرون بتحقيق هذا الكتاب وقد اعتمد البحث الطبعة الثالثة التي حققها محمد أحمد الدالي لهذا المؤلّف سنة 1997؛ لما تمتاز به من الإتقان والدّقة الناتجتين عن العناء الكبير والجهد البالغ الذي بذله في تحقيقه وتيسيره، فكان عمله متميّزاً فريداً، شهد له بهذا من اعتنى بهذا الكتاب من بعده[٥].

المقتضب :

يقصر المبرد هذا المؤلّف على القضايا اللغوية النحوية والصّرفية، وقد أفاد البحث من هذا المؤلّف في إبراز بعض نقد المبرّد اللغوي.

الفاضل :

حققه عبد العزيز الميمني عام 1956، وقد احتوى الكتاب على آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأشعار وأقوال وأخبار، تحدّث المبرّد عن المسائل البلاغية أو النحوية أو اللغوية التي وردت فيها، كما وازن المبرّد بين هذه الأشعار والأقوال، وكان غرضه في ذلك ذكر الفاضل

---

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808) ، مقدّمة ابن خلدون (مقدمة العبر)، ط: 6، دار القلم، بيروت لبنان، 1986م، ص553، و554.

[٢] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764) ،الوافي بالوفيات، ط:3، (تح/ محمد بن محمود إبراهيم بن سليمان)، دار صادر، بيروت، 1991م، 216/5.

[٣] المبرّد، الكامل،2/1

[٤] انظر المصدر نفسه،2/1

[٥] انظر المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، (ت 285)، الكامل في اللغة والأدب، ط:1، (تح/ علي محمد زينو وعماد حيدر الطيّار)، مؤسسة الرسالة 2006 م، ص17.

ممّا قيل في المعنى الواحد في منثور الكلام ومنظومه، والمفضول فيه، معلّلاً لذلك أوغير معلّل، وقد احتوى الكتاب بهذا على لفتات نقدية مفيدة في إبراز موقف المبرّد النقديّ.

التعازي والمراثي :

حققه رمضان عبد التّواب. وقد ضمّن المبرّد كتابه مجموعة من عيون المراثي للشعراء الجاهليّين والإسلاميّين وعقد باباً لمراثي المحدثين، كما ساق به المواعظ والخطب والأقوال المأثورة والوصايا، وكان هذا دون ترتيب زماني أو مكاني، كما ورد في هذا الكتاب الكثير من اللفتات النقدية.

القوافي وما اشتقت ألقابها منه:

حققه رمضان عبد التّواب. وهو كتاب يتكون من صفحات قليلة لا تتجاوز إحدى عشرة صفحة. ويبدو أنّ الكتاب ناقص، فقد اقتبس منه الحميري[1]، وابن سنان[2]، ولا يوجد ذلك في النسخة التي بين أيدينا من الكتاب.

ما اتّفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد:

حققه عبد العزيز الميمني، وأعاد تحقيقه محمد رضوان الداية[3].

البلاغة :

حققه رمضان عبد التّواب ، وهو آراء في جودة الشّعر وجودة النّثر ومحاولة للمقارنة بينهما، فهو عبارة عن رسالة أجاب بها المبرّد عن رسالة بعث بها أحمد بن الواثق يسأله فيها عن: "أفضل البلاغتين، بلاغة الشّعر أم النثر؟" فأجابه المبرّد بتعريف البلاغة وشروط الكلام البليغ. وكأنّ هذه الرسالة مشاركة نقديّة تثير جملة من القضايا البلاغية المتصلة بمقاييس جودة النّص. وإن لم يكن مفهوم هذا المصطلح في هذه الرّسالة مثل مفهوم علم البلاغة الذي عُرف فيما بعد، فهو تحديد لبعض معانيها[4].

---

[1] انظر الحميري، نشوان بن سعيد،(ت : 573هـ)، **الحور العين**، ط:1، (تح/ كمال مصطفى) ، مكتبة الخانجي،القاهرة 1948م، ص94.

[2] انظر ابن سنان، الخفاجي الحلبي أبو محمد عبد الله سعيد، (ت: 466)، **سر الفصاحة**، ط:1، (تح/ داود غطاشة الشوابكة)، دار الفكر، الأردن، 2006م، ص178.

[3] المبرّد، محمد بن يزيد، **ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد** ، ط:1، (تح/ محمد رضوان الدّاية)، دار البشائر ،دمشق، 1991م.

[4] أحمد مطلوب ، **المصطلحات البلاغية** وتطورها، ط:1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1972م، ص 44

ويبدو أنّ المرزباني أفاد من هذا المؤلّف، فقد رصد رمضان عبد التواب المواضع التي اقتبسها المرزباني في كتابيه الموشّح ونور القبس من هذا المؤلف[١]، وإن كان ينقص عن نص المبرّد أحيانا ويزيد عليه أحيانا أخرى.

رسالة في أعجاز أبياتٍ تغني في التمثيل عن صدورها :

مع أنّ هذه الرسالة لم يرد ذكرها في أغلب المصادر التي ترجمت للمبرّد إلاّ أنّها موجودة في نوادرالمخطوطات منسوبة للمبرّد بالاسم السابق[٢]، وهي رسالة صغيرة تشتمل على أربعة وثمانين عجزًا، راعى المبرد أن تكون حِكماً مستقلة تستغني عن صدورها. وكان ينسب العجز إلى قائله غالباً، ويسوق ما يختاره من شعر الشاعر.

*من مؤلّفات المبرّد المفقودة التي يبدو من عناوينها صلتها بالقضايا النقدية الأدبيّة:

الحثّ على الأدب والصّدق :

ذكر في إنباه الرّواة[٣]، ومعجم الأدباء[٤] أيضاً، ويظهر من العنوان بأنّ الكتاب يتحدّث عن حسن الخلق.

الروضة :

ذكر في إنباه الرّواة [٥] ومعجم الأدباء[٦]، ووفيات الأعيان[٧]، وكشف الظنون [٨]، وذكر أيضاً في المثل السائر حيث قال ابن الأثير: " وقرأت في كتاب الروضة لأبي العباس المبرّد

---

[١] انظر المبرّد، البلاغة، مقدمة المحقق، ص 52 و 53 ، وانظر المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: 285)، **المذكّر والمؤنّث** ، ط:1، (تح/ رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي)، مطبعة دار الكتب 1970م، المقدّمة، ص47 و 48 .

[٢] انظر **نوادر المخطوطات**، ط:1،(تح/ عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، 1991م، 183/1.

[٣] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 251/3.

[٤] انظر الحموي، معجم الأدباء، 88/7.

[٥] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 251/3.

[٦] انظر الحموي، معجم الأدباء، 88/7.

[٧] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 314/4.

[٨] انظر حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسنطيني، (ت:1067)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط4، دار الفكر، بيروت، 1982م، 1/ 931.

وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء، بدأ فيه بأبي نواس، ثمّ بمن كان في زمانه "[1].

ويبدو من الاقتباسات المأخوذة من هذا المؤلّف[2]، أنّه كتاب في الشّعر والأدب وأخبار الشّعراء والأدباء. فهذه الاقتباسات توضّح أهميّة هذا المؤلّف لما يحويه من أخبار الشّعر والشّعراء المحدثين، وآراء النقاد في جودة الشّعر.

وقد ورد عند أحمد تيمور باشا في خاتمة كتابه " نوادر المخطوطات العربية وأماكن تواجدها "[3] أنّ كتاب الرّوضة في الأدب للمبرّد من الكتب المفقودة، بينما ذكر رمضان عبد التّواب –محقّق كتاب البلاغة للمبرّد – أنّ عبد العزيز الميمني لديه نسخة مخطوطة من كتاب الرّوضة[4]، وقد ظهرت إفادته من هذا المؤلّف في تحقيقه لكتاب الفاضل[5].

ضرورة الشّعر :

ورد في الفهرست[6] وإنباه الرّواة[7]، ومعجم الأدباء[8].

الاشتقاق :

ذكر في إنباه الرّواة[9]، ونقل منه ابن خلكان في وفياته[10].

الاختيار:

---

[1] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت 637)، **المثل السائر** في أدب الكاتب والشاعر ، د.ط، (تح/ محمد محيي الدين عبدالحميد)، المكتبة العصرية بيروت، 1995م، 1/306-307 .

[2] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 7/ 70 . وانظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 4/318 . وانظر ابن الأثير، المثل السائر، 1/306-307. وانظر البغدادي، ، تاريخ بغداد، 3/ 386، وانظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/350 .

[3] انظر تيمور باشا، أحمد بن إسماعيل بن محمد الكردي الموصلي، (ت: 1348هـ)، **نوادر المخطوطات العربيّة وأماكن تواجدها** ، ط:1، (تح/ صلاح الدين منجد)، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 1980م، ص73.

[4] انظر المبرّد، محمد بن يزيد، (ت285)، **البلاغة**، ط2، (تح/ رمضان عبد التواب)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1985م، ص 58.

[5] انظر المبرّد، محمد بن يزيد، (ت285)، **الفاضل**، ط1، (تح/ عبد العزيز الميمني)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1959، ص 34، و43، و96، و101 .

[6] انظر ابن النديم ،الفهرست، ص65 .

[7] انظر القفطي، إنباه الرُّواة على أنباه النّحاة، 3/252.

[8] انظر الحموي، معجم الأدباء، 7/88.

[9] انظر القفطي، إنباه الرُّواة على أنباه النّحاة 3/251.

[10] انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 3/445.

وقد ذكره المبرد في كتابه الكامل[1]، ويبدو أنّ كتاب الاختيار هو كتاب في المختارات من الشّعر وتفسيره ومن قصص الغابرين وأخبارهم.

الاعتنان:

ذكره البغدادي في خزانة الأدب[2]، واقتبس منه في غير موضع، وقد حمل هذا المؤلّف معنى المعارضة والمناظرة في الخصومة؛ يقال: عنّ له: إذا جادله وعارضه، والمِعَن بكسر الميم وفتح العين المُعارض[3]، كما جاء أنّ مضمون الكتاب بيان الأسباب التي اقتضت النّهاجي بين جرير والفرزدق[4].

قواعد الشّعر:

ذكر هذا الكتاب في إنباه الرّواة[5]، وفي معجم الأدباء[6] أيضاً، وقد ورد كتاب يحمل العنوان نفسه نُسِب لثعلب الذي يُكنى بأبي العباس، وهي كنية المبرّد، وقد قام رمضان عبد التواب بتحقيق هذا الكتاب، وأثبت نسبته لثعلب وليس للمبرّد[7]، مع إشارة رمضان عبد التّواب إلى أنّ الكتب التي ترجمت لثعلب لم تذكر له كتاباً باسم "قواعد الشّعر"، من بين مؤلّفاته العديدة التي ذكرتها له، كما لم تذكر هذه الكتب تأليفاً بهذا الاسم لعالم آخر سوى المبرّد[8].

وقد استحسنا نسبة الكتاب لثعلب وليس للمبرّد، وذلك لأنّ بعض الآراء الموجودة في هذا الكتاب لم ترد في مؤلّفات المبرّد، فعلى سبيل المثال، قسّم مؤلّف هذا الكتاب قواعد الشّعر إلى أقسام لم ترد في أيٍّ من مؤلّفات المبرّد التي بين أيدينا، وقد أشار إلى هذا إحسان عبّاس حيث

---

[1] المبرّد، الكامل، 1240/3

[2] انظر البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت: 1093هـ) ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1929، 153/2.

[3] انظر المصدر نفسه، 153/2.

[4] انظر المصدر نفسه، 153/2

[5] انظر القفطي، إنباه الرُّواة على أنباه النّحاة، 251/3

[6] انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، (ت: 626)، **معجم الأدباء،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**،ط:1، (تح/ عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1999م، 88/7.

[7] ذكر كيف حملت مخطوطتا الكتاب اسم ثعلب كما حملتا طابع ثعلب وروحه في تاليفه وميله إلى الاختصار، وقد قارن رمضان عبد التّواب مذهب ثعلب في كتابه (الفصيح) بمذهبه في (قواعد الشّعر)، فلم يشكّك في نسبة الكتاب لثعلب معتمداً في هذا على مقارنة طابع كلّ من ثعلب والمبرّد في الكتابة، فرأى أنّ طابع ثعلب المدرسي الجاف الذي تميّز به ظهر واضحاً في كتاب قواعد الشّعر، بينما تميّز المبرّد البليغ بإحساس مرهف لم يظهر في الكتابة.انظر ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت 291)، **قواعد الشّعر**، ط2، (تح/ رمضان عبد التواب)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995م، مقدمة المحقق ص 15.

[8] انظر قواعدالشعر، ص 15.

قال:" فلن تجد ناقداً سوى مؤلف هذا الكتاب يجعل قواعد الشّعر هي: الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وأنّ فنون الشّعر من مدح ورثاء واعتذار وغيرها إنّما تنبع من هذه القواعد " [١].

وحين شرح المبرّد تقسيمات التّشبيه وهو ما أطال الحديث فيه، لم يذكر التّشبيه الخارج عن التعدي والتقصير وهو ما ورد في الكتاب المذكور، وهذا ما يؤكّده رمضان عبد التواب حين أشار إلى أنّ الاصطلاحات والآراء الموجودة في الكتاب لا توجد في كتاب آخر[٢].

ثالثاً: نظرة الآخرين إلى المبرّد :

أولاً: رأي القدماء فيه:

حظي المبرد بإعجاب الكثيرين؛ فقد كان رجلاً عالمًا ثقة، وفير الإنتاج، متعدد الثقافة، وقد أجمع المؤرخون الذين ترجموا له على أنّه:" كان ذكيّاً سريع الحفظ، كثير المحفوظ من اللغة، واسع الاطلاع عليها، وكان من العلم وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة العزيمة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق؛ على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه"[٣]، وقال عنه ابن كثير: "كان ثقة ثبتاً فيما ينقله " [٤]، وقال الذهبي عنه: " كان إماماً علاّمة جميلاً وسيماً فصيحاً مفوهاً موثّقاً " [٥]، وقال عنه أيضاً:"وكان وسيماً مليحَ الصورة فصيحاً مفوهاً أخباريّاً علاّمة ثقة "[٦].

كما ذكره الخطيب البغدادي قائلاً: " شيخ أهل النّحو، وحافظ علم العربيّة، كان من أهل البصرة فسكن بغداد، وروى بها عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني وغيرهما من

---

[١] انظر عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط:1 الجديدة المزيدة المنقحة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1993م، ص 72.

[٢] انظرّ ثعلب، قواعد الشعر، مقدمة المحقق ص8.

[٣] الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص 101 ، و القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 242/3.

[٤] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي ، (ت: 744هـ)، **البداية والنّهاية**، ط:1، (تح أحمد أبو ملحم وآخرين) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985 م، 84/1

[٥] الذهبي، الحافظ شمس الدين، (ت: 784هـ)، **سير أعلام النّبلاء**، ط:1، (تح/ الشّيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين) ، مؤسسة الرسالة، بيروت،1981م، 576/13.

[٦] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت: 784هـ)، العبر في خبر من غبر، ط2،، (تح/ صلاح الدين منجد)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 984 م، 81/2.

الأدباء، وكان عالماً فاضلاً موثوقاً به في الرّواية حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النّوادر"[1].

وقال عنه ابن جني أيضاً: " يعدّ جيلاً في العلم، وإليه أفضت مقالات أصحابنا، وهو الذي نقلها وحرّرها، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها"[2].

وكان ابن خلّكان يراه: " كثير الأمالي حسن النّوادر"[3]، وقال عنه أيضاً:"ختم به تاريخ الأدب"[4].

وقد وصفه الثّعالبي بأنّه:" بعيد الصّوت في الأعيان، من الأدباء والنّحويين الذين يؤخذ عنهم، ويقتبس منهم"[5].

وقال عنه ياقوت: " كان إمام العربيّة في بغداد . وكان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً مليح الأخبار ثقة فيما يرويه، كثير النّوادر فيه ظرافة ولباقة "[6].

وقد قيل فيه:" ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه ممن كان قبله، ولا يوفى بعده مثله "[7].

وقد وصفه أبو عبد الله بن جعفر الدينوري – زوج ابنة ثعلب خصم المبرّد، وأحد تلامذة المبرّد[8]– بأحسن وصف وأعذبه حيث يقول عنه:"حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان"[9].

– مديح الشّعراء له:

وما يؤكّد تقدير القدماء لشخصية المبرّد ما وصل إلينا على لسان الشعراء من مدحهم له، فقد مدحه البحتري بأبيات منها:

ما نالَ ما نالَ الأميرُ محمد إلا بيُمنِ "محـــــــمّدِ بن يزيدِ"

---

[1] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 380/3

[2] ابن جني، أبو الفتح، **سر صناعة الإعراب**، ط:1، (تح/ الدكتور حسن هنداوي) ، دار القلم، دمشق، 1985م، 1/ 135.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 314/4

[4] المصدر نفسه، 314/4.

[5] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت:429هـ)، لطائف المعارف، د ط، (تح/ إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصّيرفي) ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م، ص46 .

[6] الحموي، معجم الأدباء،7/81

[7] الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين ، ص 101، و القفطي، إنباه الرواة، 242/3

[8] انظر ص 8 فيما سبق من البحث.

[9] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 314/4.

وبــنو ثُمالة أنجمٌ مَسـعـودةٌ فعليك ضوء الكوكب المسعود [1]

كما مدحه ابن الرومي في قصيدة طويلة[2]، بدأها بالغزل، إذ قال:

طرقت أسماءُ والركبُ هجودُ والمطايا جُنَّـحُ الأوزارِ قودُ
طرقتـنا فأنالت نائـلاً شكرهُ لو كان في النُّبه الجُحود

ثم انتقل منه إلى مدحه وآبائه بصفات كثيرة، وقد قال محمد عبد الخالق عضيمة في هذه القصيدة: " قلّما ظفر نحوي بقصيدة مدح طويلة كهذه القصيدة من شاعر كبير معاصر له" [3].

ومدحه آخر في أبيات منها:

وأنتَ الذي لا يبلغُ المدحُ وصفَهُ وإن أطنبَ المُدّاحُ مع كلّ مُطنِبِ
رأيتُكَ والفَـتحَ بنَ خاقانَ راكِبا فأنتَ عديلُ الفتح في كلّ موكـبِ
وكان أمـيرُ المؤمنين إذا رنا إليكَ يُطيل الفكر بعـد التَّعجـُّبِ
وأوتِيتَ علـماً لا يُحيطُ بكُنهِهِ علومُ بني الدّنيا ولا علـمُ ثعلبِ
يؤوب إليكَ النّاسُ حـتى كأنّهم ببابكَ في أعلى منىً والمـحصبِ [4]

وقال بعضهم فيه أيضاً:

رأيت مـحمد بن يزيد يسمو إلى الخيرات في جـاهٍ وقدر
جلـيس خلائـف وغذيُّ مَلكٍ وأعلمَ من رأيتُ بكلّ أمـر
وفتيانيّة الظـرفاء فيـه وأبّهة الكبير بغيـر كبـر
وينـثُرُ إن أجـال الفكرَ دُرّاً وينثر لؤلؤاً من غيـر فكر [5]

كما يقول أبو بكر بن أبي الأزهر فيه وفي ثعلب خصمه:

أيا طـالب العلم لا تجهلـن وعُذ بالمبرّد أو ثعـلب
تجـد عند هذين علمَ الورى ولا تك كالجمل الأجـرب

---

[1] البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد التنوخي ، (ت:284)،الديوان، ط:1، ، (تح/ عمر فاروق الطبّاع)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 200م، 1/437.

[2] انظر ابن الرومي ، الديوان، 2/ 751-757

[3] انظر المبرّد، محمد بن يزيد، (ت: 285)، المقتضب، ط:1، (تح/ محمد عبد الخالق عُضيمة)، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة، 1969م، مقدّمة المحقق 1/40.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 3/381

[5] المصدر نفسه ، 3/382

علوم الخلائق مقرونـــــــةٌ بهذين في الشّرق والمغـــــــرب [1]

وقال آخر يمدحه في بيتين:

وإذا يُقالُ: من الفتى كلّ الفتى والشّيخُ والكهلُ الكريمُ العنصر؟
والمُستَضاءُ بعلمِهِ وبرَأيـــــــهِ وبعَقلِهِ؟ قلتُ: ابنُ عبدِ الأكـــبر [2]

ولبعض أصحابه فيه أيضاً:

بنفسي أنـــت يا ابن يزيد من ذا يُساوي ثعلباً بك غيـــــر قين
تُفسّـــرُ كلَّ مقفلة بحـــــــــذق ويستر كلَّ واضـــــــحةٍ بغين
كأنّ الشمسَ ما تُمليه شرحـــــاً وما يُمليه همزة بيـــــــنَ بين [3]

رثاء الآخرين له : -

وقد ظهر في رثاء أبي بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف مبلغ التقدير الذي وصل إليه المبرّد إذ قال فيه

ذهـــــب المبرد وانقضت أيامُهُ وليذهبن إثرَ المبرّدِ ثعـــــــــلبُ
بيتٌ مـــن الآداب أصبح نصفُهُ خرباً وباقي بيتها فسيـــــــخربُ
تـــزودوا من ثعـــلبٍ فبكأس ما شربَ المبرد عن قريبٍ يشـــربُ
وأرى لكـــــم أن تكتبوا أنفاسَهُ إن كانتِ الأنفاسُ مما يُـــــكتب [4]

ثانياً: رأي المحدثين فيه:

لم تكن المكانة التي احتلّها المبرّد حكراً على القدماء فحسب، فقد قدّره علماء محدثون، واعترفوا بفضله ومكانة بعض مؤلّفاته. فقد ذكر رمضان عبد التواب المبرّد قائلا :"اشتهر اسم المبرّد في تراثنا وتعدّدت جوانب معرفته فشملت العديد من العلوم والفنون، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحويّة، واكتسب المبرّد بعلومه وبراعته في المحاضرة والتعليم مكانة

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان 314/4.

[2] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 382/3

[3] المصدر نفسه ، 382/3

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان، 319/4.

عند الخاصّة والعامّة، وقدّمه الخلفاء وأبناؤهم وذوو الشّأن ورجحت كفّته عند أهل زمانه، فكان عظيم المكانة في نفوس معاصريه وغيرهم"[1].

كما ذكره طه أحمد إبراهيم بوصفه صورة واضحة لذهنية اللغويين في القرن الثّالث واتجاهاتهم في النقد، وقال عنه: اختار المبرّد في باب التّشبيه ما عرف من التشبيه المصيب الجيّد المليح المستظرف عند القدماء والمحدثين، معقباً على كثير مما يورد بالنقد والحكم، فلا يكتفي المبرّد بنقد التشبيه وجودته والمعنى وابتكاره أوسرقته، بل يتعرّض للشّعراء أنفسهم وللمذهب الشّعري نفسه[2].

وذكره عبد الواحد حسن الشيخ أيضاً بعد تناوله لابن سلام وابن قتيبة قائلا عنه:" من علماء القرن الثالث الهجري عالم نحوي لغوي بلاغي ناقد شاعر"[3]، وقد أخبر عبد الواحد عن المبرّد كيف استطاع المبرّد أن يؤصّل بعض الأصول النقديّة والبلاغيّة حيث ساق الشواهد النقدية والبلاغية، فأبان عنها في شرحه وتفسيره لها، كما عرض النصوص وحلّلها كاشفاً ما بها من نظرات نقدية وألوان بلاغية، وقد دلّل في تحليله للمادة العلمية ولتقسيماته التي أوردها على المبرّد الناقد البلاغي اللغوي، فمن تصدى لما تصدّى له المبرّد لا بد من أن يكون على قدر كبير من الفهم والإدراك، فقد تمتّع بحسّ لغوي أثر في نقده فأضاف بعض السمات التي ميّزته عن غيره[4].

وقد ذهب بدوي طبانة إلى القول: إنّ المبرّد أوّل من فتح باب القول في السرقات في النقد العربي[5]، كما كان لطبانة رأي في كتاب المبرّد (الكامل)، فقد رأى كم زخر هذا الكتاب بفنون الأدب مع الكثير من الشّرح والتحليل، وكثير من النقد والموازنة، كما احتوى على كثير من آثار

---

[1] المبرّد، المذكر والمؤنّث، ص57

[2] انظر إبراهيم، طه أحمد، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ط:1، دار الحكمة، بيروت، د.ت.، ص117.

[3] حسن الشيخ، عبد الواحد، **قضايا النقد الأدبي والبلاغة عند اللغويين في القرن الثالث الهجري**، اللجنة المصرية العامة للكتاب، مصر،1980م. ص423

[4] انظر حسن الشيخ،قضايا النقد، ص460

[5] انظر طبانة، بدوي، **دراسات في النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، ط:4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م، ص248.

الفطنة والفهم وكان مثاله في هذا بحث المبرّد المستفيض في فن التشبيه والكناية، كما ذكر أيضاً احتواء الكتاب على النقد الأدبي الذي دلّ على ملكة المبرّد وذوقه الأدبي وتنبه حاسته الفنية[١].

وقال إحسان عباس عنه :" إن المبرّد قد شارك في جوانب من الاتجاهات النقدية في عصره، وكان الوقوف عند السرقات من أهم الاتجاهات الناشئة حينئذ"[٢]، وكأنه يشير إلى مقدار تأثير المبرد في الوقوف عند سرقات الشّعراء في عصره.

وقد أشار العماري إلى تنبّه المبرّد إلى أنواع بلاغية أفاد منها كل من ألّف في النقد أو في البلاغة من بعده..[٣]، كما قال العماري أن لا فرق كبيراً بين ابن سلام وابن قتيبة والمبرّد من حيث معالجة النقد أكثر من أن كلاً من الجمحي وابن قتيبة وضع مقدّمة تحدث فيها عن أمور تمس النقد الأدبي مساً قوياً [٤].

وقد اعترف بعضهم بفضل المبرّد في نقد القرن الثالث الهجري فقالت هند حسين: " وفي القرن الثالث رأينا النّقد أكثر بروزًا على أيدي المبرد، وأبي سعيد السكري وابن المعتز وابن قتيبة وقدامة بن جعفر"[٥]، بعد أن كان ساذجًا في العصر الجاهلي وقوي عوده في القرنين الأول والثاني، كما أنّها عدّت كتابيه (البلاغة)، و(الكامل) من الكتب البلاغية المتضمنة للأسس النقدية[٦].

وعدّه حميد آدم ثويني من النقاد وعلماء الأدب المعروفين، الذين برزت القضايا النقديّة على أيديهم، فجمع ثويني المبرّد مع ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة وثعلب وابن المعتز وغيرهم[٧].

وقال عنه حسين الحاج حسن:" بالإضافة إلى العلوم النحوية والنقدية كان شاعراً وأديباً ذواقة يستجيد الشعر المحدث شريطة أن يكون موافقا لمذهب الأقدمين "[٨].

---

[١] انظر طبانة، بدوي، **البيان العربي دراسة في تطوره الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى** ، ط:4 مزيدة منقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1968م، ص 105-107.

[٢] عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 80

[٣] انظر العماري، علي محمد حسن، **قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة إلى عهد السكاكي**، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م، ص 236.

[٤] انظر المصدر نفسه، ص79

[٥] طه، هند حسين، النظرية النّقدية عند العرب، ص27

[٦] انظر المصدر نفسه، ص 45.

[٧] انظر ثويني، حميد آدم ، منهج النقد الأدبي عند العرب، ص61

[٨] الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، ص160

وقد عدّه محمد زغلول ممّن نبغ في نقد الشعر، وكان في نظره مثل الأصمعي ومحمد بن سلام الجمحي وابن قتيبة وابن جني[1]، كما عدّ كتابه الكامل " أقرب إلى النقد الأدبي لما سيطر على كاتبه من حسن تفهم وتذوق، وغوص على المعاني الدقيقة وقدرة على التحليل البياني واللغوي "[2].

رابعا: المبرّد وبعض ما اشترط النّقاد في النّاقد

اشترط النقاد في الناقد أن يكون صاحب ثقافة تسهم في تكوين ذوقه الشّخصيّ، كما وجدوا ضرورة معرفته باللغة، ورواية الشّعر، ونظمه، وأن تكون لديه معرفة وخبرة بالأدب الذي ينقده. فما مدى تحقيق المبرّد لهذه الأمور؟

أ- ثقافة المبرّد وذوقه :

لم تقف ثقافة المبرّد عند لون من الثقافة بعينه، بل نجده ملمّاً بجملة من الثقافات هي ثقافة عصره، نلمحها بقوّة في مؤلفاته ولا سيّما (الكامل)عمدة هذه المؤلفات.

وهذه الثقافة الواسعة ضرورة للناقد ليكوّن ذوقه الشّخصي؛ لأنّ هذا الذّوق الشّخصي "المرجع المعتمد في الحكم على الأدب"[3]، فما العوامل التي أثّرت في ثقافة المبرّد، وساهمت في تكوين ذوقه الشّخصيّ؟

أثّرت عوامل مختلفة في تنمية ثقافة المبرّد التي كوّنت ذوقه الشخصيّ، هذا الذوق الذي أسهم بصقله معرفته بالأدب الذي دارسه، ممّا ساعده على تقويم الشّعر؛ للتّمييز بين الجيّد والرّديء " فكثرة المدارسة للشيء لتُعدي[4]على العلم به "[5]، كما سيبيّن لاحقاً[6].

---

[1] سلام، محمد زغلول، **تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري**، ط:1، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت. ، ص12.

[2] انظر المصدر نفسه، ص208، و209

[3] **الحياري، عبد الكريم**، (1977)، **عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ص330.

[4] لتعدي: لتكسب. انظر أعداه، المعجم الوسيط، (عدو).

[5] الجمحي، ابن سلام، (ت:231)، **طبقات فحول الشعراء**، ط: 2، (تح/ محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة ، 1974م، 7/2.

[6] انظر الخبرة والمعرفة ص 30 وما بعدها فيما سيأتي من البحث.

لقد نشأ المبرّد في بيئة عربيّة، وانتمى إلى قبيلة عريقة ذات مواريث في الثّقافة والحضارة، هي "ثمالة"، التي قال فيها ابن عبد ربّه في العقد:" وهم أهل رويّة وعقول" [1]، كما عاش المبرّد في البصرة التي كانت تعجّ بالعلماء، واحتضنت كبار القرّاء والمفسّرين والمحدثين والنّحاة واللّغويّين والأدباء والمتكلّمين. كما شقّ المبرّد طريقه العلميّ في "سُرَّ مَن رَأى" وفي بغداد أيضاً، وقد كانت السّمة البارزة لعصره شيوع الثّقافة.

والتقى المبرّد بأعلام اللّغة والأدب كالرّياشي والنّوزي والمازني والجرمي والسّجستاني ولازم حلقاتهم[2]، وكان لكل واحد منهم فضل في تكوين شخصيّته العلميّة.

فقد كان للسّجستاني- عالم اللغة والشّعر- كبير الأثر في تدريس المبرّد النّقد، مع علم واسع بالعروض واستخراج المُعمّى.

وقد جاء على لسان المبرّد في معرض حديثه عن أبي حاتم السجستاني ما يشير إلى بعض هذا حيث قال: "أتيت السّجستاني، وأنا حدث .... فتركته مدّة، ثمّ صرت إليه، وعمّيت له بيتا لهارون الرّشيد، وكان يجيد استخراج المُعمّى، فأجابني:

أيا حَسَـــن الوَجهِ قد جِئتَنا بِداهِيَة عَجَب في رَجَـــــــب

فعَمَّيتَ بَيتـــــــاً وأخفَيتَهُ فَلَم يَخفَ بَل لاحَ مِثلَ الشُّهُب

فَذَلَّلَ مَـــا كـــانَ مُستَصعَباً لَـــــــنَا ، فَتَنَاوَلته مِن كَثَب" [3]

كما كان للجاحظ صاحب المكانة العلمية البارزة وصاحب الآثار الأدبية والنّقدية والعلميّة فضل في بلورة المنهج العلمي عند المبرّد أيضاً، فقد كان أستاذًا له، تأثّر المبرّد في تفكيره، ومنحاه التأليفي الذي نراه واضحاً في كتابه الكامل[4] بالجاحظ ومؤلّفاته .

وقد ظهرت ثقة أساتذة المبرّد بنبوغه المبكر وتقديرهم له، فقد كان يتبوّأ مكاناً بينهم وهو حدث، فقال سهل بن أبي سهل البهزيّ وإبراهيم بن محمد المِسمعيّ: " رأينا محمد بن يزيد وهو حدث السّن، متصدّراً في حلقة أبي عثمان المازني يقرأ عليه (كتاب سيبويه)، وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها "[5].

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، 3 /301.

[2] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 3/242.

[3] السّيرافي، أخبار النّحويين البصريين، 94

[4] انظر الحديثي، خديجة، المبرّد سيرته ومؤلّفاته، ط:1، دار الشؤون الثقافية العامّة، العراق، بغداد، 1990م، ص82.

[5] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 3/242.، و الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص101.

ويذكر سابقاً ما يثبت تقدير المازني له حيث قال: "قم فأنت المبرِّد، أي المثبت للحق"[1]. وذلك بعد إجابة المبرّد له بأحسن جواب في عويص كتابه (الألف واللام) ودقيقه.

كما ذُكر أنّ السجستاني قال لشاب من نيسابور:" الدين نصيحة، إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام، محمد بن يزيد"، وكان هذا بعد أن قال الشّاب للسجستاني:" يا أبا حاتم إنّي قدمت بلدكم، وهو بلد العلم والعلماء، وأنت شيخ هذه المدينة، وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيبويه "[2]، وفي هذا دليل على ثقة السجستاني بنبوغ المبرّد.

وقد يكون لسوق المربد في البصرة أثر في ثقافة المبرّد التي اكتسبها، فهي منتدى كبير لأهل الفكر واللغة والأدب والشّعر والأخبار، يتسامرون فيها ويفيدون بعرض إنتاجهم الفكري، كما كانوا يفيدون مما يعرضه عليهم أبناء البادية من عيون اللّغة وشواردها[3].

ولعلّ اشتغال المبرّد بالتّدريس، كان له فضل في توسيع ثقافته، فقد أصاب من العلوم الكثير وكان نابغة فيها، فوصلت شهرته إلى بغداد قبل ذهابه إليها، وقد ذكره القفطي في إنباه الرّواة قائلاً:" قال أبو بكر بن السّراج: حدّثني أبو العبّاس المبرّد قال: دخلت من البصرة إلى بغداد، فاجتزت بالمازني متفرّجا، وكان في بعض البيوت رجلٌ كهل نظيف، فلمّا رآني قال: مرحباً بهذا الوجه الغريب، وشكلك من البصرة، قلت: نعم، قال: درست على نابغهم؟ قلت: ومن هو؟ قال: الملقّب المبرِّد، قلت: رأيته، قال: هو فاضل"[4].

كما كان للأنديّة الأدبية التي عُقدت في دور العظماء والأشراف في عصره، وضمّت العلماء والأدباء وأصحاب اللغة – أثر بارز في التنشئة الأدبيّة عند المبرّد، فقد كانوا يتباحثون في شتى ضروب العلوم والفنون، وكان المبرّد يتحدّث في الدّين والأدب والتّاريخ واللّغة، وقد يكون هذا ما فتح له أبواب هذه المجالس الأدبية، فأصبح فارس حلبتها، يطوف بمسامريه بمختلف علومه وثقافته.

رحّب به مجلس المتوكّل ووزيره الفتح بن خاقان [5]، كما استقبلته المنتديات الثقافية التي عقدت في بغداد، التي لم تقف عند المسامرات الخفيفة، بل كانت تمتد إلى صميم الدّراسات الأدبيّة وتتعرّض لنظرات نقدية على جانب كبير من الأهميّة، منها ما رواه الصولي وغيره:

---

[1] انظر ص5 فيما سبق من البحث.

[2] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 242/3

[3] انظر الحاجري، طه محمد، **الجاحظ حياته وآثاره**، ط:2، دار المعارف، مصر،1969م، ص 111.

[4] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 252/3.

[5] انظر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص 102، و103

"حدّثني أبو العبّاس عبد الله بن المعتز قال: جاءني محمد بن يزيد المبرّد يوماً فأفضنا في ذكر أبي تمام، وسألته عنه وعن البحتري، فقال: لأبي تمام استخراجات لطيفة ....."[1].

لذا امتلك المبرِّد ثقافة عربيّة استقاها من أساتذته أحياناً، ومن الأسواق والمنتديات الأدبيّة التي كان يحضرها أحيانا أخرى، وساهم في تكوين ثقافته عمله في مجال التّدريس، وملازمة أساتذته البصريين[2]، فكان مولعاً بالثّقافة العربيّة من نحو ولغة وأدب ونوادر وأخبار، قضى نحو ثلاثين سنة بهذه العلوم، ويبدو أنّه لم يتأثّر بالثقافات الأخرى التي اجتذبت الكثير من أبناء عصره؛ فنراه لا ينقل في مؤلّفاته لغير العرب إلا القليل النّادر.

لقد كوّنت هذه الثّقافة لدى المبرّد ذوقا خاصًا اكتسبه من طول الاطّلاع على آثار الكتّاب والشّعراء، فالذّوق "خلق من الأخلاق القابلة للتهذيب والتّنقيح بالقراءة والفهم والدّرس، حيث يكون ذوقا مبنيّاً على التّجربة مما قرأ الإنسان وفهم من العلوم والفنون"[3]، فلا غنى عن الذوق لأي ناقد، " يتعرّف به مواطن الجمال والقبح فيما يُعرض له من نصوص عند سماعها أو قراءتها، ويستطيع بعد ذلك أن يقف عندها ويتبين أسرارها، ثم يعلّل لها بما أوتي من العلم والمعرفة والإحاطة بجوانب الموضوع، وبما أوتي كذلك من قدرة على التّعمّق والتّحليق والاكتشاف"[4]، فهذا الذّوق هو التّأثريّة القائمة في أساس كلّ نقد كما قال لانسون:" العنصر الشّخصي الذي نحاول تنحيته سيتسلّل في خبث إلى أعمالنا ويعمل غير خاضع لقاعدة، فهذه التأثريّة هي المنهج الوحيد الذي يمكّننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها"[5].

ب- المعرفة اللغوية عند المبرِّد :

لقد عُرف المبرّد لغويًا[6]، وقد تنوّعت المادّة اللغوية التي عالجها في مؤلّفاته، حيث يعرض في كتابه الكامل لغات العرب ولهجاتهم ويوازن بينها، كما يعرض لعلم الأصوات في كتابه

---

[1] الصولي، أخبار أبي تمام، ص96، والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: 346هـ) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط:5، دار الأندلس، بيروت، 3،1983/481 . انظر باقي القول ص36 فيما سيأتي من البحث.

[2] انظر المبرّد، أبو العبّاس محمد بن يزيد المبرّد، (ت: 285)، **التعازي والمراثي**، ط:2، (تح / محمّد الدّيباجي)، دار صادر، بيروت، 1992، المقدّمة.

[3] ضيف، أحمد، **مقدّمة لدراسة بلاغة العرب**، ط:1، مطبعة السفور، القاهرة، 1921، ص93 و ص94

[4] سلام، زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص12و ص13

[5] لانسون ومايليه ، **منهج البحث في الأدب واللغة**، د.ط، (نقله إلى العربيّة/ محمد مندور)، دار العلم للملايين، بيروت، 1946م، ص29.

[6] انظر ابن النديم ، الفهرست، ص65 .

المقتضب بإسهاب، فقد اهتمّ بمخارج الحروف وغيرها ممّا له صلة بهذا العلم [١]، وغير ذلك من مسائل علم اللغة.

كما لم يكن المبرّد من المحافظين الذين رفضوا تطوّر اللغة، فاهتم بالقياس؛ وعدّه أحد المنابع والرّوافد التي تمدّ اللغة بالجديد من الكلمات والأساليب [٢]، فكان يؤمن بالتّوسّع اللغوي، يستنبط مجهولاً من معلوم بمقارنة كلمة بكلمات، أو صيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال، فنطق بما لم يرد قياساً على ما ورد، وهو قياس شاهد على غائب، فقال عن كلمة "أحمال" الواردة في بيت أبي مُحَلِّمٍ السّعدِيّ:

وبَيتُ طَلحَةَ في عِــزٍّ وَمَكرُمةٍ و بَيتُ فِندٍ إلى ربقٍ وَأحمال [٣]

" أراد جمع حَمَلٍ على القياس، كما تقول في جميع باب فَعَلٍ جَمَلٌ وأجمَالٌ، وصَنَــمٌ وأصنامٌ" [٤].

ج- الرّواية عند المبرد

من الجدير بالاهتمام الحديث عن الرواية عند المبرّد فنقد الشّعر وثيق الصلة بروايته، فإذا كان الأديب المنتج في حاجة إلى الرّواية؛ فالناقد كذلك في حاجة إلى الرّواية؛ كي لا يخطئ في معرفة الكلمة التي نطق بها الشّاعر، وحينئذ يكون نقده صحيحاً لا خطأ فيه، لذا اشتدت الحاجة بالناقد إلى الرواية [٥].

امتلأت مؤلفات المبرّد بروايات أشعار العرب وأخبارهم من قديم وحديث، يرويها عن أساتذته مثل الرياشي [٦] والتوزي [٧]، والمدائني [٨].

وكتاب الموشّح للمرزباني وغيره من الكتب زاخر بأخبار نقلها المبرّد، وسنُعرَض بعض نقولاته في صفحات لاحقة من البحث، وسيُكتفى الآن بمثال نقله المبرّد، كان قد جرى في

---

[١] انظر المبرّد، المقتضب، 92/1 وما بعدها.

[٢] انظر أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، ط:3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص7

[٣] الرِّبق: حبل فيه عِدة عُراً تشدّ به البهم وهي الصغار من أولاد الضّأن والمعز، والأحمال جمع حَمَل وهو الخروف ، يريد أن بيت طلحة مملوء من خيل وهي عزّ لأهلها وبيت فند مملوء من الغنم وهي ذل وهوان لأهلها . انظر المرصفي، سيد بن علي،(ت1931)، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، د.ط، مكتبة الأسد، طهران، 1970م، 41/4.

[٤] المبرّد،الكامل، 467/1

[٥] انظر بدوي، أحمد أحمد، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ط:1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996م، ص82.

[٦] انظر المبرّد، الكامل، 6/1

[٧] انظر المصدر نفسه، 69/1، و 119، و 148، وغيرها

[٨] انظر المصدر نفسه، 1399/3، و1460، وغيرها

مجلس الأصمعيّ، إذ قال: " قال أبو عمر الجرمي في مجلس الأصمعي: ما بقي شيء من العربيّة، والغريب، والشّعر إلا وقد أحكَمتُهُ فسمِعَه الأصمَعي، فقال: كيف تنشد هذا البيت:

قد كُنَّ يخبأنَ الوُجوهَ تستُّراً فالآنَ حينَ بَدَأنَ للنُّظَّار

أو: حينَ بَدَون ؟ فقال: حين بَدَينَ. فقال: خطأ ، فقال: حين بَدَأنَ ، قال: خطأ، إنّما هو بَدَون، من بدا يبدو: إذا ظَهَر،[فقال المبرّد:] وكان الجَرمي أجلّ من أن يُخطئ في هذا، ولكنّ الأصمعي غالطه ".[1]

ومن البحث في مؤلّفات المبرّد التي بين أيدينا يمكننا استخلاص منهجه في الرّواية، الذي يدلّ على دقته في تحري الرواية الصحيحة، فقد كان يأتي بالرّواية التي تصحُ عنده من بين روايات متعدّدة، وإن كان لا يذكر مبرّر الصّحّة عنده دائماً، فيقول في موضِع من كتابه الكامل متحدّثاً عن أحدهم: " وقد اختلفَ في خبره وأصحه عندنا ... " [2]، كما قال في موضع آخر: "وأحسنُ الرّوايتين :.."[3]، وقال في معرض حديثه عن أخبار يوم النّهروان: " وكان مقدار من أصاب عليّ منهم بالنّهروان ألفين وثماني مائة، في أصحّ الأقاويل".[4]

ونراه في مواضع أخرى يستحسن روايات دون غيرها، معلّلا استحسانه هذا، فيقول في بيت جرير:

والتّــــــــغلبيُّ إذا تَنَحنَح للقِرى حكَّ آستَه وتمثَّل الأمثالا

"سمعتُ من يُنشِد هذا الشّعر:

والتّـــــــــغلِبيُّ إذا تُنُبِّحَ لِلقِرى حكَّ آستَه وتمثَّل الأمثالا"[5]

وهذا بعد أن استحسن المبرّد الإنشاد الثاني لكونه أبلغ.

وقد كان للمبرّد رأي في تأكيد صحة روايات لرواة مشهورين أيضاً، فقد قال في بيت امرئ القيس:

قِفا نَبك مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ بسِقط اللّوَى بَينَ الدَّخُول وحَومَلِ

---

[1] العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، (ت: 395)، **شرح ما يقع فيه التّصحيف والتّحريف**، ط:1، (تح / عبد العزيز أحمد)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، 1963م، ص111.

[2] المبرّد، الكامل، 3/ 1186

[3] المصدر نفسه، 1/ 424

[4] المصدر نفسه، 3/ 1105

[5] المصدر نفسه 2/ 688

" كذا يروي الأصمعي، وهذه أصح الرّوايات "[1]، وقصد بذلك أن تروى وحومل بالواو وليس بالفاء.

وقال المبرّد في بيت جرير:

كأنّ حاديـــها لمّا أضرّ بها بازٍ يُصرَصِرِ[2] بالسَّهبَى قَطاً جُونَا[3]

" وأنشدني عُمارة بن عقيل (بازٍ يُصعصِعُ[4])، وهو أصحّ "[5]، ثمّ يذكر البيت في موضع آخر كما أنشده عمارة[6].

كما نجد المبرّد موضع ثقة الآخرين في روايته للشّعر، فقد ورد في كتاب النّوادر في اللّغة قول للمبرّد في بيت جميل بُثينة يظهر ذلك:

ألا لا أرى اثنين أحسَنَ شيمَةً على حَدَثان الدّهر مِنِّي ومِن جُـــمل

وهو ما جاء على لسان أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش إذ قال: " أخبرنا أبو العبّاس محمّد بن يزيد أنّه لا اختلاف بين أصحابه، أنّ الرّوايَة ألا لا أرى خِلَّين، وهذه هي الرّواية "[7].

وقد كان للمبرّد موقف من الرّواة، فإن أخطأ الرّاوي في روايته فهذا مغفور عند المبرّد، إن رجع هذا الراوي عن الخطأ، حيث نقل عنه:" إنّ الذي يغلط ثمّ يرجع، لا يعدّ ذلك خطأ لأنّه قد خرج منه برجوعه عنه، وإنّما الخطأ البيّن الذي يصرّ على خطائِه ولا يرجع عنه فذاك يعدّ كذّابا ملعونا "[8].

---

[1] المبرّد، الكامل، 1/ 325

[2] قال المبرّد: يصرصر: يعني يصوّت. انظر الكامل، 288/1

[3] قطا: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء،ويطير جماعات، وهومرقط اللون. انظر المعجم الوسيط، (قطا) . الجون: الأسود أو الأبيض انظر المصدر نفسه، (جان)

[4] يصعصع: خاف واضطرب.انظر المصدر نفسه، (صعصع)

[5] المبرّد، الكامل، 1/ 288

[6] انظر المصدر نفسه، 571/2

[7] الأنصاري، أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت ابن بشير بن أبي زيد، (ت: 215هـ)، **النوادر في اللغة**، ط:1، (تح/ محمد عبد القادر أحمد)، نشر جامعة الفاتح، استانبول، د.ت.، ص 525.

[8] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (ت:911هـ)،**المزهرفي علوم اللغة وأنواعها**، ط:3، (تح/ أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي)، دار عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1958م،320/2

د- شاعرية المبرّد

قيل عن الناقد البصير:" هو الذي قال الشّعر وعاناه ودفع إلى مضايقه، فعرف أسراره وخبر ضروراته، وأجاد فيه، واستطاع أن يبدع "[١]، وقد عرف المبرّد شاعراً فقد تناقلت كتب التّراجم أخبار شاعريته فقيل عنه:" لم يكن أبو العبّاس محمد بن يزيد على رياسته وتفرّده بمذهب أصحابه، وأربائه عليهم بفطنته وصحّة قريحته متخلّفاً في قول الشّعر، وكان لا ينتحل ذلك ولا يعتزي إليه، ولا يرسم نفسه به، وله أشعار كثيرة"[٢].

فقد نقل له ابن خلكان أبياتاً قال فيها:

حـــــبذا ماءُ العناقيــ د بريق الغانيــاتِ
بهـــــما ينبتُ لحمـــي و دمي أيَّ نبــاتِ
أيـــــها الطــالبُ شيئاً من لذيذ الشهواتِ
كُــل بمـــاءِ المُزن تفا ح خدودٍ ناعماتِ [٣]

كما أورد له ابن عبد ربّه أبياتاً:

ما القُربُ إلاّ لمن صَحّت مودتُــــهُ ولم يخُنكَ وليس القربُ للنّسبِ
كم من قريبٍ دويِّ الصّدر مُضطغِنٍ ومن بعيدٍ سليم غير مقتربِ [٤]

ومع قول القفطي عنه: " وكان له شعر جيّد كثير لا يدّعيه ولا يفخر به "[٥]، إلا أنّ هذه الأشعار لم يصل إلينا منها إلا اليسير، ولكنّ هذا القليل قد يكشف عن حضور بديهته وسرعة خاطره، فقد روى له المرزباني في معجم الشّعراء بعض أشعاره، وذلك حيث يخاطب المتوكل عند دخوله عليه: قال المتوكل: يا بصري، هل رأيت أحسن وجها منّي؟ فقال المبرّد: فقلت: لا، ولا أسمح راحة ثمّ تجاسرت فقلت:

جـــــــهرت بحلفة لا أتقيهـــا لشك في اليمين ولا ارتياب
بأنّك أحســـن الخلفاء وجـــهـــا وأسمح راحتيـــن ولا أحابي
وأن مطيعك الأعلى جـــــدودا ومن عاصاك يهوي في تباب

---

[١] سلاّم، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص10.
[٢] الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص 104
[٣] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 316/4.
[٤] ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 2 /144 .
[٥] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 247/3.

فقال لي: أحسنت وأجملت في حسن طبعك وبديهتك[1].

وللمبرّد أبياتٌ تدلّ على بديهته في قول الشعر[2]، فقد روى أحدهم[3] أنّ رجلاً أتاه على دابة على كتفه طيلسان أخضر، فلمّا رآه قام إليه فاعتنقه، فأكبر الرجل قيامه إليه، وقال: أتقوم إليّ يا أبا العباس؟ فقال له:

أيُنكَرُ أن أقـــــــومَ إذا بدا لي لأُكرِمَه وأعـظِمَه هِشــــامُ
ولا تعـــــجب لإسراعي إليه فإنّ لمثله ذُخِرَ القــــيامُ[4]

وفيما قاله المبرّد للقاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل من شعر، دليل على سرعة البديهة عنده في قول الشّعر وتقدير الآخرين لشعره، فقد قال المبرّد:" لما توفيت والدة القاضي إسماعيل رأيت من وجهه ما لم يقدر على ستره، وكان كل يعزّيه، وقد كان لا يسلو، فسلّمت عليه ثم أنشدته:

لـــعمري لئن غال ريب الزمان فساء لقد غال نفســـا حبيبة
ولــــكن عِلمي بما في الثـــوا ب عند المصيبة يُنسي المصيبة

فتفهم كلامي واستحسنه ودعا بدواة وكتبه، ثم انبسط وزالت عنه تلك الكآبة والجزع"[5].

هـ–الخبرة والمعرفة الضرورية:

لقد تحلى المبرّد بالخبرة الضّروريّة بالأدب الذي ينقده، وهذا من الأسس العلميّة المباشرة لفن النّقد الأدبي، "وذلك أن يكون الناقد ذا معرفة بالفنّ الأدبي الذي ينقده، ثم بما يلابسه من فنون وموضوعات أخرى"[6]، فلم يكن المبرّد ممّن يورد النّصوص الشّعريّة فحسب، بل نجده يُسهب في شرحها وتفسيرها أحيانا كثيرة، مستثمرًا قدراته اللّغويّة والنّحويّة أفضل استثمار،

---

[1] انظر المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، (ت: 384)، معجم الشّعراء، د.ط، (تح/ عبد الستار أحمد فراج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م، ص405–406. و الحصري، القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، (ت:413أو 453)، زهر الآداب وثمر الألباب، ط:3، (تح/محمد محيي الدين عبد الحميد) ، مطبعة السعادة، مصر، 1953م، 560/2 و561

[2] قول المبرّد في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحارث . انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، 247/3. وردّ المبرّد على رجل قال له: "تأخرت عنك لأنّ برذوني اعتلّ"– إذ ردّ عليه ببيت من الشّعر قاله على البديهة. انظر المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشّعراء، ص328–329.

[3] هو أحمد بن محمد بن بشار بن رجاء أبو بكر ويعرف بابن أبي العجوز .انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 400/4

[4] انظر القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، 249/3.

[5] الحموي، معجم الأدباء، 420/2

[6] الشايب، أحمد، أصول النّقد الأدبي، ط:8 مزيدة منقحة، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1973م، ص 148

فيفتح للقارئ المستغلق من النّص، موضّحاً ما يعتور فهمه من كلمات مستعصية، وهذا ما كان واضحًا في مؤلّفات المبرّد.

كما يضيف المبرّد في أحايين كثيرة إلى شروح بعض الأشعار المناسبات التي نُظمت فيها أو أنشدت؛ ليلقي عليها بعض الأضواء التي تفيد في توضيح معاني هذه الأشعار، فعلى سبيل المثال يذكر المبرّد سبب قول ليلى الأخيليّة:

دَعا قابضاً والمُرهفاتُ يَنُشنَهُ فقُبِّحت مَدعُوًّا ولَبَّيكَ داعــيا

فلَيـــــتَ عُبيدَ الله كان مكانَه صَريعاً ولم أسمع لِتَوبة ناعيا

فيقول: "وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حُمَيِّر العُقَيلِيَّ ثُمَّ الخَفاجِيَّ غزا فغنم، ثمّ انصرف فعرّسَ في طريقه فأمِنَ فقال، فنَدّت فرسُه[1]، فأحاط به عدُوه، ومعه عبيد الله أخوه وقابضٌ مولاه، فدعاهما فذبّبَ[2] عُبيدُ الله شيئاً وانهزما وقُتِلَ توبةُ ابن عمّ ليلى الأخيليّة"[3]، وقد كانت بينهما قصّة حبّ عذريّة فقالت كلماتها السّابقة فيه.

وقد يترجم المبرّد للشّاعر أوالأديب أيضاً؛ ليضع تحت أعين قرائه ما يمكن من معارف، تتصل به وبأدبه، وذلك ليساعدهم على الفهم الدّقيق لما راود الشّاعر من خواطر وخلجات وجدانيّة، فنراه يترجم لبشّار بن برد فيذكر ما يروي المتكلمون عنه بأنّه " كان يتعصّب للنّار على الأرض، ويصوّب رأي إبليس – لعنه الله – في امتناعِهِ من السّجود لآدم عليه السّلام "[4]، ويذكر أيضاً كيف قتله أمير المؤمنين المهدي على الإلحاد ، ثمّ لا يتردد في التشكيك بهذا[5].

كما نجد المبرّد يترجم لواصل بن عطاء فيوضح سبب إطلاق لقب غزّال عليه، وذلك فيما ورد في إنشاد الأصمعي للبيت التالي:

بـــــرئت من الخوارج لستَ منهم مِنَ الغَزّال منهم وابن بابِ[6]

---

[1] ندّ البعير ونحوه– نَدّاً وندوداً: نفر وشرَد. انظر المعجم الوسيط، (ندد)

[2] ذبّب: ذبّ أسرع في السّير. انظر المصدر نفسه، (ذبّ)

[3] المبرّد، الكامل، 3/ 1404

[4] المصدر نفسه، 3/1111

[5] انظر ص 185 فيما سيأتي من البحث.

[6] المبرّد، الكامل، 3/1110

فيقول: "كان يُكنَى أبا حذيفة وكان معتزليًا ولم يكن غزّالا ولكنّه كان يلقب بذلك؛ لأنّه كان يلزم الغزّالين ليعرف المتعففات من النّساء فيجعل صدقته لهن"[1]، فمن لا معرفة عنده يعتقد بأن واصل بن عطاء كان يعمل غزّالاً.

وتظهر معرفة المبرّد في إصداره الحكم على قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك، بأنّها تتقدّم شعره كلّه[2]، وكأنّ المبرّد قرأ وتبيّن مُجمل أشعار متمم، ثمّ انتقى منها هذه القصيدة، التي وجدها تتقدّم قصائده الأخرى في الغرض نفسه.

وبعد هذا، فهل نجح المبرّد في تحقيق بعض ما اشترط نقاد العربيّة في النّاقد ممّا لعب دوراً في قدرته على الفصل بين الرديء والجيّد؟

---

[1] المبرّد، الكامل، 1111/3

[2] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 13

الفصل الأوّل:

منهج المبرّد في النّقد الأدبي

نستطيع الكشف عن منهج المبرّد النقدي في الأشعار والأقوال التي اختارها وأوردها في مؤلّفاته، فكما قيل اختيار المرء وافِدُ عقله[1]، واختياره قطعة من عقله[2]، فما هو موضع الاختيار عند المبرّد من قول كل قائل؟

وضّح المبرّد موضع الاختيار عنده فقال:" مواقع الاختيار وموضع المطلوب من قول كلّ قائل إمّا لفصاحة، وإمّا لإغراب في معنى، وإمّا لسرق لطيف تبيّن فيه حذقه، كلّ ذلك وما أشبهه متبع مطلوب به "[3].

فالمتبع المطلوب الذي يختاره المبرّد من الأقوال هو القول الفصيح في لفظه، والغريب في معناه، وإن كان هذا المعنى متداولاً بين الشّعراء، نرى المبرّد يختار منه ما جاء بصياغة تخفي السرقة فيه، وقد وضّح المبرّد في مؤلّفه الفاضل قصده من الاختيار فقال:" قصدنا فيما نحكيه في كتابنا هذا حُسن الاختيار وكثرة الاختصار، وذكر ما يُستغنى به عن غيره، ويُقنع بمثله عن نظيره، وإنّما نذكر في كل باب أحسنَ ما روى لنا فيه، وأطرف ما نمى إلينا منه"[4].

يختار المبرّد الأحسن والأطرف في نظره والأكثر اختصاراً، وهو ما يستغنى به عن غيره، وإن أورد المبرّد أشعاراً جاءت على غير هذه الصفة فقصده في هذا عيبها، وهذا ما يوضّح منهجه النقدي أكثر.

وسيفصّل ما تقدّم في صفحات لاحقة من البحث، ولكنّنا أردنا التنويه إلى أنّ اختيار المبرّد للأشعار والأقوال في مؤلّفاته كان مبنياً على منهج نقدي هو ما نحاول استخلاصه، وفي هذا ردّ على من اتّهم المبرّد بسوء اختياره للأشعار والأقوال التي أوردها في كتابه الرّوضة، الذي أثار حفيظة المتعصبين لأبي نواس مثلاً، وهو ما أورده ابن عبد ربّه قائلاً:" ألا ترى أن محمد بن يزيد النّحوي – على علمه باللغة ومعرفته باللسان – وضع كتابا سمّاه بالرّوضة، وقصد فيه إلى أخيار الشّعراء المحدثين، فلم يختر لكلّ شاعر إلا أبرد ما وجد له، حتّى انتهى إلى الحسن بن هانئ – وقلّما يأتي له بيت ضعيف، لرقة فطنته، وسبوطة بنيته، وعذوبة ألفاظه – فاستخرج له من البرد أبياتا ما سمعناها ولا رويناها، ولا ندري من أين وقع عليها ...، وقد تخيّر لأبي العتاهية أشعاراً تقتل من بردها ...ونظير هذا من سوء الاختيار" [5]، ومع عدم وجود مؤلّف

---

[1] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 1/ 3.

[2] انظر الجاحظ، البيان والتبيين، 75/1

[3] المرزباني، الموشّح، ص320

[4] انظر المبرّد، الفاضل، ص 68.

[5] ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 7/ 7.

الروضة للمبرد بين أيدينا؛ لنقف على ما أورد المبرّد من أشعار وأقوالٍ فيه؛ ولنحكم على اختيارات المبرّد الشّعريّة فيه، إلا أنّنا نستطيع ردّ هذا الاتهام بما أورد المبرّد من أشعار وأقوال فيما وصل إلينا من مؤلّفاته، مع معرفة الأسباب التي جعلته يوردها، فنخرج من هذا بمنهج المبرّد النقدي الذي بنى عليه استحسانه للأشعار والأقوال أو عيبه لها، وهذا ما سيبنى عليه بحثنا.

كما يمكننا التّوصل إلى منهج المبرّد النقدي من **الموازنات** التي أقامها بين الشّعر، و بين النّثر و بين الشّعر والنّثر، فقد أظهر المبرّد أسساً للموازنة وبيّن **مظاهرها**، وقد كانت موازناته هذه **موضوعية**، بعيدة عن التّعصب للأشخاص والأزمان.

أوّلا : الموازنة عند المبرّد

نشطت الموازنة بين الشّعراء في القرن الثالث على يد جماعتين: **الأولى** هم الأدباء الذين وازنوا بين الشّعراء، واتّسعوا في الموازنة بينهم وألّفوا الرّسائل في ذلك [1]، كرسالة أبي أحمد المنجم في المفاضلة بين العباس بن الأحنف والعتّابي [2].

والجماعة الثّانيّة من متقدمي النّحويين واللّغويين الذين استحسنوا أبياتاً في معنى بعينه، أو استجادوا قصيدة كاملة، أو كانوا يوازنون بين شعر وشعر، وكان منهم المبرّد، وإن لم يخصّص مؤلّفات أو رسائل لعقد موازنات بين الشّعراء، إلاّ أنّنا نستطيع ترتيب ما جاء من موازنات بين الشعراء في مؤلفاته لنخرج بأسس هذه الموازنات ومظاهرها.

-أسس الموازنة عند المبرّد :

رسم المبرّد أسساً للموازنة بين الأشعار، فكانت الموازنة عنده بين الشّيئين إذا كانا من جنس واحد[3]، فنراه يقول في موازنة عقدت في مجلس عبد الملك بن مروان بين الفرزدق ونصيب حيث فضّل فيها سليمان قول نُصيب على قول الفرزدق، فيقول المبرّد: " وليس شعر نصيب هذا الذي ذكرناه في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر وإنّما يُفاضل بين الشّيئين إذا تناسبا "[4]، وكأنّ المبرّد رفض الحكم الذي أصدره سليمان على الشّاعرين، وذلك لاختلاف الغرض الشّعري عند كلّ منهما، فقد وازن سليمان بين قول نصيب في المدح و قول الفرزدق

---

[1] انظر حسين، صبحي ناصر، أبو بكر الصّولي ناقداً، ط:1، جامعة بغداد، دار الجاحظ للطّباعة والنّشر – بغداد – 1975م، ص105

[2] . انظر المرزباني، الموشح، ص293

[3] قال المبرّد: " إنّما يُفاضل بين شيئين إذا كانا من جنس واحد، فيقال: هذا أكبر من هذا : إذا شاكله في باب". المبرّد، الكامل، 2/ 877.

[4] المصدر نفسه، 239/1

في الفخر، وفضّل قول نصيب على قول الفرزدق، مع اختلاف الغرض في القولين، وهذا ما جعل المبرّد يرفض حكمه هذا.

وحين يوازن المبرّد بين شاعرين، نجده يختار أموراً محدّدة يوازن بينها عند الشاعرين، وهذا ما كان في الموازنة التي عقدها المبرّد بين شعر البحتري وشعر أبي تمام، فقد روي عنه أنّه قال وقد سئل عن أبي تمّام والبحتري أيّهما أشعر؟ فقال: " لأبي تمام استخراجات لطيفة، ومعان ظريفة، وجيّده أجود من شعر البحتري ومن شعر من تقدّمه من المحدثين، وشعر البحتري أحسن استواء من شعر أبي تمّام؛ لأنّ البحتري يقول القصيدة كلّها، فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب، وأبو تمام يقول البيت النادر [1] ويتبعه البيت السّخيف، وما أشبّهه إلاّ بغائص البحر يخرج الدرة والمخشلبة[2]، فيجعلها [كذا والصواب فيجعلهما] في نظام واحد، وإنّما يؤتى هو وكثير من الشّعراء من البخل بأشعارهم، وإلاّ فلو أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه"[3] .

من هذا الحكم الذي أصدره المبرّد، نلحظ ذوق المبرّد، فهو يستحسن الشّعر المستوي الذي يخلو من الرديء، وهذا ما كان يراه المبرّد في شعر البحتري، ويعيب شعر أبي تمام لكونه لا يسقط من أشعاره شيئاً، فيظهر التفاوت الواضح في شعره، وهذا يقودنا للحديث عن رأي المبرّد في تنقيح الشّعر وهو ما سنتحدّث عنه لاحقاً [4]، كما نرى من حكمه هذا موضوعيّة المبرّد في موازناته وهو ما سنخوض الحديث فيه أيضاً.

-مظاهر الموازنة عند المبرّد :

أ. موازنة المبرّد بين الشعر:

ظهرت الموازنة عند المبرّد في استحسانه لأبيات في معنى بعينه واستجادته له، في ذكر كيف كثرت أقوال الشّعراء في الثّريا وفضّل قول امرئ القيس فيها:

إذا ما الثُّرَيَّا في السَّماء تَعَرَّضت تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ [5]

---

[1] الشّعر النّادر : هو الذي يستفزّ القلب ، ويحمي المزاج في استحسانه . انظر ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي،(ت: 584)، **البديع في البديع في نقد الشعر** ،ط:1، (تح/عبد آ.علي مهنّا)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان،1987م، ص231.

[2] المخشلبة : خرز أبيض يشبه اللؤلؤ . انظر الصولي، أخبار أبي تمام، ص 96

[3] الصولي، أخبار أبي تمام، ص96، والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 481/3 .

[4] انظر تنقيح الشعر عند المبرّد 76 وما بعدها فيما سيأتي.

[5] المبرّد، الكامل، 923/2. الوشاح:نسيج عريض يرصع بالجواهر، انظر المعجم الوسيط (وشح)

وذلك لإجادة امرئ القيس في قرب المعنى ولسهولة ألفاظه فقد أكثر الشّعراء في الثريا ولكنّهم في رأي المبرّد:" لم يأتوا بما يُقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ "[١]، فقد أجاد امرؤ القيس أداء هذا المعنى في قالب فني جميل، فكساه بلفظ عذب وسهل لذا كان أجدر بالتقدم والتّفوق عند المبرّد.

كما استجاد المبرّد بيت أعشى باهلة في الرثاء:

لا يتأرّى لِما في القِدرِ يرقُبُهُ ولا تراهُ أمـــــــام القومِ يَقتَفِرُ [٢]

قال فيه: " ولا نعلمُ بيتاً في هذا المعنى [همّته ليست في المطعم والمشرب] من يُمن النّقيبة [٣] وبركة الطلعة، أبرع من هذا، فإنّما نملي هذا الضّرب من العيون"[٤].

وقد ظهرت الموازنة عند المبرّد بين أبيات في معنى، فيوازن بين قول الأعشى:

وتبـــــــــرُدُ برد رداء العرو س بالصّيف رقرقت فيه العبيرا
وتســـــــــخُن ليلة لا يستطيـــ ـع أن ينبح الكلبُ إلاّ هـــريرا [٥]

وقول طرفة:

يطـــــــــــرُدُ البرد بحرٍّ ساخنٍ وعَكيكَ القيظ إن جاء بـــــقرّ

فيستجيد بيت طرفة لكونه أجمع وأخصر، ويعيب قول الأعشى لأنّه أتى به في بيتين وطوّل به الخطاب[٦]

ووازن المبرّد بين أشعار الشّاعر الواحد؛ فقارن بين قصائد متمّم بن نويرة، وقدّم قصيدته العينيّة في رثائه لأخيه مالك على باقي أشعاره، إذ يقول: " على أنّ سائر أشعاره غير

---

[١] المبرّد، الكامل، 2/ 923

[٢] ائترى فلان بالمكان: أقام به ولزمه. انظر، المعجم الوسيط، (أرّى). يقتفر: يجوع. انظر المصدر نفسه، (قفر)

[٣] اليمن: البركة، انظر ابن منظور، لسان العرب، باب النون، فصل الياء، (يمن). النقيبة: السجيّة.انظر، المعجم الوسيط، (نقب).

[٤] المبرّد، التعازي والمراثي، ص25

[٥] يصف الشاعر امرأة فيقول: هي في الصّيف باردة رطيب الجسم، عبقة الرّائحة، كأنّها رداء العروس نثرت عليه العطور، وهي في الشتاء دافئة يتدفق جسمها بالحرارة ، حين ينكمش الكلب من شدّة البرد، فلا يستطيع النباح إلاّ هريراً خافتاً مكظوما. انظر الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، (ت:7هـ)، الديوان، ط:7، مؤسسة الرسالة، بيروت،1983م، ص144.

[٦] انظر المبرّد، البلاغة، ص83.

مذموم وإن تقدمتهنّ العينية "[١]، وعلّل تفضيله للعينية لما فيها من حرّ الكلام وصادق المدح[٢]وقد يوازن المبرّد بين بيتين من قصيدتين مختلفتين للشّاعر الواحد، فيعيب بيتاً ويستحسن آخر معلّلاً ذلك، مستغرباً وقوع القولين المختلفين في الجودة من الشّخص نفسه، فعاب على الفرزدق قوله:

وَما مِثلُهُ في النَّاسِ إلاّ مُملَكاً أبو أمِّهِ حَـــــــيٌّ أبوهُ يُقارِبُه [٣]

لكونه:" من أقبح الضّرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني" [٤]

ومن جانب آخر نراه يستحسن قولا آخر للفرزدق في قصيدة أخرى حيث يقول:

والشّيبُ يَنهَضُ في السَّوادِ كَأنّهُ لَيلٌ يَصـــــــيحُ بِجانِبَيهِ نَهارُ

لكونه:" أوضح معنىً، وأعرب لفظٍ وأقرب مأخذٍ"[٥].

وقد وازن المبرّد بين قولين لأبي نواس، في قصيدة واحدة ففضّل وصف الشاعر لممدوحه بعراقة النّسب وأنّه مُعمٌ مُخولٌ، فيقول:

وكـــــــــريمُ الخالِ من يَمَنٍ [٦] وكــــــريمُ العَمِّ من مُضَرِه

وقد أضاف أبو نواس اسم القبيلة مضر إلى ضمير الممدوح[٧].

واستهجن المبرّد قول أبي نواس:

كيـــــــــف لا يُدنيكَ مِن أمَلٍ مَن رسولُ اللهِ مِـــــن نَفَرِه

فقال في هذا البيت: وهو لعمري كلام مستهجن موضوعٌ في غير موضعه، وذلك لأنّ حقّ رسول اللّه أن يُضافَ إليه ولا يُضافَ إلى غيره[٨]

---

[١] المبرّد، التّعازي والمراثي ص13. انظر بعض أبياتها ص151 فيما سيأتي من البحث.

[٢] انظر التعازي والمراثي، ص15

[٣] المبرّد، الكامل، 1/ 42 .

[٤] المصدر نفسه، 1/ 41 .

[٥] المصدر نفسه،1/ 42

[٦] يشير إلى أنّ أمّه يمينية . انظر أبا نواس، الحسن بن هانئ، (ت: 199هـ)، **ديوان أبي نواس**، (شرحه وضبط نصوصه عمر فاروق الطباع)، ط:1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998م، ص283.

[٧] انظر المبرّد، الكامل، 2/ 529 ، وقد كان هذا في مدحه للعباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور. انظر المصدر نفسه 2/529

[٨] انظر المصدر نفسه، 2/ 528

وقد يكتفي المبرّد بنقل موازنات الآخرين دون أن يُظهر رأيه في هذه الموازنات، يقول: "قيل لبشر بن مروان: أيُما أشعر، جرير أم الفرزدق أم الأخطل؟ فقال: والله ما كان الأخطل مثلهما، ولكن أبت ربيعة إلا أن تجعله ثالثاً، قال : أجرير أم الفرزدق؟ فقال: إنّ جريراً سلك أساليب من الشّعر لم يسلكها الفرزدق، ولقد ماتت النّوار وكانوا ينوحون عليها بشعر جرير. وكان الأصمعي يقول: قال أبو عمرو بن العلاء: الأخطل ثمّ الفرزدق ثمّ جرير، وكان أبو عبيدة[1] يقول بمثل قول أبي عمرو"[2].

كما ينقل المبرّد قول النّوار، وقد سألها الفرزدق: أنا أشعر أم جرير؟ قالت: " إنّك لشاعر وإنّ جريراً والله لشاعر، قال أتقسمين على جرير، قالت إنّه والله غلبك على حلوه وشاركك في مرّه"[3].

ب. موازنة المبرّد بين النّثر:

لم تقتصر الموازنة عند المبرّد في الشّعر، بل نجده يوازن بين الخطبتين في الموضوع ذاته، فيذكر خطبة للجُمَحيّ كانت لنكاح إذ ردّ زيد بن علي بن الحسين عليه بكلام جيّد في الموضوع نفسه، ومع إجادة الجمحيّ في خطبته؛ إلاّ أنّ المبرّد فضّل خطبة زيد، وذلك لتمكينه الحروف، وحُسن مخارج الكلام عنده، وهذا ما لم يستطعه الجمحي؛ لكونه منزوع إحدى الثنيّتين، فقد كان يصفر إذا تكلّم[4].

ج. موازنة المبرّد بين الشعر والنثر:

كما وازن المبرد بين الشّعر والنّثر، فوازن بين قول لبيد:

فإن أنت لم يَنفعك عِلمُك فاعتبر لعلّك تُسليك القرون الأوائل

فإن لم تجد من دون عدنان والداً ودون معد فلتزعك العواذل

وقول الحسن البصري:" إنّ امرأ لا يعدّ بينه وبين آدم أبا حَيّاً، لَمُعرَقٌ له في الموت"، ففضّل قول الحسن على قول لبيد لأنّه أكثر اختصاراً، مع سبق لبيد للمعنى. كما وازن المبرّد

---

[1] هو أبو عبيدة مَعمَر بن المثنى التيمي، انظر الحموي، معجم الأدباء، 282/7.

[2] المبرّد، الفاضل، ص 108.

[3] المصدر نفسه، ص 108.

[4] انظر المبرّد، الكامل، 3/ 1113

بينهما في الوزن فقال: "وكلام الحسن أخصر، وكلام لبيد أوزن "[1]، وأظنّه فضّل الاتزان التركيبي أو الأسلوبي في قول لبيد ولم يقصد الوزن الشعري.

فإنْ أحسن الأدباء والشّعراء وأجاد كلّ منهم في قوله، فكان كلامهم حسنا مختصرًا، فالأفضل منهم عند المبرّد "لأوزنهم كلاماً وأسبقهم إلى المعنى"[2].

لذا نجد المبرّد حين يوازن بين الشّعر والنثر في المعنى نفسه، وهذا ما كان في كلام الرّبيع بن خُثَيم عندما قيل له:" قتلت نفسك "[3]، لما وجد عنده من الإغراق في العبادة والانهماك في الصّوم والصّلاة وسائر سبل الخير، فيردّ على القائل:"راحتها أطلب"، نجد المبرّد يستحسن قول الشّاعر في المعنى ذاته:

سأطلُبُ بُعدَ الدّار منكم لتقربوا وتَسكُبُ عيناي الدّموع لتجمدا[4]

وكان هذا لاشتراك النثر والشعر في إحاطة القول بالمعنى والاختصار، كما فضّل المبرّد الأسبق في المعنى منهما تحت الشّروط نفسها ــ أي الاشتراك في إحاطة القول بالمعنى والاختصار.

ولكنّ المبرّد يبعد القرآن الكريم عن موازناته هذه فأفضل القول عنده قوله تعالى، فإن ورد المعنى الواحد بين آية قرآنيّة وقول شاعر، يفضّل المبرّد القرآن الكريم، وإن كان الشّاعر مجيداً، ويتقدّم قوله كلام كثير من المخلوقين، فكلامه هذا لا يُقارن بالقرآن الكريم عند المبرّد، وهذا ما كان في قول أجاد فيه الشّاعر– كما ذكر المبرّد – إذ قال:

زواملُ[5] للأشعار لا علم عندهم بجيّدها إلا كعـــــــلم الأباعر

لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساقه أو راح ما في الغرائر

---

[1] انظر المبرّد، البلاغة، ص 87.

[2] المصدر نفسه، ص 90.

[3] المصدر نفسه، ص 85.

[4] المصدر نفسه، ص85

[5] الزوامل: ما يحمل عليه من الإبل وغيرها. انظر المعجم الوسيط، (زمل).

فيعلّق المبرّد على البيتين: " فهيهات هذا من قول الله تعالى"[1]، ثمّ يذكر قوله تعالى:

﴿ مثلُ الذين حُمِّلوا التّوراةَ ثمّ لم يَحمِلوها، كمَثَل الحِمار يَحمِلُ أسفاراً ﴾[2]، فكلام الشّاعر عند المبرّد لا يُقارن بما جاء به القرآن الكريم في المعنى نفسه.

الموضوعيّة في الموازنة :

تحلّى المبرّد بالموضوعيّة في موازناته بين الشّعراء، فهو لا يهتم بشهرة بعضهم على بعض، وحين يوازن بين قول شاعر مغمور، وآخر مشهور، نجده يفضّل قول المغمور على المشهور لإجادته فيه، وهذا ما كان في تفضيله قصيدة لأبي شراعة القيسي لكلامها الفصيح ومعانيها الواضحة على قول أبي نواس الذي وصفه المبرّد بالسّاقط:

لـــــقد اتقيـــــــتَ الله حقّ تُقاته وجهدت نفسك فوق جهد المتّقي

وأخـــــفت أهل الشّرك حتّى إنّه لتخافك النطف التي لـــم تخلق [3]

وذلك لأنّ أبا نواس يصف المخلوقين بصفة الخالق عزّ وجلّ، وثمّة حديث في هذا حين نتحدّث عن الإحالة، فلم يكن تفضيل المبرّد لقول شاعر – وإن كان مغموراً – غريباً على المبرّد، فاستحسانه دائماً للجمال الفني، وكان للمبرّد دور في الكشف عن شخصيات شعريّة مغمورة منها إبراهيم السّواق الشّاعر مولى آل المهلّب [4]، والشّاعر يعقوب بن الرّبيع الذي استطرف المبرّد شعره[5].

كما نجد المبرّد يعقد موازنة بين الشعراء المشهورين، ليظهر النقص الذي قد يوجد أحياناً في أشعارهم، غير متعصّب لشهرتهم، وهذا ما ورد في موازنته بين أبي تمام وأبي نواس فيقول:" وإنّما ذكرنا اثنين قد أومئ إلى كل واحد منهما في وقته، وأغرق في وصفه، لنعلم ما في المخلوقين من النّقص، وأنّ لكلّ واحدٍ المذهب والمذهبين ونحو ذلك، ثمّ يجتذبه ما فيه من الضّعف، لتعرف مواقع الاختيار، وموضع المطلوب من قول كلّ قائل ... "[6].

---

[1] المبرّد، البلاغة، ص 91

[2] سورة الجمعة: 5

[3] المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران،(ت:384)، الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة،1924، ص320. لم ترد قصيدة أبي شراعة القيسي في الموشّح ولا حتى بيت منها، وقيل أنّ المبرّد علّق عليها بعد أن أنشدها .

[4] االمبرّد، لكامل، 545/2

[5] المصدر نفسه، 1465/3

[6] المرزباني، الموشّح، ص320

فالمبرّد يوازن بين أشعار أبي نواس، فيستحسن عند أبي نواس أبياتاً لبراعتها ونقائها وحسن الوصف فيها واستقامة لفظها:

أمـــــام خميس أرجوان كأنّـــــه قميصٌ محوك مـــــــن قناً وجـــياد
فمـــــا هو إلا الدهرُ يأتي بصرفه على كلّ مـــــــن يشقى به ويعادي

و يعيب عليه أبياتاً أخرى ظهر سقوطها لغلوها وإحالتها [١]، ثمّ يتناول هذه الأبيات التي عابها عند أبي نواس فيوازنها بأبيات لأبي تمام:

إذا افتـــــخرت يوما تميمٌ بقوسها حفاظا على ما وطّدت من مناســـب
فأنتــــــم بذي قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب [٢]

فيستحسن أبيات أبي تمام لصحة معناها ولطافتها، ثمّ يختار لأبي تمام أبياتاً يعيبها عليه:

تثفـــــّى الحرب منه حين تغلي مراجلــــــــــها [٣] بشيطان رجيم [٤]

ثمّ يوازنها بأبيات أبي نواس التي عابها سابقاً لغلوها، فيجد أبيات أبي نواس أفضل من أبيات أبي تمام التي استقبحها؛ لخروج أبي تمام فيها عن الألفاظ المألوفة في المدح [٥].

إنّ هذا النوع من الموازنات التي يعقدها المبرّد بين الشّعراء المشهورين يستحسن أبياتاً ويستقبح أخرى، يشير إلى مبلغ الموضوعيّة في أحكامه على الشّعراء، فكلّ منهم عنده نقص يظهر أحياناً في شعره، وقد يكون هذا العيب أو النقص في شعر الشاعر مقبولا أكثر عند المبرّد من عيب أو نقص يظهر في شعر آخر.

كما أنّ استحسان المبرّد لبيتين مجهولي النسب دليل على عدم تعصّبه للشّعراء، وكان هذا فيما رواه محمد بن عبيد الله الكاتب، من استحسان المبرّد لبيتين، لم يكن المبرّد يظن بوجود أحسن منهما:

---

[١] انظر بيتي أبي نواس ص41 فيما سبق

[٢] ذو قار: هي الموقعة التي جرت بين العرب والفرس وانتصر فيها العرب، كانت تميم في الجاهليّة تفخر بقوس مرهونة عند كسرى كعهد. انظر الحاوي، إيليا، **شرح ديوان أبي تمام**، ط:1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1981، ص86

[٣] تثفى: من الأثافي، الموقد. المراجل: جمع المرجل، القدر. انظر الحاوي، إيليا، شرح ديوان أبي تمام، ص495.

[٤] المرزباني، الموشّح، ص320

[٥] انظر المصدر نفسه، ص320

جسمي معي غير أنّ الرّوح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن

فليعجب الناس منّي أن لي بدنـــــا لا روح فيه ولي روح بلا بـــــدن [1]

ولم تنجح محاولات محمد بن عبيد الله الكاتب تغيير رأي المبرّد في هذين البيتين، وذلك بذكره لأبيات أخرى مشهورة لشعراء مختلفين، فالمبرّد يعجب بالبيتين ويتمسّك بإعجابه، مع أنهما غير معروفي النّسب [2]. كما ورد في كتاب المبرّد "التعازي والمراثي" ما يشير إلى رفض المبرّد تعصّب الآخرين للشّعراء، فيقول:

" وكان الحسن بن وهب يقدّم حبيب بن أوس أبا تمّام الطّائي تقديماً يتجاوزُ فيه، ولا يرى له في الشّعر نِدّاً قديماً فضلاً عن حديث ... "[3]، وكأنّ المبرّد ينكر موقف الحسن بن وهب من أبي تمّام، لما فيه من تعصّب له، فهو لا يرى له في الشّعر ندّاً قديما ولا حديثا.

ويظهر ممّا سبق كم كان المبرّد موضوعياً في نقده، يحتكم للجمال الفنّي دائماً، بعيدًا عن التّعصّب" فالتّعصّب بمعناه النّفسي هو الانحياز كليّة إلى ما نتعصّب له فلا نرى فيه إلاّ الخير، ونقلب سيئاته حسنات مسوقين بالهوى، متمحلين الأسباب لتجميل القبيح والمبالغة في قيمة الحسن"[4]، وهذا لا نجده في مؤلفات المبرّد لا للأشخاص ولا للعصور.

أوّلا: المبرِّد لا يتعصّب للشعراء :

أ -المبرّد وشعراء النقائض

فحين تطرّق المبرّد في مؤلّفاته لشعراء النّقائض: الأخطل والفرزدق وجرير لم يظهر تعصبه لأحدهم على الآخر؛ فقد أورد المبرّد للأخطل بيتاً يعيّر فيه جريراً، ووضّح المبرّد توجّع جرير من هذا البيت، وقد علّل المبرّد هذا بأنّ الأخطل جمع في بيته ضروباً من الهجاء والشّتم في قوله:

قــومٌ إذا استنبَحَ الأضيافُ كَلبَهُمُ قالوا لأُمِّهُمُ : بولِي على النّار [5]

---

[1] انظر الحموي، معجم الأدباء، 121/1

[2] فقد نسبهما صاحب الأغاني لابن أبي عيينة . انظر الأصفهاني، الأغاني، 5/ 234. كما نسبهما المرزباني لمحمد بن أحمد بن أبي مرة أبي عمارة المكي. انظر المرزباني، معجم الشعراء ص 405

[3] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 182

[4] مندور، محمد، النّقد المنهجي عند العرب، ط:1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1948، ص95

[5] المبرّد، الكامل،1406/3

وكأنّ المبرّد هنا يشهد للأخطل بقدرته وتفوّقه على جرير في الهجاء، ونراه في موضع آخر يذكر بيتين لجرير يهجو بهما الأخطل [1]، لم يستطع الأخطل الرّد عليهما وكأنّ المبرّد هنا يشير أيضاً إلى تفوّق جرير على الأخطل في الهجاء، فالمبرّد لم يكن متعصّباً لأيٍّ منهما فقد ذكر تفوّق كلّ منهما في هجائه للآخر .

وقد تحدّث الرّواة عن تفضيل المبرّد فرزدق على جرير [2]، وذلك لحرص الفرزدق على الملاءمة والتّناسب بين أبياته الشّعريّة – وهو ما استحسنه المبرّد – فقد قال فيه:" الفرزدق يجيء بالبيت وأخيه، وجرير يأتي بالبيت وابن عمّه " [3]، فهل كان تفضيل المبرّد للفرزدق تفضيلاً مطلقاً، يظهر فيه التعصّب له، أو لشعره؟

لم يظهر تعصّب المبرّد للفرزدق في مؤلّفاته، فكما أورد المبرّد أبياتاً للفرزدق أثنى عليها واستحسنها، أورد له أبياتاً عابها عليه، وقد أشاد المبرّد بكلام الفرزدق الفصيح في قوله:

منّا الذي اختيرَ الرِّجالَ سَماحَةً وجُودا إذا هَبّ الرِّياحُ الزَّعازعُ [4]

ولكنّه عاب عليه قوله:

وما مثلُهُ فـي النَّاس إلا مُمَلَّكاً أبو أمّهِ حَيٌّ أبـــــــوهُ يُقاربُه [5]

فلم يظهر تفضيل المبرّد للفرزدق على جرير في مؤلّفاته تفضيلاً مطلقاً يصل إلى درجة التّعصّب له، فإن كانت تعجبه أبيات للفرزدق فقد استحسن أبياتا لجرير أيضاً، وفضّلها على قول للفرزدق فيقول: " عيب على الفرزدق قوله:

يا أخـــت ناجية بن سامة إنّني أخشى عليك بنيَّ إن طلبوا دمي

وقالوا: ما للمتغزّل وذكر الأولاد والاحتجاج بطلب الثّارات، هلا قال كما قال جرير:

قتلننا ثمّ لـــــم يحيين قتلانا" [6]

---

[1] انظر المبرّد، الكامل ، 688/2

[2] انظر المرزباني، الموشّح، ص121

[3] المصدر نفسه، ص121

[4] المبرّد، الكامل، 48/1. الزعازع من الريح: الشديدة. انظر، المعجم الوسيط، (زعزع)

[5] انظر البيت ص38 فيما سبق من البحث .

[6] المرزباني، الموشّح ص 115، و291

وإن كان المبرّد يستشهد بأشعار الفرزدق لشرح قضيّة لغوية[1]، فهو يفعل ذلك مع جرير أيضاً[2]، كما كان عدد المواضع التي ذكر فيها المبرّد أبياتاً لجرير في كتابه الكامل على سبيل المثال مقاربا لتلك المرات التي ذكر فيها أبياتاً للفرزدق.

كما يؤكّد المبرّد في مؤلّفاته اختلاف الآراء حول هذين الشّاعرين، فينقل لنا قولاً لأحدهم (يونس بن حبيب): " ما شهدت مشهداً قط ذكرا فيه، فاتّفق أهل ذلك المجلس على أحدهما"[3].

وقد اهتمّ المبرّد بذكر آراء من فضّل جريراً على الفرزدق ومن فضّل الفرزدق على جرير، دون أن يعلّق على هذه الآراء، مع أنّ الأمر يستدعي ذلك لو كان متعصّباً لأحدهما، فذكر المبرّد سؤال محمد بن سلام الجمحي لأعرابي، قال له:" أيهما أشعر عندك فقال: بيوت الشّعر أربعة فخر ومدح وهجاء ونسيب، وفي كلّها غلب جرير"[4].

كما يذكر لنا المبرّد من فضّل الفرزدق على جرير فقال:" وسئل يونس بن حبيب عنهما فأجاب أبو عبيدة[5] للسائل: أنا أخبرك عنه، الفرزدق أشعر"[6]. كما نقل المبرّد إجابة ابن دأب حين سئل عنهما فقال:" الفرزدق أشعر عامّة وجرير أشعر خاصّة "[7].

---

[1] إذ قال المبرّد: " وهذا جمع يجيء كثيرا وذلك أنّه موضع تلزمه الكسرة فتُشبع فتصير ياء، يقال في خاتم خواتيم وفي دانق دوانيق وفي طابق طوابيق قال الفرزدق في مثل هذا الجمع:

تنفي يداها الحصى في كلّ هاجرةٍ نفي الدراهيم تنقاد الصياريف. انظر المبرّد، الكامل، 329/1

كما قال في أصل التشذيب القطع مستشهدا بقول الفرزدق :

عضّت سيوف تميم حين أغضبها رأسَ ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا . انظر المصدر نفسه، 314/1

[2] يشرح المبرّد كلمة كلم إذ يقول: " كل جرح صغر أو كبر فهو كلم" ثمّ يستشهد بقول جرير :

تواصت من تكرمها قريشٌ بردّ الخيل دامية الكلوم . انظر المصدر نفسه، 37/1

ويقول المبرّد :" تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة" مستشهداً بقول جرير :

لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنّواقيس. انظر المصدر نفسه، 1478/3

[3] المبرّد، الفاضل، ص 108.

[4] المصدر نفسه، ص109

[5] هو أبو عبيدة مَعمَر بن المثنى، انظر ص 39 ، فيما سبق.

[6] المبرّد، الفاضل، ص 108

[7] المصدر نفسه، ص 108– 109. وقد قال ابن خلّكان في وفياته: " الفرزدق أشعر خاصّة وجرير أشعر عامّة " انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 321/1، دون أن ينسب القول لابن دأب بل نسبه لابن سلام مباشرة، وهذا يُخالِف ما ورد في فاضل المبرد، و يخالف أيضا ما ورد في كتاب ابن سلام نفسه. انظر الجمحي، محمد بن سلام،300/1. مما قد يشير إلى أنّ تحريفاً وقع في وفيات الأعيان.

ب- المبرِّد بين البحتري وأبي تمام:

اتهمّ المبرّد بالتّعصّب للبحتري على أبي تمام، ذهب إلى ذلك البسيوني أحمد منصور [1]، وعلي محمد حسن العماري[2]، وأبو الحسن عبد الله الخطيب[3].

فما هي الأسباب التي دعت العماري على سبيل المثال لاتّهام المبرّد بهذا التّعصب للبحتري، وأين المبرّد من هذا ؟

لقد استدل العماري على رأيه في تعصّب المبرّد للبحتري بما قاله أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُستويه بعد أن استحسن المبرّد بيتين للبحتري وجده ابن دُرُستويه استحساناً مسرفًا، إذ قال المبرّد في بيتي البحتري: "ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة، والعبارة العذبة لأحد تقدّمك ولا تأخّر عنك"[4]، وكأنّ ابن دُرُستويه رفض حكم المبرّد ضمنياً، وذلك بتعليقه على أبيات البحتري بقوله: " يا أبا عبادة! لم تسبق إلى هذا! بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب إلى البيت الأوّل"، وذكر له بيتين، كما قال له: " وشركك فيه صديقنا أبو العبّاس النّاشئ "، ثمّ ذكر ثلاثة أبيات لابن الرّومي بعد أن استحسن ما فيها من زيادة، وقال أخيراً: " سبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معا"، ثمّ ذكر خمسة أبيات لأبي تمام.

وبعد هذا ذكر ابن دُرُستويه تأثير ما قاله حول أبيات البحتري على كلّ من البحتري والمبرّد فقال: "فشقّ ذلك عليه، وحلّ حبوته ونهض، فكان آخر عهدي بمؤانسته [يعني البحتري]، وغلُظ ذلك على محمد بن يزيد وقدح ذلك في حالي عنده".

قد يكون ما رآه المبرّد في بيتي البحتري وتعليقه حولهما، فضلاً عما أشار إليه ابن دُرُستويه من أنّ علاقته بالمبرّد ساءت بسبب ما أورده من تعليق حول أبيات البحتري، هو ما عدّه العماري سبباً في حكمه على المبرّد أنّه متعصّب للبحتري.

وأرى أنّ الحكم على المبرّد بالتّعصّب للبحتري من هذه القصّة، ليس بالحكم الدّقيق؛ فممّا يبدو أنّ تعليق المبرّد على أبيات البحتري جاء منسجماً مع ذوقه الخاص في تفضيل الألفاظ الرطبة والعبارة العذبة، ولا أعتقد في هذا تعصّباً، فهو من حقّ كل ناقد، فالذّوق هو المرجع

---

[1] انظر منصور، البسيوني أحمد، **الخصومة بين القديم والجديد في النّقد العربي القديم** ، ط:1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1981م، ص140.

[2] انظر العماري، قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة، ص239. والعماري، مذهب المبرّد في النقد الأدبي، مجلة رسالة الإسلام، ص197.

[3] انظر الخطيب، أبو الحسن عبد الله ، **المبرّد ودراسة في كتابه الكامل**، ط:1، الهيئة المصريّة العامّة، الاسكندريّة، 1979م، ص132.

[4] الحصري، القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 538/2، و539.

النّهائي في النّقد، أمّا اشتراك هذه الأبيات في معناها مع أبيات أخرى، فالمبرّد لا يرى ضيراً في هذا، إن كان من أخذ المعنى أضاف إليه وجمعه في ألفاظٍ يسيرة [1]، وقد يكون هذا سبب عدم ذكر المبرّد لأخذ البحتري معنى أبياته من غيره، فقد أضاف البحتري جديداً في صياغة المعنى المتداول بين الشّعراء، وكان هذا بألفاظه الرطبة وعباراته العذبة في رأي المبرّد، كما أنّ البحتري جمع هذا المعنى بألفاظ أقلّ، فأغلب ما أورد أبو محمد من أبيات الشعراء في ذات المعنى كان في عدد أكبر من أبيات البحتري.

فمثال العماري لا يدّل على تعصّب المبرّد للبحتري، بل يزيد في توضيح منهج المبرّد في النّقد الشّعري وموقفه الواضح من السّرقات الشّعرية، وهو ما سنفصّل القول فيه، أما سبب سوء العلاقة بين المبرّد وا بن دُرُستويه فقد يكون شعوراً خاصّاً من قبل الثاني، كان دافع هذا الشّعور إحساسه بعظم ما فعل أمام أستاذه [2]، فقد انتقد حكماً أصدره أستاذه، وما قد يؤكّد هذا قول ابن دُرُستويه نفسه: " فكأنّه أعجبني ما أعجب الناس من مراجعة القو" [3]، ففي هذه العبارة إشارة إلى أنّه لم يكن معتاداً على مراجعة القول، فكيف يكون شعوره إن كان يراجع قول أستاذه، لا بدّ أن هذا سيترك أثراً في نفسه، معتقدًا أنّ ما فعل، قد قدح في حاله عند أستاذه – أي عند المبرّد.

وإن كان ما صدر من ابن دُرُستويه قدح في حاله عند المبرّد فعلاً، فهو لا يشير إلى تعصّب المبرّد للبحتري فموقف المبرّد هذا وإن كان صحيحاً فهو طبيعي، فقد أصدر المبرّد حكماً نقدياً في شعر شاعر في مجلس، ثمّ قام تلميذه بنقده دون أن يقدّر حكم أستاذه أو حتى يستأذنه، فموقف أبي محمد النقدي هنا لا يخصّ قائل الأبيات – أي البحتري–، بل يخصّ بشكل أكبر من استحسَنها، أي المبرّد.

وإن كان المبرّد أظهر إجلاله للبحتري، إذ قيل: فالمبرّد وكبره، قام للبحتري فاعتنقه وتنحّى عن موضعه وأجلسه [4]، فهذا الإجلال والتقدير طبيعيّ ومتوقع من رجل يدرك قيمة الشّعر وأصحابه، وقد يفعل المبرّد الشيء نفسه مع أبي تمام، ولكنّ الكتب لم تذكر اجتماعهما، وقد

---

[1] انظر ص106 وما بعدها فيما سيأتي من البحث

[2] انظر ص 9 فيما سبق من البحث، ابن درستويه من تلاميذ المبرّد.

[3] الحصري، القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، 538/2.

[4] انظر الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين، (ت:436)، **غررالفوائد ودرر القلائد، أمالي المرتضى**، ط:1، (تح/ محمد أبي الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، 1954م، 45/2. وانظر الصولي، أخبار البحتري، ص50.

وضع المبرّد الشّاعرين بدرجة واحدة فقال:" والله إن لأبي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل لما وجد مثله "[1].

وإن كان هناك من اتّهم المبرّد بالتّعصب للبحتري فقد وُجد من اتّهمه بالتّعصّب لأبي تمام كذلك، منهم خديجة الحديثي في كتابها "المبرّد سيرته ومؤلفاته"[2]. دليلها في هذا استحسانه شعر أبي تمام، منها ما قيل على لسانه بعد أن سمع قول أبي تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرّافقي يعتذر له في أبيات أوّلها:

شهدتُ لقد أقوَت مغانِيكُمْ بَعدِي وَمحَّت كما محَّت وشائِعُ مِن بُردِ [3]

فقال: " ما سمِعتُ أحسَنَ من هذا قطُّ، ما يهضِمُ هذا الرّجلَ حقَّهُ إلاّ أحدُ رجُلَين: إمَّا جاهِلٌ بعلِم الشِّعر ومعرفة الكلام، وإمّا عالمٌ لم يتَبَحَّر شِعرَهُ ولم يَسمَعه ".

لكن لا يُرى في قول المبرّد ما يشير إلى تعصبه لأبي تمام، بل قد يكون فيه استدراك واضح من المبرّد لرأي سابق له في الشّاعر، وكأنّ المبرّد يشير إلى نفسه، فهو العالم الذي لم يتبحّر شعر أبي تمام ولم يسمعه فهضمه حقّه، وحين تبحر في شعره أنصفه، يقول عنه عبد الله ابن المعتز:" وما مات[المبرّد] إلا وهو منتقلٌ عن جميع ما كان يقوله، مُقِرٌّ بفضل أبي تمام وإحسانه"[4]، وقد كان استحسان المبرّد لأشعار أبي تمام مبنيّا على موقف نقديّ من الشّعر المحدث وهو ما سنتناول الحديث فيه لاحقاً[5].

إنّ هذه الآراء المختلفة في الحكم على المبرّد هل كان متعصّباً للبحتري على أبي تمّام، أم كان متعصّبا لأبي تمّام على البحتري، تشير إلى أنّه لم يكن متعصِّباً لأحدهما على الآخر أومفضلا أحدهما على الآخر تفضيلاً مطلقاً، ودليلنا في ذلك أنّه لم يُشِر للبحتري في مؤلفاته التي وصلت إلينا البتة، وإن ذكرت بعض الكتب التي تحدثت عنه بأنّ كتبه الأدبية مليئة بأخبار البحتري وأشعاره[6]، فعودة لكتب المبرد فيما وقعت عليه، فهي خالية من ذكر شيءٍ عن هذا الشّاعر. وإن علّل بعضهم لهذا بمعاصرة المبرّد للبحتري، وهو ما نقله الآمدي على لسان أبي الحسن الأخفش قوله: " سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول: ما رأيت أشعر من هذا

---

[1] الصولي، أخبار أبي تمام، ص97

[2] انظر الحديثي، خديجة، المبرّد سيرته ومؤلفاته، ص 84

[3] الصولي، أخبار أبي تمّام، ص 204

[4] الصولي، أخبار أبي تمّام ، 204

[5] انظر إنصاف المبرّد للمحدثين ص 114 فيما سيأتي من البحث.

[6] الحديثي، خديجة، المبرد سيرته ومؤلفاته، ص111

الرجل، لولا أنه ينشدني لِما أنشدكم لملأت كتبي وأماليّ من شعره"[1]، فهذا غير كافٍ ليكون سبباً لعُزوف المُبرّد عن ذكر البُحتري، فمعاصرة المبرّد لشعراء آخرين لم تمنعه من إيراد أشعارهم في مؤلّفاته، وعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرالمبرِّد الشّاعرعُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في غير موضع في كتابه الكامل، وهو معاصر له[2]، كما ذكر المبرّد الشّاعر دِعبل بن عليّ الخُزاعيّ اثنتي عشرة مرة في كامله، وقد كان معاصراً له أيضاً[3]، وغيرهم كثيرون.

ولكن لماذا تخلو مؤلّفات المبرّد من أشعار البحتري؟ هل أراد المبرّد في هذا نفي ما اتّهم به من تعصّب للبحتري؟ مهما كان السبب في عدم ذكر المبرّد لأشعار البحتري في مؤلّفاته فهو يدلّ على عدم تعصب المبرّد له، فالتّعصب للشّخص إن وجد لا بدّ من أن يظهر بذكر شعر الرّجل، أو حتى شيء عن أقواله أو أفعاله، وإن حاول المتعصّب إخفاء ذلك، ولكنّ هذا لم يظهر في مؤلّفات المبرّد، فنحن لا نجد أيَّ إشارة للبحتري في مؤلّفات المبرّد لا من شعر ولا من قول، وهذا دليل بيّنٌ على ما نذهب إليه وهو عدم تعصّب المبرّد للبحتري.

أمّا بالنّسبة إلى ما قيل من تعصبه لأبي تمام، فنستطيع نفيه بذكر بعض ما عاب المبرّد عليه من أشعار، فقد روى المرزباني أنّ المبرّد استرذل قوله:

أفعشتَ حتى عبتهم قل لي متى فرزنتَ سرعة ما أرى يا بيدق

قوم إذا اسوّد الزّمان توضّحوا فيه فغودر وهو منـــــهم أبلق [4]

يستنتج ممّا سبق هو الموضوعيّة الواضحة في أحكام المبرّد، وقد استطاع المبرّد بحُكم خبرته النّقديّة من كشف الأبعاد الفنيّة عند البحتري وأبي تمام، وهذا ما ورد في قوله: " لأبي تمام استخراجات لطيفة، ومعان ظريفة، وجيّده أجود من شعر البحتري .... "[5]، ومثل ذلك ما رواه أبو حيان التوحيدي على لسان المبرّد: " أبو تمام يعلو علوّاً رفيعًا، ويسقط سقوطاً قبيحًا، والبحتري أحسن الرّجلين نمطاً، وأعذب لفظاً "[6].

---

[1] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، (ت: 370)، **الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري**، ط:1، (تح / السيد أحمد صقر)، دار المعارف، مصر، 1961م، 21/1.

[2] انظر المبرّد، الكامل، 1/ 43، و 210، و211، و215، و 218 ، و 407 ، وانظر 2/ 694، و 914، و 975، و 1046.

[3] انظر المصدر نفسه، 2/ 519، و710 ، و 943، و1060، و 1071/3 وغيرها

[4] المرزباني الموشّح، ص320

[5] انظر ص25 فيما سبق .

[6] أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، (ت: 414هـ)، الإمتاع والمؤانسة، ط:1، (تح/ أحمد أمين، وأحمد الزين)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.، 186/3.

فكان المبرّد بعيداً عن الهوى في حكمه على الرّجلين يسعى إلى الحقيقة، وقد اعترف نقاد قدماء ومحدثون له بهذه الموضوعية التي تلوح في أحكامه، فقد قيل حول المثال السّابق الذي رواه التوحيدي: " هذه حكاية مفيدة من هذا العالم المتقدّم، وحُكم يلوح منه الإنصاف، وقد أغنى هذا القول عن خوض كثير"[1].

كما قيل عن موازنته بين أبي تمام والبحتري إنها مبنية" على أسس من المقارنة بين خصائص الشاعرين ثم تقويم مذهبهما، ووزن ما بلغ كل واحد منهما في المجال الفني، فبيّن استخراجات أبي تمام ومعانيه وجيده الذي رجّحه على جيّد البحتري، ثم رجّح البحتري عليه باستواء الشّعر الذي لا يحسن مثله أبو تمام لتفاوت شعره"[2].

ثانيا: المبرّد لا يتعصّب للعصور:

كما ظهرت الموضوعيّة عند المبرّد في عدم تعصّبه للعصور، مع أنّ الخصومة بين القديم والحديث اشتدت في عصره، فظهر من النقاد من تعصّب للقديم وفضّله، وعدّ كلّ محدث معيباً، معيارهم في هذا معيار زماني لا معيار قيمي، تعصّبوا للقديم لقدمه. كما ظهر آخرون تعصّبوا للجديد وقدّموه، ومع هذا فلم يكن المبرّد من هاتين الطائفتين فقد نظر بعين العدل للفريقين، ولم يكن معياره الأوّل النظرة إلى الشّعر حسب قدم أوحداثة، بل لما فيه من قيم الحسن والقبح، فكان في هذا مثل الجاحظ وابن قتيبة[3].

وقد اتّهم العماري المبرّد بأنّه حين يطبّق مبدأه في الاختيار يقصر اختياره على زمن دون زمن، وذلك لكون المبرّد تنكّر لشعراء عصره فقلّ في كتابه ذكر أمثال أبي نواس والعباس بن الأحنف وأبي العتاهية وغيرهم[4]، إلاّ أنني لم أجد في كلام العماري هذا إنصافاً للمبرّد الذي احتكم في اختياراته الشّعرية لذوقه دون نظر لزمن دون زمن، كما احتكم في اختياراته لما تمليه الحاجة التعليمية، فحين يحتاج لتوضيح مفردة على سبيل المثال يورد ما يحقق هذه الغاية قديماً كان أو حديثاً، وغالبا ما نراه يورد بيتاً لشاعر قديم يتبعه ببيت لشاعر محدث، كما أنّنا نجده

---

[1] التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 3/ 186

[2] الحاج حسن، حسين، النقد الأدبي في آثار أعلامه، ط:1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1996، ص147.

[3] انظر ص 113 فيما سيأتي من البحث.

[4] انظر العماري، مذهب المبرّد في النّقد الأدبي، مجلة رسالة الإسلام، ص83.

منصفاً للشعراء المحدثين وسنشير إلى هذا أثناء حديثنا عن الصراع بين القديم والحديث عند المبرّد .

ثانيا: أنواع النّقد عند المبرّد

تداخلت في كتب المبرّد أنواع من النّقد التي أسهمت في إظهار منهجه، فنراه يهتمّ بالنّقد اللغوي ويبحث عن أصول اللغة، ويضبط ألفاظها واشتقاقاتها، كما اهتمّ بالنّقد الفني المعلّل منه وغير المعلّل، الذي تناول تمييز الحسن والقبح، كما كان له وقفة عند النّقد التّوثيقي، فتحدّث عن نسبة الشّعر لأصحابه وعن صحّة الشّعر نفسِه، فميّز الصّحيح من المنحول منه، وكان له حديث عن نقد يتصلّ ببيئة الشّاعر، وكان علينا جمع شتات هذه اللفتات النّقديّة التي برزت في كتبه ومحاولة تصنيفها لتوضيح أنواع النّقد التي برع فيها المبرّد.

أ. النّقد اللغوي عند المبرّد :

كان لطبقة العلماء أثر كبير في النّقد العربي وخاصّة في أولى مراحله، فقد عدّوا نقد الشّعر صناعة أوثقافة، هم ألصق الناس بها؛ " فقد قاموا على جمع اللغة والشّعر وتدوينهما، وكانوا بحكم اتصالهم بالشّعر والأخبار، وروايتهم للخطب والأمثال، أقرب إلى تفهّم النّصوص تفهمّاً فقهيا لغويا، واستعانوا بهذه الخبرة اللغوية على نقد الشّعر، والخطب "[1].

وقد كان المبرد أحد هؤلاء العلماء، فكانت نظرة المبرّد إلى النّص تقوم على سلامة هذا العمل من الخطأ، ومطابقته لقواعد اللّغة، وكان هذا الجزء من نقد المبرّد أمراً هيّنا عليه، فإلمامه بقواعد هذه اللّغة كان كافياً في كشف الأخطاء النّحويّة، كأن يقول: أنشدني الأمير سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه: " وقد مضت لي عشرونان ثنتان"[2]، فقال المبرّد: "أيّها الأمير هذا لحن، لأنّ إعرابا لا يدخل على إعراب "[3].

كما كشف المبرّد في نقده الزّلات اللّغوية التي أخطأ فيها أبو العتاهية في قوله:

وربما سئل البـــــــخيل الشيء لا يســـــوى فتيلا

فيقول: " لأنّ الصّواب لا يساوي؛ لأنّه من ساواه يساويه ."[4]

---

[1] سلاّم، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص12

[2] المرزباني، الموشح ص357

[3] فقد رفع عشرين بألف الاثنين، وهو مرفوع بالواو لكونه مُلحقا بجمع المذكر السالم

[4] المرزباني، الموشّح ص 262

وحين يقف المبرّد عند النقد اللّغوي للشّعر كان يقترح الأجود أحياناً، فيقول مثلا في التعليق على قول الشاعر:

ألـــــم ترَوا جَيّاً على المِضمار تُمسِي من الرحمن في جوار

" الأجود أن يقول: ألم تَرَوا جَيَّ علَى المِضمار"[1].

ثمّ يوضّح المبرّد حكمه هذا فيقول في جيّ:" فلا تنوّن، لأنّها مدينة [2]، والاسم أعجمي، والمؤنّثُ إذا سمي باسم أعجميّ على ثلاثة أحرفٍ لم ينصرف إذا كان مؤنّثاً، وإن كان أوسطه ساكناً نحو جُورَ وحِمصَ وماهَ[3]".

ولم يقتصر نقد المبرّد اللغوي على النّص الشّعري، بل يظهر أحياناً في النثر، إذ يقول: " كنّا عند محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب، ومعنا علي بن الجهم، فأراد الانصراف فقال له محمد بن عيسى: لو متعتنا بنفسك. فقال له: إنّه بلغني شيء، وأظنّني مأزور في قعودي. قال أبو العباس فنقص في عيني وإنّما هو موزور"[4].

ومن النّقد اللغوي الذي اهتّم به المبرّد عيوب القافية حيث قال:" عيوب الشّعر خمسة: الإيطاء، والإكفاء، والإقواء، والسّناد، والتّضمين"[5].

وقد فرّق المبرّد بين الإكفاء والأقواء، حين جمع غيره بينهما فقيل:" الإكفاء هو الإقواء "[6]. فكان الإقواء عند المبرّد: " اختِلاف حركة حرف الرّوي "[7]، كرَفع الرّوي في القافِية وجَرّ الآخر،

---

[1] المبرّد، الكامل، 3/ 1276

[2] جيّ: بالفتح ثم التشديد اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة . انظر الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ)، معجم البلدان، ط:1، (تح/فريد عبد العزيز الجُندي)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان ، 1990م، باب الجيم والياء وما يليهما، 2/ 202.

[3] المبرّد، الكامل، 3/1276. جور مدينة بفارس .انظر الحموي، معجم البلدان، باب الجيم والواو وما يليهما، 2/210 ماهٌ وجور اسما بلدتين بأرض فارس. انظر المصدر نفسه، باب الميم والألف وما يليهما. 5/58

[4] المرزباني، الموشّح، ص345 ، موزور: حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة، أوأثِم. انظر المعجم الوسيط(وزر).

[5] المبرّد، القوافي وما اشتُقت ألقابها، ص 12

[6] انظر ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت:276)، الشعر والشعراء / طبقات الشعراء، ط: (تح/ مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 م، ص33. و انظر المرزباني، الموشّح، ص 15.

[7] المبرّد، القوافي وما اشتُقت ألقابها، ص 12

أمّا الإكفاء عنده فهو:" اختلاف الرّويّ في ذاته "[1]، وهذا ما كان عند الجرمي الذي قال: " فأما الإقواء فرفع بيت وجر الآخر، وأمّا الإكفاء فاختلاف حرف الروي"[2].

ومع عيب المبرّد للإكفاء في كتابه "القوافي"، فقد ذكره في كتابه المقتضب ولم يعدّه عيباً، شرطه في ذلك أن يكون الإكفاء في حروف متقاربة المخارج، فقد قال في معرض حديثه عن الإدغام: "وأمّا إدغام النون في الميم وإن خرجت من الشّقة فهي تجاورها وتشاركها في الخياشيم، والنون تسمع كالميم، وكذلك الميم كالنّون، وتقعان في القوافي المكفأة فتكون إحدى القافيتين نونا والأخرى ميما فلا يكون عيباً، ولا يصلح هذا إلاّ في حروف متقاربة المخارج لأنّ القوافي نسق واحد فالمتقارب يلحق ما كان من لفظه"[3].

كما يقول في كامله: "واستجازت الشّعراء أن تجمع الميم والنّون في القوافي لاجتماعهما في الغنّة"[4].

فعاب المبرّد الإكفاء في قول الشّاعر:

وكن كالذي لا بدّ أنّك كائـــــــنٌ أفي البدو أم في الحاضرين تكونُ

ثمّ قوله :

في الحاضرين السّاكنين كواعبٌ على روشَن تبنى لـــــــهنّ قصورُ

لأنّ القافيتين في هذا المثال الرّاء والنّون، فقد قال المبرّد في المقتضب:"والراء لا تدغم في النّون"[5].

أمّا الإقواء فعلى الرغم من أنّ المبرّد عدّه عيباً في كتابه "القوافي"، إلاّ أنّنا لا نجده يشير إلى ذلك في مؤلفات أخرى له ممّا وصل إلينا، وكان أن أورد أبياتاً في أربعة مواضع في كتابه الكامل فيها إقواء ولم يشر إلى ذلك[6]، بل نجده في موضع منها:

إنَّ الــــــــذين يَسوغ في أعناقِهم زادٌ يُـــــمَنُّ عَليـــــهمُ لِلئِـــــــامُ
لــــــعن الإله تعلّة بن مسافـــر لعناً يُشنّ علـــيـــه مــــــن قدّامِ

---

[1] المبرّد، القوافي وما اشتقت ألقابها، ص12
[2] المرزباني، الموشّح ص 14
[3] المبرّد، المقتضب، 1/ 217
[4] المبرّد، الكامل، 2/986
[5] المبرّد، المقتضب،1/218
[6] انظر المبرّد، الكامل، 1/ 85 ، 2/ 1039، 3/ 1212 ، و 1406

يستحسن فصاحة الشّاعر دون أن يعيب الإقواء في البيت الأخير فقال: " كلامه فصيح جدا"[١].
فقد وجد المبرّد في كلام الشاعر فصاحة مع إقوائه، وقد يكون سبب حكمه هذا على كلام الشّاعر لاستخدامه المعنى المجازي الذي يمنحه اللفظ في الكلام، كما أحسبه عدّ كلام الشّاعر فصيحاً؛ لأنّه سار على قواعد اللغة فجاء كلامه مفهوماً فصيحاً، ولو أنّ المبرّد وجد مخرجاً نحوياً يخلص فيه من الإقواء، وهو ما فعل الفراء[٢]، لاحتاج الأمر تفسيرا عند العامة، وقد يفقد البيت بهذا عنصر الفصاحة الذي فيه، وقد يكون هذا ما جعل المبرّد يترك البيت كما هو، وهذا لا يتعارض مع ما جاء له من استحسان تشبيه الراجز وإن خالف قواعد النحو، وهو ما كان في إنشاد الرّاجز الرّشيد في نعت فرس:

كــــــأنّ أذنيه إذا تشــــوّفا قادِمة أو قَــلماً مُحرّفاً [٣]

فقال: " والرّاجز وإن كان قد لحَن فقد أحسن التّشبيه"[٤]. فالمبرّد يذكرنا بخروج الراجز عن قواعد اللغة، ومع هذا فقد استحسن التشبيه الذي ورد عنده.

ويلحظ من هذا أنّ المبرّد وإن كان مقلاً في ذكر الأبيات التي ظهر فيها إقواء، إلاّ أنّه ذكر بعضها لخدمة غرضه التعليمي، دون أن يعيب ذلك.

كما عاب المبرّد التّضمين في الشّعر[٥] بعد أن أوضح مفهومه قائلاً:" والتّضمين تأخير معنى بيت إلى آخر"[٦]، وكان مثاله على ذلك:

وما عليــك أن تقولي كلّما
سبّحت أو هلّلت يا اللهم ما
اردد علـــينا شيخنا مسلما

ولم يكن المبرّد في هذا متفرّداً بعيبه للتّضمين، فقد تشدد النقاد في التضمين وعدّوه عيباً

---

[١] لقد ذكر الناسخ أنّ المبرّد روى البيت الأخير مقوى. المصدر نفسه،1/ 85
[٢] فقد أشار الناسخ كيف قرأ الفراء البيت غير مقوى بعد أن أحاله إلى مخرج نحوي. انظر حاشية المصدرنفسه، 1/85.
[٣] المبرّد،الكامل، 2/104. اشتاف الفرس: نصب عنقه وجعل ينظر . انظر المعجم الوسيط، (شاف)
[٤] وقد ورد في الموشّح كيف أصلح الرشيد هذا البيت بتخال حتى يستوي الإعراب. انظر المرزباني، الموشّح، ص 298
[٥] انظر ص 52 فيما سبق
[٦] المبرّد، القوافي وما اشتقت ألقابها، ص 12.

مخلاً[1]، فقد قبّحه العسكري[2]، وهذا ما فعله أبو بكر الصولي فيما ورد عند العسكري، إذ قال:" خير الشّعر ما قام بنفسه، وكمل معناه في بيته"[3].

ب. النّقد الفنّي عند المبرِّد

جمع المبرّد بين العلم باللغة والأدب، فلم يكن اهتمامه بضبط الشّعر فحسب، بل كان يحكم على الشّعر بما فيه من جمال الصّنعة واستواء الأسلوب وإن تحدّث عن اللغة وما تحمله من خبر أو شاهد نحوي أو لغوي.

كما أصدر المبرّد أحكامه النّقديّة على الشّعراء، وهذا نتيجة تعمّقه في فهم الشّعر وتذوّقه، فتحدّث عن الشاعر عمرو بن زعبل فقال: " وكان لا يَبلُغُ ابن أبي عُيَينة في الشّعر ولا يُدانيه"[4].

وقال عن عثمان بن رشد العميري:" صالح الأدب مليح الشّعر، وكان سراة أهل البصرة يدعونه ويعاشرونه "[5]، كما نجد المبرّد مستحسناً بعض أشعارهم، كقوله عن قصيدة أوس بن حجر الأسدي في رثاء فضالة بن كَلَدَة الأسَدي، مطلعها:

ألم تُكسَفِ الشَّمسُ والبَدرُ والـــ كَواكِب للجَبَل الواجبِ

" أمليناها بأسرها لأنّها جمعت تقدّم كلّ بيت منها، وكثرة المعاني والاختصار"[6]، كما يقول عن أبياتها:" إذا اعتبرت فأكثرها يشتمل البيت منه على معان "[7].

قد يورد المبرّد القصيدة الكاملة وقد يختار أبياتاً منها فيقول: " وممّا اخترنا من مرثيّة يزيد المهلبي للمتوكلّ على الله قوله..." [8]، ويذكر أبياتا، كما يقول: " وقال عويف القوافي شعراً، يرثي سليمان بن عبد الملك، ويذكر عمر بن عبد العزيز، هذا ما اخترنا منه"[9]، ويذكر أبياتاً له.

---

[1] انظر المرزباني، الموشح، ص40.

[2] انظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت: 395)، الصناعتين، ط:2، (تح/ مفيد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م، ، ص47.

[3] انظر العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله، (ت:382هـ)، المصون في الأدب، ط:2،(تح/عبد السلام هارون)،مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م، ص9 .

[4] المبرّد، الكامل، 544/2

[5] الصولي، أخبار الشّعراء المحدثين من كتاب الأوراق، ص64

[6] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 34

[7] المصدر نفسه ، ص 35

[8] المبرّد، الكامل،1466/3

[9] المصدر نفسه ، 840/2

كما نجده يختار أبياتاً لأنّها من الأبيات النادرة [1]، أو لما تحمل من الحكم والمواعظ التي يتمثّل بها الأشراف وتُسوّد بها الصحف، وهو ما اختاره من قصيدة لحُميد بن ثورٍ ويذكر بيتين منها:

أرى بَصـــــــري قد رابَني بعدَ صِـــحّةٍ وحسبُك داءً أن تَصحّ وتَسلَـما
ولا يَلبَثُ العَصران يومٌ وليلــــــــــــــةٌ إذا طَلَـبا أن يُدركا ما تَيَمَّمـا

فيقول: " وفي شعر حُميد هذا ما هو أحكم ممّا ذكرنا وأوعظ، وأحرى أن يتمثّل به الأشراف، وتُسوّد به الصّحف" [2]، ثمّ يذكر بعدهما قول رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فيقول: " كفى بالسّلامة داءً ". وكأنّ المبرّد استحسن هذين البيتين لما حملا من قولٍ سائر، هو ما ورد في حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

كما اهتمّ المبرّد كذلك بأنصاف الأبيات للسبّب نفسه، أي لما تحمل هذه الأنصاف من قول سائر يتمثّل به، فخصّص رسالة في أعجاز أبيات تغني في التّمثيل عن صدورها.

النّقد غير المعلّل:

وكان المبرد كأبناء عصره في النّقد، يطلق حكمه أحياناً في جملة، يعرب بها عن استحسانه أو عيبه لما يسمع أو يقرأ من شعر أو نثر. فيقول في بيت طرفة:

ثـــــــم لا يَخنُزُ فينا لحـــــمُها إنّما يَخنُزُ لحمُ المُدَّخِر [3]

" إنّه أحسن ما ينشد " [4].

ويذكر المبرّد أشعاراً يختار بيتاً منها:

فلا تقرَبَن أمرَ الصَّريمةِ بامرئٍ إذا رام أمـــــــراً عَوَّقَتهُ عَواذِلُه [5]

فيقول: " وفي هذا الشّعر بيت يقدّم في باب الفتك" [6].

ويقول أيضاً في بيت لامرأة من بني أسد ترثي ابنها فتقول:

أرادوا ليُـــــخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبر دلّ على القبر

---

[1] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 40. انظر معنى البيت النادر ص 36 فيما سبق

[2] المبرّد، الكامل، 1032/2

[3] يخنز: يفسد وينتن. انظر المعجم الوسيط، (خنز)

[4] المبرّد، الكامل، 2/ 1004

[5] يقول المبرِّد الصّريمة: العزيمة. انظر المصدر نفسه، 976/2

[6] المصدر نفسه، 976/2

" إنّ هذا أرثى بيت قالته العرب"[1].

وقد روى محمد بن عبيد الله الكاتب قصة في تفضيل المبرّد لبيتين [2]، قال فيهما: " ما أظن قالت الشّعراء أحسن من هذا "[3].

فقد اعتمد المبرّد في نقده ذوقه الذي صقلته ثقافته ومعرفته العميقة بالأدب، فجاء نقده غير معلّل أحياناً، يدرك الجمال ويتذوقه دون تفسير ما يدرك ودون تعليل، فاتسمت أحكامه هذه بالتّركيز والاكتفاء بالإشارة العابرة والكلمة الموجزة، وقد يكون سبب ذلك معرفته مواطن الجمال أو العيب، وهو ما يصعب شرحه أو تعليله في كثير من الأحيان. فتوجد نصوص قد تسمو على التعليل والتحليل وتعجز عن اكتناه أسرارها الفنيّة.

وهذا لا يعيب المبرّد فقد كان هذا حال كثيرين من النّقاد الكبار في القديم والحديث؛ فكانوا يعجزون عن تعليل ما تذوقوا من الأعمال الأدبيّة. ويؤكّد هذا ما يقوله إحسان عبّاس:" في الشّعر مجال يدركه الناقد بالطبيعة التي وهبها دون غيره، وبهذه الطبيعة يحكم على ما يستطيع أن يورد فيه علة واضحة، وذلك يعني أن هناك دائرة في الشعر يحسّ فيها الجمال، ولا يستطاع التعبير عنها بلِمَ وكيف"[4].

النّقد المعلّل:

ومع هذه الأحكام غير المعلّلة التي صدرت عن المبرّد وتميّز بها بعض نقده، نجده يعلّل أحكامه في أحيان أخرى.

فقد قامت التربية الأدبية التي تلقاها المبرد من المصادر المختلفة بالارتقاء بذوقه، فأصبح يملك القدرة على تعليل ما في هذا الأدب من صفات البراعة والحسن أو عكس ذلك، فيقول: " ...نفضّل ما نحكيه من ذلك، ولم اخترنا ما اخترناه "[5].

كما أسهم اتصاله بالآثار الأدبية في تكوين مقاييسه للجمال وتحليله، ونقده نقداً سليما، فنراه يقول: " وإنّما نملي ما اخترنا من نحو ما وصفنا "[6].

---

[1] المبرّد، الفاضل، ص 61.

[2] انظر البيتين ص 43 فيما سبق من البحث

[3] انظر الحموي، معجم الأدباء، 121/1

[4] عبّاس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 330.

[5] المبرّد، الفاضل، ص 68.

[6] المبرّد، الكامل، 1427/3

ويبدو أنّ نظم المبرّد للشّعر – كما ذكرنا سابقاً [1] – ساعد في تنمية تذوقه للشّعر ونقده، وتبين ما فيه من نقص وكمال، فقد يجعل نظم الشّعر الشّخص متذوّقا لما في شعر غيره من رقة وبراعة، فيكون بنقده أبصر من غيره ممّن لم يقل الشّعر.

وقد رأينا سابقاً كيف كان المبرّد يعلّل أحكامه حين يوازن بين أشعار الشّعراء، وكما قيل: " إنّ الموازنة المعللة هي الطريقة التي يثبت بها المرء أنّه قد أصبح ناقداً " [2]، ومن الأمثلة على نقد المبرّد المعلّل قوله في شعر ابن مُناذِر [3] إنّه من حلو المراثي وحسن التّأبين؛ ويعلّل المبرّد ذلك لما فيه من شِدّة كلام العرب بروايته وأدبه، وحلاوة كلام المُحدثين ولما فيه من مثل سائر، ومعنى لطيف، ولفظٍ فخمَ جليل، وقول منّسق نبيل [4].

ويقول في الأبيات التّالية:

ألا لهـــــفَ الأرامِلِ واليتامى ولهفَ الباكياتِ على قُصَيِّ
لعمرُك ما خَشيتُ على قُصَيٍّ مَتالِفَ بَينَ حَجرٍ والسُّلَيِّ
ولكِنّي خَشِيتُ عـــــلى قُصَيٍّ جَريرَةَ رُمحِهِ في كُلِّ حَيِّ
فتـــــــى الفِتيانِ مُحلول مُمِرٌّ وَأمّارٌ بإرشادٍ وغَـــــــيِّ

" هذا الشّعر من أجفى أشعار العرب" [5]. ثمّ يعلّل هذا فيقول:" بأنّه يُنبئ صاحبه أن تقديره في المَرثِيِّ أن تكون منيتُه قتلا، ويتأسّف من موته حتف أنفه"، وأظنّه وجده من أجفى الأشعار أيضاً؛ لكونه يقول في مدحه: أمّارٌ بإرشادٍ وغَيٍّ.

كما نجد المبرّد يعلّل عيبه للشّعر، فيقول في عجز بيت لأعرابي يهجو قوماً من طَيئ:

ولـــــمّا أن رأيتُ بَني جُوَينٍ جُلوساً ليس بَينهـــــمُ جَليسُ

" هذا من أقبح الهجاء " [6]. ويعلّل المبرّد حكمه النّقدي هذا بتفسير شطر البيت" هؤلاء قوم لا ينتجع الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم".

---

[1] انظر ص 29 فيما سبق من البحث

[2] عبّاس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 145.

[3] ابن مناذر: هو محمد بن مناذر. انظر ترجمته ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، (ت:296)، **طبقات الشعراء المحدثين**، ط:1 ،(تح/ عمر فاروق الطبّاع)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1998م.، ص150.

[4] انظر المبرّد، الكامل، 1427/3

[5] المصدرنفسه ، 1392/3

[6] المصدر نفسه، 225/1

كما أنّ المبرّد يوضّح غايته من نقده لبعض الشّعر وذكره مساوئ الشّعراء في أشعارهم أحياناً، وكان هذا في معرض حديثه عمّا في شعر أبي نواس من إسراف وإحالة وتجاوز فيقول: "إنّما ذكرنا مساوئه لأنّ المنشد إذا ذكر شاعراً فوصفه ومدحه وقرظه فليس يكاد يعدم مدافعاً عن قوله ومعارضاً له فيه، فيأتيه بهذا وبشبهه احتجاجًا عليه ووضعًا من صاحبه، فيكسفه بما لا يعرف، ويردعه من حيث لا يشعر، فإذا وقف على الإحسان والإساءة عرف قدر صاحبه، فاحترس ممّا يخاف أن يُعارض به"[١].

ج- النقد التوثيقي:

كان جزء غير يسير من نقد اللغويين موجّها إلى نقد الشّعر، من حيث صحة إسناده أو دقة نقله، وما يمكن أن يكون قد طرأ عليه من ضروب التغيير أو التّصحيف أو التحريف أو الاختلاط أو النّحل، فبحثوا في سند الروايات الشّعرية، أي في صحة نسبة الأشعار لأصحابها، واعتنوا بمتنها. فهل كان المبرّد مهتماً بهذا النوع من النقد ؟

أ- سند الرّوايات عند المبرّد :

تحرّى المبرّد نسبة الأبيات والأقوال التي يرويها لأصحابها، فقد كان لمدارسة المبرّد الشّعر القديم والمحدث أبلغ الأثر في معرفة نفَس الشاعر ممّا يجعله يألف شعره، فيُرجِع الكلام له[٢].

كما كان المبرّد أحياناً يعتمد في نسبة الأشعار لقائليها معرفته بدراسة الأحوال التي انبعث فيها الشّعر، فذكر قائل بيت أنشده رجل من بني مخزوم:

ذهـــــــبت قريش بالمكارم كلّها ذو اللّؤم تحت عمائم الأنصار [٣]

إذ يقول المبرّد: " البيت الذي أنشده المخزُومِيُّ للأخطل"[٤]. وذلك لأنّ المبرّد على دراية بقصّة هذا البيت فقد قال: " وكان يزيد بن معاوية عَتَبَ على قوم من الأنصار، فأمر كعبَ بن جُعَيلٍ التّغلِبِيِّ بهجائِهِم، فقال له كَعبٌ: أأهجو الأنصار؟ أرادّي أنت في الكفر بعد الإسلام؟ ولكنِّي أدُلُّك على غُلامٍ مِن الحَيِّ نَصرانِيّ كأنَّ لِسانَهُ لسانُ ثَور، يعنِي الأخطل "[٥].

---

[١] المرزباني، الموشح، ص269

[٢] انظر المبرّد، الكامل، 1327/3

[٣] المصدر نفسه ، 232/1

[٤] المصدر نفسه، 232/1

[٥] المصدر نفسه،232/1

واهتمام المبرّد بسند الأقوال جعله يقتصر بالرواية عن الثقات فأورد خبرا رواه الرّياشي، مع تمام الخبر في سند مختلف، ولكنّه غير موثوق عند المبرّد، فيقول:" وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرّياشي أتمّ من هذا، ولكن اقتصرنا على هذا لثقة إسناده "[١].

كما نرى المبرّد يبدي رأيه في الروايات أحيانا فيقول بعد إيراده لخبرعن عمر بن هُبَيرة الفَزازي: " حدّثني أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق أنّ الخبر لمعن بن زائدة، وصحّ ذلك عندي "[٢].

وحين ينقل المبرّد رأي الرّواة في سند بعض الأبيات نجده يصحّح لهم أحياناً، فيذكر أبياتاً نسبها أبو الحسن[٣] لكثيّر في عبد الملك وهو مريض، فيقول المبرّد مصحّحًا لهذا: "هذا الشّعر غلط، إنّما هو لجرير في الوليد بن عبد الملك"[٤].

وقد يتخفّف المبرّد من ذكر بعض الأسانيد ويكتفى بالقول: وحدّثتُ أو أخبرتُ أو يروى[٥]، أو يورد الأقوال في مؤلّفاته بأسانيد مبهمة، كأن يقول:" وقال رجل من الثّقفيين"[٦] ، أويقول:" أنشدت لأعرابي "[٧]، "وقال رجل من المحدثين"[٨] ، ولكن هذا قليل إذا قيس بحجم مرويّاته المسندة إلى أصحابها. فقد أورد في الكامل وحده ما يتجاوز ألف بيت من الشّعر، عدا عن الرّوايات التّاريخيّة، وكان القليل منها دون نسب لقائله، فهل هناك أسباب قد تعلّل هذا ؟

وقد يكون سبب عدم نسبة المبرّد الأبيات والأقوال إلى قائليها أحياناً، انشغال المبرّد بتوضيح قضيّة نحويّة أو لغويّة، يسعى جاهداً في إيصالها لقرائه أو تلامذته[٩]، وأكثر ما نجد هذا في كامله الذي أملاه في حلقة علم[١٠].

وممّا يدلّ على ما نذهب إليه من أنّ الأمر مردّه إلى انشغال المبرّد بالقول نفسه، هو

---

[١] المبرّد، الكامل، 347/1

[٢] المصدر نفسه، 246/1

[٣] أغلب الظن أن يكون أبا الحسن المدائني. انظر ترجمته ص8 فيما سبق.

[٤] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 268

[٥] انظر المبرّد، الكامل، 1/ 10، و 235، و271.

[٦] المصدر نفسه، 620/2

[٧] المصدر نفسه، 871/2

[٨] المصدر نفسه، 3/ 1380

[٩] انظر المصدر نفسه، 2/ 588 ، و3/ 1238، وغيرها.

[١٠] انظر الخطيب، المبرّد ودراسة في كتابه الكامل، ص225

استشهاده بأبياتٍ لشعراء معروفين، أمثال عمر بن أبي ربيعة [1]، وعبيد بن الأبرص [2]، وأبي صخر الهذليّ [3]، وقيس بن الخطيم [4]، وقيس بن ذريح [5]، والأخطل [6]، والسلولي [7]، دون ذكر قائل هذه الأبيات، ولا يمكن أن يكون سبب ذلك عدم معرفة المبرّد بقائليها. فعلى سبيل المثال نـــــراه لا ينسب بيت عمر بن أبي ربيعة

لقد حَبَّبَت نُعـــــمٌ إلينا بوجهها مساكِنَ ما بينَ الوَتائِرِ والنّقع [8]

لقائله أثناء استشهاده به لتوضيح كلمة (النّقع) بأنّها اسم موضع بعينِه.

وقد يكون سبب عدم ذكر المبرّد لقائل الأبيات أحياناً مردّه إلى أنّ هذه الأبيات اختلف في نسبتها، فنراه يورد أبياتاً في موضعين من كتابه الكامل، يشير إلى قائل الأبيات بـــ: قال الشّاعر [9] في الموضع الأوّل، وقال أعرابي [10] في الموضع الثّاني دون ذكر القائل، وذلك لكون هذه الأبيات منسوبة إلى غير واحد من الشّعراء [11].

---

[1] انظر المبرّد، الكامل، 1/ 499، و 2/ 684، و1021.

[2] المصدر نفسه، 143/1

[3] انظر المصدر نفسه، 953/2

[4] انظر المصدر نفسه، 59/1

[5] انظر المصدر نفسه، 1199/3

[6] انظر المصدر نفسه، 367/1

[7] انظر المصدر نفسه، 983/2

[8] انظر المصدر نفسه، 684/2

[9] انظر المصدر نفسه ، 842/2

[10] انظر المصدر نفسه، 1320/3

[11] أورد المبرّد الأبيات التالية :

ألم تعلمي يا دارَ بَلجاءَ أنّني إذا أخصَبَت أو كان جَدباً جَنابُها

أحبُّ بلادِ الله ما بين مُشرفٍ إليَّ وسلمى أن يصوبَ سحابُها

بلادٌ بها عقّ الشّبابُ تميمَتي وأوّلُ أرضٍ مَسّ جِلدي تُرابُها

دون ذكر القائل لكون الأبيات مختلف في نسبها، فهي منسوبة لرفاع بن قيس الأسدي و لأبي النضير الأسدي و لامرأة طائية . انظر البكري، أبو عبيدعبد الله بن عبد العزيز ، (ت:487هـ) ، **سمط اللآلي**، ط:1، (تح/ عبد العزيز الميمني) ، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1936، 1/ 273 .

ونجد المبرّد يورد بيتا للقرشيّ[١] في موضعين من كتابه الكامل، يذكر القائل في موضعٍ[٢] ويهمله في الثاني[٣]، وقد يكون مردّ هذا إلى اعتماد المبرّد ذكره اسم قائل البيت في الموضع الأوّل، وكأنّه يتوقع أن لا ضرورة لذكره في الموضع الثاني.

كما يمكننا إرجاع هذا الأمر – أي عدم ذكر المبرّد قائل الأبيات– للناسخ نفسه، حيث يرد ذكر اسم القائل في نسخة من نسخ المؤلّف، وفي نسخة أخرى لا يكون. ومثال ذلك عجز بيت ذكره المبرّد دون نسبته لقائله في النسخة التي نعتمد في هذا البحث[٤]، وقد نوّه المحقق إلى وجود اسم قائل البيت في غير نسخة من نسخ المؤلف.

على أنّ المبرّد لا يذكر قائل الأبيات أحياناً لعدم معرفته بقائلها، فنراه يقول في البيتين التّاليين:

تنفَـــــــــكُّ تَسمَعُ ما حييـــ تَ بهالِكٍ حـــتَّى تكونَه
والمَـــــــــرءُ قد يرجو الرّجا ءَ مغَيَّباً والمَوتُ دونَه [٥]

"وهذان بيتان قديمان لا يُعرَف قائلهما، ويروى أنّ أبا بكر الصّديق – رحمه الله – كان يُنشِدهما، فبعض النّاس يقول هما له".

وقد يكون سبب هذا أيضاً نسيان المبرّد اسم قائل الأبيات فنراه يعترف بهذا، ممّا يؤكّد أنّ الأصل عنده نسبة الأقوال إلى أصحابها، فيقول في معرض حديثٍ له: " ويروى أنّ رجلاً معروفاً ذهب اسمه عنّي"[٦] ، ويقول في موضع آخر: "وحدّثني العباس بن الفرج الرّياشي في إسنادٍ قد ذهب عنّي أكثره "[٧].

وإن شكّ المبرّد بإمكانية وقوعه بخطأ في اسم القائل فلا يقطع بالأمر، فحين شكّ المبرّد في نسبة البيت التالي:

---

[١] هو عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .انظر المبرّد، الكامل، 4/ 558 .

البيت هو :

أهاب بأحزان الفؤادِ مُهيبُ وماتت نُفوسٌ للهَوى وقلوبُ

[٢] انظر المصدر نفسه ، 1/444

[٣] انظر المصدر نفسه، 3/1289

[٤] انظر المصدر نفسه، 1/284

[٥] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 86 و309

[٦] المبرّد، الكامل، 3/1480

[٧] المصدر نفسه ، 2/616

ولكنّهم بانوا ولم أدر بَغتَةً وأفظعُ شيءٍ حين يَفجَؤُكَ البَغتُ

قال:" وكذلك قال يزيد بن ضبة أو يزيد بن الصمّة "[١]

وفي موضع آخر ينقل المبرّد قول أحدهم في سند بعض الأبيات:" هذا الشّعر يُختَلفُ فيه فبعضُهم ينسِبه إلى الأحوص وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية "[٢]، فلا يعطي المبرّد رأيا قاطعا في هذا السند.

كما نراه يستخدم ألفاظاً تدلّ على عدم تأكدّه أحياناً فيقول: "ومن ذلك قول الشّاعر، أحسبه عبد الرحمن بنَ حسّان "[٣].

وهذا لا يعني أن لا يقع المبرّد في بعض الخطأ في نسبة الأبيات إلى أصحابها، ولكنّ هذا لم يكن إلا مرات معدودة منها ما ذكر ناسخ الكامل– أبو الحسن الأخفش – في تصويبه لخطأ من هذا النوع وقع فيه المبرّد في البيت التّالي:

تمشي الهُوينا إذا مشت فُضلا كأنّها خوطُ بانةٍ قَصِفُ [٤]

إذ ينسب المبرّد البيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري، فقال أبو الحسن :" ما نعرفُ هذا البيت إلا لقيس بن الخَطيم الأنصاري "[٥]، وبالعودة إلى ديوان ابن الخطيم نجد البيت وإن كان برواية مختلفة[٦]، كما قام أبو الحسن بمحاولة تصويب أخرى للمبرّد، ولكنّه لم يكن دقيقاً فيها، فقد خطّأ أبو الحسن المبرّد في نسبته البيتين التّاليين لعديّ بن الرقاع:

فلـــو قَبلَ مبكاها بكيتُ صبابةً بليلى شَفيتُ النّفسَ قبلَ التّندّم

ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها فقلتُ الفضـــلُ للمتقدّم

---

[١] المبرّد، الكامل، 2/1056

[٢] المصدر نفسه، 2/498

[٣] المصدر نفسه، 1/23 .

[٤] الخوط: الغصن الناعم، انظر المعجم الوسيط، (تخوّط).

[٥] المبرّد، الكامل، 2/854

[٦] رواية البيت في الديوان:

حوراء جيداء يُستضاءُ بها كأنّها خوطُ بانةٍ قَصِفٌ .

انظر ابن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو (ت: نحو 2ق هــ) الديوان، (تح/ناصر الدين الأسد)، ط: 1، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1962، ص57.

فقال أبو الحسن: "الصّحيح أنّه لنصيب"[1]. وبالعودة إلى هذين البيتين نجدهما نسبا لعدي ونصيب[2]، وهذا لا يتناقض مع ما ذكرنا سابقاً من أنّ المبرّد لا ينسب البيت إن اختُلف في قائله، فهو قد يفعل في أحيان أخرى.

وقد ورد على لسان أبي الحسن – ناسخ الكامل– اتّهام يوجهه للمبرّد بأنّه مدلّس؛ لكونه يذكر بيتين للأخيطل[3] ينسبهما للأخطل[4]، ولنا في هذا وقفة نحاول فيها تحرّي الحقيقة.

إنّ هذا الاتهام لم يرد إلا في موضع واحد، وفي كتاب الكامل فحسب، كما أنّ نسبة المبرّد البيتين للأخطل لم يثبت في جميع نُسخ الكامل[5]، وقد يكون هذا سببًا كافيًا للشكّ فيما ورد، فهل نقبل مثل هذا الاتّهام بعد ما أشرنا من تحرّي المبرّد إسناد الأقوال لأصحابها وامتناعه أحياناً عن ذكر اسم الشّاعر للاختلاف حول قائله، واعتراف المبرّد بعدم معرفة القائل إن كان لا يعلم؟ وكيف يمكننا تعليل هذا الأمر؟

قد يكون سبب هذا ما جرى على أيدي النّساخ من تحريف، والأمر الأهم أنّ المبرّد لم يكن مضطراً لمثل هذا التّدليس وهو المعروف بالثقة في روايته[6]، وعدم تعصبه للقديم كما سنرى لاحقاً، فنفي هذا التّدليس عنه قد يكون أقرب للدّقة.

ويتضح فيما سبق كيف كان المبرّد يتحرّى نسبة الأبيات لأصحابها في أغلب الأبيات التي يذكرها، وإن لم يفعل فيكون ذلك لأسباب ذكرناها، فإن كان لا يعلم قائل الأبيات أو نسيه نجده يصرّح بذلك، وهذا يؤكّد خلق الرّاوي النّزيه الذي نتلمّس له عذرا في عدم معرفته أحياناً أو نسيانه، وذلك لاعتماده على ذاكرته في رواية الأشعار والأقوال[7].

---

[1] المبرّد، الكامل، 1029/2

[2] انظرالحسن البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج، (ت:656)، **الحماسة البصرية**، ط:3،(تح/ مختار الدين أحمد)، عالم الكتب، بيروت، 1983م، 142/2.

[3] الأخيطل: محمد بن عبد الله بن شعيب الأهوازي، شاعر عباسي. انظر العافي، سامي مكي، **معجم ألقاب الشعراء**، مطبعة النعمان/ النجف الأشرف، 1971، ص15.

[4] انظر المبرّد، الكامل، 944/2

[5] انظر المصدر نفسه، حاشية المحقق 2/ 944 ، إذ قال المحقق: "في نسخة أ : وقال أعرابي في صفة مصلوب ، وفي ب: وقال الأخطل في المصلوب وصفته. وقوله (هو الأخطل) ليس في (س ود وي) ، وفي ي وهو الأخيطل.

[6] انظرالخطيب البغدادي، تاريخ بغداد 380/3

[7] انظر المرصفي، رغبة الآمل، المقدمة.

ب - متن الروايات عند المبرّد:

اهتمّ المبرّد بمتن الرّوايات كاهتمامه بسندها، فقد كان يردّ نسبة الأبيات أحيانًا إلى قائليها من متن الرواية، فنراه يوافق الأصمعي في قوله في بيتٍ يروى للمهلهل بأنّه مصنوعٌ محدَث، وذلك لخطأ لغوي في المتن لا يقع فيه المهلهل[1] وذلك في البيت التّالي :

أنبَضــــوا مَعجِسَ القِسيِّ[2] وَأبرقــ نا كما توعِدُ الفُحولُ الفحولا

فذكر قول الأصمعي: "وأنّه لا يُقال إلاّ رَعَدَ وبرقَ إذا أوعَدَ وتهدّد! وهو(يرعُدُ ويبرُقُ) وكذلك يقال: رَعَدت السّماء وبرَقت، وأرعدنا نحن وأبرقنا إذا دخلنا في البرق"، فلم تكن موافقة المبرّد على أنّ هذا البيت الذي يروى لمهلهل مصنوع محدث صريحة، ولكنّنا نتلمسّها من عدم اعتراضه، ومن تأكيده ما جاء به الأصمعي، إذ يقول " وروى غير الأصمعي (أرعد وأبرق) على ضعف "[3].

فكان المبرّد دقيقاً في نقل متن الرواية كاملاً، ونستطيع الكشف عن هذا بمقارنة رواية وردت عنده في الكامل مع الرّواية نفسها كما وردت عند غيره، فقد تحرّى المبرّد الدّقة في نقل رواية ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها كاملة[4]، وقد كانت منقوصة عند غيره[5].

كما نجد المبرّد يصحّح أحيانا متن أبيات رواها، فيذكر بيتاً لمالك بن الرّيب المازنيّ:

ففي الأرض عن دار المذلّةِ مَذهبٌ وكلُّ بلادٍ أوطِنَت كبلادي [6]

يقول فيه: " كذا وقعت الرّواية بضم الهمزة وكسر الطاء، والأصح [من وجهة نظر المبرّد] أوطنَت بفتح الهمزة وفتح الطاء ".

وقد يذكر المبرّد رواية لمتن عجز بيت ابن نُمَير الثَّقَفِيُّ:

أشــــــــــاقتكَ الظعائنُ يومَ بانوا بذي الزّيِّ[7] الجميل من الأثاثِ[8]

---

[1] انظر المبرّد، الكامل، 1238/3

[2] الإنباض جذب الوتر ليرن ، ومعجس القوس مقبضها أو موضع السّهم منها . انظر المرصفي، رغبة الأمل، 8/8 .

[3] المبرّد، الكامل، 1238/3

[4] انظر المصدر نفسه، 2/ 734

[5] انظر العسكري، ديوان المعاني، 69/2

[6] المبرّد، الكامل، 630/2

[7] الزي: الهيئة والمنظر. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الزين.

[8] المبرّد، الكامل، 786/2

يراها المبرّد الرّواية الصّحيحة، ثمّ يحاول المبرّد تعليل وقوع البعض في خطأ رواية هذا العجز فيروونه بالشّكل التّالي:

أشـــــــــــــاقتكَ الظعائنُ يومَ بانوا بذي الرّئي الجميل من الأثاث

فقال:" واستهواهم إليه قول الله جلّ ثناؤه:﴿ هُم أحسنُ أثاثا ورءيا ﴾ [١]، فالأثاث متاع البيت، والرئي ما ظهر من الزّينة، وإنّما أخِذ من قولك: رَأيتُ، فالرِّئيُ غيرُ الأثاث والزّيُّ من الأثاث، فمن ههنا غلطوا "[٢].

ومع محاولات المبرّد تحرّي الدّقة والصّحة في متن الرّوايات إلا أنّنا نجده يكتفي أحياناً برواية عجز البيت؛ ليستشهد به على قضيّة لغوية، فتكون غايته حصر تفكير القارئ بهذا الجزء. فعلى سبيل المثال يقول المبرّد:" يقال في هذا المعنى: رجلٌ شيح، كما يقال: ناقة نِقضٌ" [٣]، فيكتفي المبرّد بذكر عجز بيت لأبي ذؤيب يرد فيه المعنى المقصود عند المبرّد:

وشايحــــــــــــتُ قبلَ اليــــــوم إنّكَ شيحُ [٤]

التصحيف:

اهتمّ المبرّد بإظهار التّصحيف الذي وقع فيه المنشدون فقال:" حدّثني التوزي عن أبي عبيدة قال: أنشدني المفضّل:

وإذا ألـــــــــــمّ خيــــــالُها طَرِقت عيني فمـــــــاء شؤونها سَجِمُ

فقال وإنّما هي (طُرِفت) فصحّفَ"[٥]

كما قال المبرّد " أخبرني التّوزي عن أبي عبيدة أنّ المفضّل أنشد بيت أوس بن حجر:

وذاتُ هِـــــــــــدمٍ عارٍ نَواشرُها تُصمِــــتُ بالماء تولَــباً جَذِعا [٦]

فيقول:" وإنّما هو جَدِعا " ويفسّر المبرّد روايته بشرح المفردة وتوضيح معناها فيقول:

---

[١] سورة مريم: 74

[٢] المبرّد، الكامل، 2/786

[٣] المصدر نفسه، 1/119

[٤] صدر البيت: بدرت إلى أولادهم فسبقتهم، انظر شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤية، **ديوان الهذليين**، ط:1، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1995م، 2/116.ناقة نقض: مهزولة من السّير، انظر المعجم الوسيط (نقض)

[٥] المبرّد، الفاضل، ص82

[٦] قال المبرّد: التّولب: الصّغير. والأهدام: خُلقان الثّياب. المصدر نفسه، ص82.

" والجدِع السيّئ الغذاء، ويقال جَدَعتُه وأجدعتُه: أسأتُ غِذاءَه "[1].

ج- المبرّد والرواة :

يكثر المبرّد الرواية عن الأصمعي، وقد يكون مردّ ذلك لما عُرِف عنه من ثقة في مروياته، ومع ذلك فهو يتحرّى الدّقة في أخذ الرّوايات عنه أيضاً، فنراه ينقل تصحيح الرّواة الآخرين له، فينقل لنا المبرّد قولاً عن أبي عمرو الشّيباني، يقول: " كنّا بالرّقة فأنشد الأصمعيّ:

عَنَناً بــاطلاً وظلـــماً كما تُعـــنَرُ عن حــجرَة الرَّبيض[2] الظّباءُ

فقلت له (تُعتَرُ) من العتيرة "[3].

ويبدو أنّ المبرِّد وافق أبا عمرو فيما جاء به من تصويب لإنشاد الأصمعي، يقول : "ومن نذورهم – يقصد العرب-: إذا بلغت إبلي كذا ذبحت كذا وكذا شاةً، ثمّ يقولون الظّباء شاءٌ، فيذبحون مكان الشّاة ظبية ممّا يصيدون، ويسمونها العتيرة، وحقّ ذلك أن يكون في رجب".

وينقل قولاً للتوزي يشير فيه إلى عدم دقة الأصمعي أحيانا، إذ يقول: " شهدت الأصمعيّ، فقرأ عليه رجل: ما في بعيري هانّــةٌ فجوّزها له، ومضى الرّجل، فرددتُ على الرّجل فقلت: إنّما هي هانّة، والهانّة الشّحم[4]، فسكت الأصمعي وما أجابني بحرف"[5].

ويُؤكّد المبرّد مقدار احترامه للرّواة جميعهم فإنّنا نجد المبرّد وكأنّه يعتذر عن هذا، حين يقول: " ولم نقصد في هذا الفصل طعناً على الأصمعيّ، ولا دفعاً لعلمه، وكذلك غيره ولكنّ الشيء بالشيء يذكر والحديث يجرّ الحديث"[6].

ونجد المبرّد يعتني بالرّواة الذين نقل عنهم، فقال عن الأصمعيّ: "وكان الأصمعيّ لا يفسّرُ من الشّعر ما فيه ذكرُ الأنواء[7]، بل كان لا يسمع ما فيه هِجاء، أو كان فيه ذكرُ النّجوم، كما أنّه

---

[1] المبرّد، الفاضل ، ص82

[2] العنن: الاعتراض. انظر المعجم الوسيط، (عنن). الحَجرَة : الناحية، انظر المصدر نفسه، (حجر). الربيض: الغنم برُعاتها المجتمعة في مرابضها. انظر المصدر نفسه، (ربض).

[3] المبرّد، الفاضل ص 85.

[4] الهانّة والهُنانة، بالضم: الشّحم. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب النون، فصل الهاء(هنّ).

[5] المبرّد، الفاضل، ص 84.

[6] المصدر نفسه ، ص 83.

[7] قال المبرّد : النّوء على الحقيقة الطّالع من الكوكبَين لا الغائِر، انظر المبرّد، الكامل، 3/1435.

لا يفسِّر ما وافق تفسيرُه بعضَ ما في القرآن إلاّ ساهياً، فيما ذكر أصحابه عنه، ويُروى أنّه سئِل عن غير شيءٍ من ذلك فأباه وزجر السّائل "[1].

وقد يكون تحرّى المبرّد الدّقة فيما يورد للرواة سبباً في عدم أخذ المبرّد عن خلف الأحمر إلاّ في مواضع معدودة، وذلك لعدم ثقته في روايته [2]، كما نراه يروي عن حماد الراوية في موضع واحد من كامله[3]، لما قيل عنه من انتحال الشّعر[4]، ولعدم الثقة في مروياته كذلك[5].

رأينا فيمّا سبق كيف اعتنى المبرّد بسند الأبيات، فينسبها لأصحابها غالباً، ويتحرّى الدّقة في معظمها، وإن أخطأ في نسبة الأبيات لأصحابها، أو أصاب التحريف بعض روايته فقد نلتمس له العذر، فالمحصول وفير وطريقة العرض والإملاء التي اتّبعها في بعض مؤلّفاته يجري فيها الكثير من الخطأ، فقد كان بعضها في حلقات علم، ويُضاف إلى ذلك اعتماده الذاكرة التي قد تخون صاحبها أحياناً كما يقول المرصفي:" إنّ أبا العبّاس كان كثيرا ما يعتمد في لفظه على جودة حفظه، فربّما نزع في غير قوسه فزاغ عن القصد سهمه، أو صعد في الأدب مرتقى زلّت به إلى الحضيض قدمه "[6]، كما لا ننسى بأنّ الروايات تناقلتها الشفاه وما سطر منها كان قليلا بالنسبة للمحفوظ في الصّدور، ولم يهيّأ لها جهاز نقديّ متفرّغ لمراجعة ما ينسخه الناسخ[7].

د- نقد يهتم بأثر البيئة في لغة الشّعر:

اتّصل المبرّد بكتب الأدب ودواوين الشّعراء وكتب التفسير، التي فتحت له آفاق المعرفة التي يحتاجها النّاقد فظهر عنده نقد يتصل بالشّعر، من حيث صلته بقائله أو بيئته التي نبت فيها، حيث العوامل المختلفة التي تؤثر في الأدب، وهو نقد لا يتصل بالجودة والرداءة، ولا يخوض في الموازنة بين الشعراء بل يقرّ صلات بين الشّعر وبيئة الشّاعر، أو بيئة المقصود بالمدح أو الذّمّ.

فروى المبرّد بيتين لجرير يهجو خُليدَ عَينَين العَبدِيِّ:

كم عمّةٍ لك يا خُلَيدُ وَ خالةٍ خُضرِ نَواجِذها مـــــن الكُرَّاثِ

---

[1] المبرّد، الكامل، 1435/3

[2] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 136/6.

[3] انظر المبرّد، الكامل، 734/2

[4] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 136/6.

[5] انظر الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 48/1

[6] المرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، مقدمة الكتاب.

[7] انظر الخطيب، المبرد ودراسة في كتابه الكامل، ص 584

نَبَتَت بمَنبِتِهِ فطابَ لِريحِهَا وَ نَأت عن القيصوم والجَثجاثِ [1]

ذكر بعدهما ما يوضّح أثر البيئة في الشّعر فقال: "وإنّما هجاه بالكُرّاثِ؛ لأنّ عبد القيس يسكُنون البَحرَين ، والكُرّاثُ من أطعِمَتِهم العامّة ويُسَمُّونَهُ (الرَّكَلَ)".

[1] المبرّد، الكامل، 1020/2

الفصل الثّاني:

قضايا نقديّة عامّة

أوّلا : الطبع والتكلف

اهتم العرب بالطّبع وأهميته في الأدب، وألفوا الكتب في تهذيب الطّبع [1]؛ لحاجة الشّاعر إليه في قول الشّعر والابتعاد عن التّكلّف[2]، ولما له من أثر في قوة الشّعر.

وقد بيّن علماء البلاغة والنّقد **الأدب المطبوع** أنّه ما صدرعن فطرة سليمة وجاء عفوًا، فهو ملكة من الله تعالى، يفضّل بها فردا ويحرم آخر، فتجد شاعرا أشعر من غيره وخطيبا أبلغ من خطيب، وهذا من جهة الطّبع والذكاء وحدّة القريحة والفطنة، وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأعصار، ولا يتصّف بها دهر دون دهر[3]. فمن هو الشّاعر المطبوع في نظر المبرّد؟

الشّاعر المطبوع عند المبرّد:

الشّاعر المطبوع عند المبرّد مَن يقول عفو الخاطر، فيرتجل الشّعر ويقوله دون إعداد، وهذا ما رآه المبرّد في ابنة الرّقاع التي أجابت قوماً وقفوا بباب أبيها يسألون عنه، ، فقالت: ما تريدون فقالوا: جئنا لنهاجيه فقالت مرتجلة:

تجـــــمّعتُم مِن كُلّ أوبٍ وَوجهَةٍ على واحِدٍ لا زلتُمُ قِرنَ واحِــدِ [4]

فقال المبرّد عنها: " فهذه بلغت بطبعِها على صِغَرِها مبلَغَ الأعشى في قلب هذا المعنى، إذ يقول لِهَوذَةَ بن عليّ ":

يرى جَمعَ ما دونَ الثّلاثينَ قُصرَةً ويَعدو عَلى جَمعِ الثلاثينَ واحِدا [5]

" ويروي لنا المبرّد كيف جاء عبد الرّحمن بن حسّانَ – وهو ابن الصحابي الشاعر حسان بن ثابت – أباه يبكي وقد لسعه زنبورٌ فسأله لماذا يبكي؟ فقال مرتجلا: " لسعني طائرٌ كأنّه مُلتَفٌّ في

---

[1] انظر ابن طباطبا، العلوي أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت: 322)، عيار الشّعر، ط:1، (تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 م، ص10.

[2] انظر العسكري، الصناعتين، ص61

[3] انظر القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، (ت: 366هـ)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ط:1، (تح/ أحمد عارف الزين) ، مطبعة العرفان ، صيدا، 1912م، ص20.

[4] المبرد، الكامل، 343/1

[5] رواية الديوان (يرى كلّ ما دون الثلاثين رُخصَة ويعدو إذا كان الثمانون واحدا.) أي أنّه يستخفّ بجمع الثلاثين فلا يهاجمه استهانة بأمره، ويعدو وحده على جمع الثمانين. انظر الأعشى الكبير، الديوان، ص116.

بُردَي حِبَرَةٍ[1]. فقال له حسان: قلتَ والله الشّعرَ "[2].

كما عدّ المبرّد مروان بن أبي حفصة مطبوعاً، إذ يقول فيه: " كان مطبوعًا خطيباً في شعره، صحيح المعاني، قليل الإغماض صلب الكلام"[3].

ويبدو من تعليق المبرّد هذا أنّه رأى في أبي حفصة شاعراً مطبوعاً، لأنه ارتجل شعره ارتجالاً كما يرتجل الخطيب خطبته، ويؤكّد هذا موقف المبرّد من أبي نواس، فقد وجده المبرّد مطبوع الشّعر أيضاً[4]، وكان قد وُصِف أبو نواس أنّه شاعر خطيب يرتجل الشعر ويقوله على البديهة[5]، فهل يُفهم من هذا أنّ الشاعر المطبوع عند المبرّد من يرتجل الشّعر مثل الخطيب؟

و يبدو أنّ المبرّد لم يفرّق بين البديهة والارتجال في الشّعر فكان في هذا مثل الجاحظ الذي قال: "وكلّ شيء للعرب فإنّما هو بديهة وارتجال وكأنّه إلهام "[6].

وأظنّ المبرّد اشترط في الشّاعر المطبوع أن يكون صحيح المعاني، وهذا ما وجده في شعر أبي حفص الذي وصفه بمطبوع الشّعر، فماذا قصد المبرّد بصحيح معاني الشّعر؟

قد يكون قصد المبرّد بصحيح المعاني أن لا يحمل الشعر المطبوع خطأ من ناحية اللغة أوواقع الحياة، أومن ناحية واقع التاريخ أومن جهة التّصوير، وهذا ما سنفصّل القول فيه لاحقاً[7].

ويبدو أنّ المبرّد اشترط في الشّاعر المطبوع أن يكون قليل الإغماض في شعره، وهو ما رآه في شعر أبي حفص؛ أي أن يكون بعيداً عن التعقيد قريباً من الوضوح، فلا بأس عند المبرّد أن يحوي الشعر القليل من الغموض، أي أن يحوي ا لإشارة أوالإيماء أوغير هذا من أنواع الغموض المطلوب في الشّعر عند نقاد العرب[8].

كما يظهر أنّ المبرّد اشترط في الشّاعر المطبوع أيضاً أن يكون صلب الكلام؛ وأحسبه يقصد في هذا أن يأتي الشعر بنسيج متلاحم الأجزاء، في ألفاظه ومعانيه.

وقد وافق رأي المبرّد في الشّاعر المطبوع رأي الجاحظ؛ فقد وصف الجاحظ المطبوعين من الشّعراء بقوله: "هم الذين تأتيهم المعاني سهواً ورهوًا، وتنثال الألفاظ عليهم

---

[1] الحِبرة: ثوب من قطن أو كتّان مخطّط كان يصنع باليمن،. انظر المعجم الوسيط، (حبر)

[2] المبرد، الكامل، 342/1

[3] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص177

[4] انظرالمرزباني، الموشّح، ص269

[5] انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 199/1

[6] الجاحظ، البيان والتبيين، 28/3

[7] انظر مقياس الصحة والخطأ في المعنى ص 122، فيما سيأتي من البحث.

[8] انظرغريّب، روز، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، ط:1، دار الفكر العربي،بيروت، 1993م، ص130.

انثيالا"[1]، ولكنّ المبرّد اشترط أموراً في معاني الشّاعر المطبوع وألفاظه لم يشر إليها الجاحظ، فكان الشّاعر المطبوع عند المبرّد من يرتجل الشّعر فيكون سهلا عليه، يقوله بمعانٍ صحيحة واضحة لا تعقيد فيها، وبنسيج متلاحم في لفظه ومعانيه وكلّ هذا من أبواب "عمود الشّعر"، **وهو ما جاء القول فيه لاحقاً بعد المبرّد**[2]، فهل اشترط المبرّد في الشّعر المطبوع أن يوافق أبواب "عمود الشّعر" كلّها؟

لقد كان أحسن الشّعر عند المبرّد ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وما أصاب فيه الحقيقة، ونبّه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره، وما ساقه برصف قوي، وعدّل فيه عن الإفراط [3]، كما استحسن المبرّد جزالة اللفظ في الشّعر [4]، واعتنى بمشاكلة اللفظ للمعنى، وهو ما رآه المبرّد في القول المتسّق[5]، وأعجِبَ المبرّد بالأوضح معنى والأعرب لفظًا والأقرب مأخذًا من الشّعر [6]، وكلّ هذا من أبواب "عمود الشّعر" كما ذكر سابقاً، فإنْ كان المبرّد يستحسن من الشعر ما جاء على أبواب "عمود الشّعر"، فأنّه لم يصف من خالف هذه الأبواب غير مطبوع، ومثال هذا أبو نواس الذي خرج عن بعض أبواب عمود الشّعر وأفرط في شعره، ومع هذا صرّح المبرّد بكونه مطبوعاً، وغفر له هذا الإفراط في الشّعر، فقال المبرّد: " والطبعيّ ربما أساء وفرط، ثم يبعثه طبعه على الشيء الجيد"[7]. فإفراط الشاعر في الشّعر أحياناً لا يمنعه من أن يكون مطبوعاً في رأي المبرّد.

الاختلاف في الطبع:

وقد أشار المبرّد في مؤلّفاته إلى أنّ الشّعراء مختلفون في الطّبع، وكان مثاله في هذا ذا الرّمة الذي وجده المبرّد لا يحسن المدح بل يحسن الوصف، فاستحسن المبرّد شعر الوصف

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، 13/2، السّهو: السّهل اللّين والرهو: السهل الدمث، انثالت: اجتمعت وانصبّت من كلّ وجه ،انظر المصدر نفسه 13/2.

[2] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن،(ت:421هـ) **شرح ديوان الحماسة**، ط:1، (تح/ أحمد أمين وعبد السلام هارون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1951م، 1/ 9.

[3] انظرالمبرد، الكامل،1/ 385 ، أو انظر المرزباني، الموشّح، ص244.

[4] انظر المبرّد، الكامل،63/1

[5] انظر المصدر نفسه، 1427/3

[6] انظر المصدر نفسه،42/1 .

[7] المرزباني، الموشّح، ص269

عنده[1]، وعاب مدحه[2].

كما قال المبرّد عن العباس بن الأحنف:" كان قصده الغزل وشغله النسيب وكان مقبولاً غزلاً، غزير الفكر، واسع الكلام، كثير التصرف في الغزل وحده، ولم يكن هجّاءً ولا مدّاحاً" [3].

لقد كان المبرّد في هذا موافقا لابن قتيبة الذي قال: " والشّعراء أيضاً في الطبع مختلفون، منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء، ومنهم من يتيسّر له المراثي ويتعذّر عليه الغزل"[4].

دواعي الشّعر تحتّ الطّبع:

كما فطن المبرّد إلى أنّ المطبوع يحتاج إلى دواع **للشّعر تحتّ طبعه**، فكان له إشارات لبعض هذه الدواعي عند الشّعراء، فقد استحسن قول متمم بن نويرة في أخيه مالك:

وقـــالوا أتبكي كلّ قبرٍ رأيتَهُ لِقبرٍ ثوى بين اللّوى والدّكــادِكِ

فقلت لهم إنّ الأسى يَبعثُ البكا ذَروني فهذا كُلُّهُ قَبرُ مـــــالِكِ [5]

فقد دلّ قول ابن نويرة على " تمكّن الحزن من قلبه وقلة نسيانه لأخيه "[6]، وأكّد المبرّد هذا عنه قائلاً: " كان لا يمرّ بقبر، ولا يذكر الموت بحضرته إلاّ قال: (يا مالك) ثمّ فاضت عبرته"[7]، وكأنّ المبرّد يشير إلى تأثير داعي الحزن في شعر الشّاعر، وأكدّ المبرّد ذلك حين أشار إلى اختلاف رثاء متمم؛ لاختلاف درجة الحزن في قلبه، فقد رثى متمم أخا عمر بن الخطاب زيداً، فلم يكن شعره مستحسناً مثل رثائه لأخيه مالك، فقال له عمر:" لم ترث زيداً كما رثيت أخاك مالكا! فقال: إنّه والله يحرّكني لمالك ما لا يحرّكني لزيد"[8]، فقد كانت دواعي الحزن على أخيه كافية في إظهار شعره المستحسن وهذا ما لم يكن في رثاء زيد، فلم تظهر الدواعي التي تحثّه على الإجادة في شعره.

---

[1] انظر المبرّد، الكامل، 935/2

[2] انظر المرزباني، الموشح، ص179.

[3] اقتباس من كتاب الروضة. الأصفهاني، الأغاني 8/ 352.

[4] ابن قتيبة، الشعر والشّعراء ص 32

[5] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 88

[6] المصدر نفسه، ص88

[7] المصدر نفسه، ص88

[8] المبرّد، الكامل، 1447/3

وهذا ما رآه المبرّد في شعر الخنساء فقال عنها: "كانت تقول الأبيات اليسيرة، فلمّا أصيبت بأخيها صخر جدّت وأجادت وجمَعت نفسها وشهرت"[١]. وكأنّه يظهر لنا دوافع الشّعر عندها، فقد أظهر حزنها على أخيها صخر إجادتها في قولها، فقد كان هذا الحزن دافعاً من الدّوافع التي أظهرت موهبتها الشّعريّة أكثر.

وقد ذكر المبرّد أشعارًا لها ترثي أخاها صخرًا، عدّها المبرّد من الأشعار النادرة، فيقول: "وممّا ندر[٢] من شعرها[٣]":

يا صَخرُ ورّادَ ماءٍ قد تَناذرَهُ أهلُ المِياهِ وما في وِردِهِ عارُ [٤]

ثمّ يذكر أبياتاً لها ترثي أخاها معاوية بن عمرو، يوردها المبرّد دون تعليق[٥]، وكأنّ المبرّد يرى أن الخنساء وقعت تحت سيطرة حزنها الشّديد على فقدان صخر، وهو حزن عميق؛ لأنّ أخاها صخرًا الأحب إلى نفسها؛ وذلك لصفات تحلّى بها، وقد رأى المبرّد أنّه استحقّ بهذه الصّفات هذا الحزن من الخنساء فقال: " وكان صخرٌ يستَحِقُّ ذلك منها بأمورٍ: منها أنّه كان موصوفاً بالحِلم، ومشهوراً بالجودِ، ومعروفاً بالتّقدُّم في الشّجاعة، ومحظوظاً في العَشيرةِ "[٦].

وكأنّ المبرّد يرى في دواعي حزن الخنساء الشّديد على صخر ما أخرج أبياتها النادرة فيه، ودواعي الحزن هذه لم تكن بهذه القوة في رثائها لأخيها معاوية.

كما ذكر المبرّد التكسُّب كأحد دوافع الشّعر أيضاً، وكان هذا واضحاً في نقل المبرّد قول الحطيئة حين سئل،" أي الناس أشعر؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنّه لسان حيّة، فقال: هذا إذا طمع"[٧]، وثمة حديث في رأي المبرّد بتكسّب الشّعراء في الصفحات القادمة[٨].

---

[١] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 92

[٢] انظر الشّعر النّادر ص36 فيما سبق من البحث.

[٣] المبرّد، الكامل، 1412/3، المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 100

[٤] قال المبرّد : تعني في هذا البيت الموت، أي لإقدامه على الحرب .

[٥] انظر المبرّد، الكامل، 1417/3، و انظر المبرّد التعازي والمراثي ص 107 .

[٦] المبرّد، الكامل، 1417/3

[٧] ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ص187

[٨] انظر ص 167 وما بعدها فيما سيأتي من البحث

نبوّ الطبع:

ويتطرّق المبرّد إلى فترة قد تَعْرِضُ للشّاعر في بعض الأوقات؛ وقد صعب عليه أحياناً أن يجد لعواطفه وأفكاره وعاء لغوياً مناسباً، يقول عن نفسه:" لا أحتاج إلى وصف نفسي لعلم النّاس بي إنّه ليس أحد من الخافقين تختلج في نفسه مسألة مشكلة إلا لقيني بها، وأعدني لها، فأنا عالم ومتعلّم، وحافظ ودارس لا يخفى علي مشتبه من الشّعر والنّحو، والكلام المنثور، والخطب والرّسائل. وربما احتجت إلى اعتذار من فلتة أو التماس حاجة، فأجعل المعنى الذي أقصده نصب عيني، ثمّ لا أجد سبيلاً إلى التّعبير عنه بيد ولا لسان"[١].

وكأنّ المبرّد يشير إلى موت قريحة الشاعر **أونبوّ طبعه** أحياناً، وهذا ما ذكره ابن قتيبة، إذ يقول:" للشّعر تارات يبعد فيها قريبه...ولا يعرف لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سوء غذاء أو خاطر غم "[٢]، ثمّ يذكر قول الفرزدق: تمر علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي أهون علي من عمل بيت شعر"[٣].

التّكلّف عند المبرّد:

إنّ زيادة الكلام وذكر ما لا حاجة له تجعل الكلام متكلّفاً **في** نظر المبرّد، وأكدّ هذا ما جاء من المبرّد في معرض شرحه لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (الثرثارون)[٤]، إذ قال: "الثرثارون يعني الذين يُكثِرون الكلام تكلّفاً وتجاوزاً، وخروجاً عن الحق"[٥]

لذا فضّل المبرّد بيتي أبي حيّة النميريّ:

رمتني وستِرُ الله بيني وبينها عشيّة آرام الكِـــناس رميم

ألا ربّ يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنّضال قديمُ[٦]

---

[١] العسكري، الصناعتين، ص171

[٢] ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ص23

[٣] المصدر نفسه ص 23

[٤] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" ألا أخبركم بأحبّكم إليّ وأقربكم منّي مَجالِس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويُؤلفون، ألا أخبركم بأبغَضِكم إليّ وأبعَدكم منّي مجالِس يوم القيامة؟ الثرثارون المُتفيهقون".

[٥] المبرّد، الكامل، 7/1

[٦] المصدر نفسه، 43/1

لخلوّهما من التّكلّف، فيقول: "وممّا يفضل لتخلّصه من التّكلّف وسلامته من التّزيّد وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة النُّميريّ"[١] ، فالكلام الذي يخلو من التّزيّد والاستعانة، يخلو من التكلّف، وهذا ما رآه المبرّد في بيتي أبي حيّة.

ونرى المبرّد حريصاً على تجنّب التّكلف في كتاباته ، فيقول في بداية كتابه "التعازي والمراثي":"الرّجل الذي أنشأنا هذا الكتاب بسببه ومن أجل وفاته نأمن أن لا يلحق وصفنا إيّاه تزيّد أو تكلّف"[٢]، فوصف الرّجل بما ليس فيه تكلّف في نظر المبرّد، وتحرّي الصّدق عند المبرّد يبعد هذا الشّعر عن التكلّف الذي لا حاجة له.

ويبدو أنّ المبرّد لا يجد في تنقيح الشّعر تكلّفا، فهو يدعو إلى تنقيح الشّعر ليكون في أبيات الشّاعر تلاؤم، وهو بهذا يخالف أستاذه الجاحظ الذي عدّ تنقيح الشّعر تكلّفاً[٣].

وقد ظهر تفضيل المبرّد للشّعر المنقّح في مدحه لشاعر محكّك في الشّعر مثل زهير، واستحسانه لأشعاره[٤]، وذكر قيمة هذه الأشعار ومدْح الآخرين لها[٥].

ومما يؤكّد تفضيل المبرّد للشّعر المنقّح، عيبه عدم التلاؤم في أبيات جرير، واستحسانه شعراً للفرزدق كان التلاؤم في أبياته واضحاً، فقال عن جرير يأتي بالبيت وابن عمّه والفرزدق يأتي بالبيت وأخيه[٦].

ويؤكّد هذا أيضا عيب المبرّد بعض شعر أبي تمام لوجود البيت النادر فيه يتبعه السّخيف، فيكون شعره غير مستو لا تلاؤم في أبياته[٧]، يقول عنه:"يعلو علوًا رفيعاً ويسقط سقوطاً قبيحاً"[٨]، فأبو تمام في نظر المبرّد بخيل بتنقيح شعره، وهذا ما رآه الآمدي من بعده فيقول: " لكنّه شَرِهَ إلى إيراد كلّ ما جاش به خاطره ولجلجَهُ فكرهُ، فخلط الجيدَ بالرّديء، والعينَ النادر بالرَّذل الساقط، والصّواب بالخطأ "[٩]. بينما يرى المبرّد في شعر البحتري استواء ؛ لأنّ

---

[١] المبرد، الكامل، 43/1

[٢] المبرّد، التعازي والمراثي، ص18

[٣] انظر الجاحظ، البيان والتبيين، 9/2

[٤] انظر المبرّد، الكامل، 226/1

[٥] انظر المبرّد، الفاضل، ص14

[٦] انظر المرزباني، الموشح، ص121

[٧] انظر الصولي، أخبار أبي تمام، ص96

[٨] انظر التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، 186/3

[٩] الآمدي، الموازنة، 1/ 135

البحتري يقول القصيدة كلّها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب، فقد سلم شعر البحتري من هذا التّفاوت بسبب تنقيحه لشعره.

كما قام المبرّد بالتفريق بين التّكلّف الذي عابه وبين الصّنعة وهي الخيال البديع والتفنن في الصياغة والذي أعجب به، حيث يستحسن معاني أبي نواس الطريفة وخياله البديع ولفظه العذب، ويعدّه أكثر الشّعراء تشبيهاً لاتّساعه في القول وكثرة تفنّنه واتّساع مذاهبه[1]، ولا يجد في هذا تكلّفا، فأبو نواس عند المبرّد مطبوع الشّعر كما أشرنا، فالمبرّد يمتدح حذق أبي نواس في الصنعة وابتداعه للمعاني الجديدة في مدحه الفضلَ بن يحيى بن خالدِ بن بَرمَكٍ بأبيات أوّلها:

وكنّا، إذا مـــــا الحائِنُ الجَدّ[2] غَرَّهُ سنى بَرق غادٍ أو ضَجيجُ رِعادِ[3]

تـــردّى له الفضل بن يحيى بن خالدٍ بماضي الظُّبا أزهاه طول نِجادِ[4]

ويستحسن تشبيهه في البيت التالي:

تــــرى النّاسَ أفواجاً إلى بابِ داره كأنّهُمُ رجلا دَبــــاً[5] وجَـــرادِ[6]

فيـــومٌ لإلحاق الفقير بـــذي الغِنى ويومُ رقابٍ بوكِرَت بـــحَـــصادِ

ويستطرف تشبيهاً آخر حسنا له وهو:

تُعــــاطيكَهـــــــــا كَفٌّ كَأنَّ بَنانَها إذا اعترضتَها العَينُ صَفٌّ مَداري[7]

كما أنّه لا يجد ضيرا في بديع أبي تمام أيضاً؛ فلا يعيب شيئا من استعاراته البعيدة ومعانيه المولّدة[8].

---

[1] انظر المبرّد، الكامل، 1040/2

[2] قال المبرّد : الحائن الجَدِّ يقال : حان الرّجل : إذا دنا موته ، والجدّ الحظُّ . انظر المصدر نفسه، 1040/2

[3] السنى: الضياء، الرِّعاد: جمع رعد. غادٍ وردت في الديوان غاوٍ . انظر أبا نواس، الديوان، ص204

[4] 1040/2، الظبى: جمع ظبة وهي حدّ السيف، وماضي الظبى: أي السيف القاطع، يزهاه: يسمو به ويعليه، النجاد: حمائل السيف.انظر أبا نواس، الديوان، ص 204

[5] الصواب دبىً . انظر المصدر نفسه، ص204

[6] المصدر نفسه، 2/ 1045. الدّبى: أصغر الجراد والنّمل. انظر الفيروز آبادي، أبو طاهر، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت:817)، القاموس المحيط، ، ط:6،(تح/ محمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م ، باب الألف، فصل الدّال، (دبى)

[7] المبرّد، الكامل، 1047/2

[8] انظر الصولي، أخبار أبي تمام، ص96

ويعجب بالتّشبيه الجامع الذي جاء عند مسلم بن الوليد [1]، وهو ما ورد في بيت له يمدح فيه فيقول:

تمــضي المنايا كما تمضي أسِنّتُهُ كأنّ في سَرجِهِ بدراً وضِرغاما [2]

والتشبيه المستطرف عند بشار [3]، كما عدّ قولاً لإسماعيل بن القاسم من أحسن ما قالوا في التّشبيه [4]، وكذلك قال في قول للعباس بن الأحنف [5].

وإن أفرط الشّاعر بهذه الصّنعة فهذا غير محمود عند المبرّد، ولكنّه يعطي عذراً للشّاعر المطبوع الذي يقوم بهذا الإفراط كما أشرنا سابقا، فيقول: " الطبعي ربما أساء وفرط، ثمّ يبعثه طبعه على الشيء الجيد ..." [6]

ثانياً : اللفظ والمعنى عند المبرّد

من أوائل من أثاروا قضيّة اللفظ والمعنى أبو عثمان الجاحظ، فقد عالج هذا الموضوع، مفضّلاً اللفظ على المعنى، إذ يقول:" والمعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدوي والقروي، وإنّما الشّأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحّة الطّبع وجودة السّبك." [7] وبعد الجاحظ اختُلِفَ في المسألة، فظهر من أيّد نظرية الجاحظ وفضّل اللّفظ على المعنى، فيجعله غايته ووكده. وكان هناك من خالف نظريّة الجاحظ وفضّل المعنى على اللّفظ، يطلب صحتّه لا يبالي بما وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته [8]، وظهر من كان وسطاً في تناوله للمسألة في الجمع بين اللّفظ والمعنى.

أولى المبرّد المعنى اهتماماً يوازي اهتمامه باللّفظ، خلافاً لما قيل من أنّ المبرّد اهتم بالمعنى دون الشكل [9]، فقد جمع المبرّد بين اللّفظ والمعنى في غير موضع في مؤلّفاته، فحين

---

[1] انظر توضيح المبرّد للتشبيه الجامع، ص 176 سيأتي من البحث.

[2] انظر المبرّد، الكامل، 1053/2

[3] انظر المصدر نفسه، 942/2

[4] انظر المصدر نفسه، 1053/3

[5] انظر المصدر نفسه، 1053/3

[6] انظر ص 73 فيما سبق

[7] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت:) الحيوان، ط1، (تح/ عبد السلام هارون)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،1938م، 3/ 131، و132.

[8] انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 132/1

[9] انظر طه، هند حسين، النظرية النقدية عند العرب، ص 45

يتحدّث عمّا يستحسن من كلام فإنّه يبني استحسانه على اللفظ والمعنى، فيرى ضرورة أن يتوافر في النّص: صحة المعنى وجزالة اللفظ، وأن تكون المعاني متداولة بين النّاس، وهذا ما رآه المبرّد في قول ابن ميادة في أبياتٍ أولها:

أمـــــــــــرتُك يا رياحُ بأمر حَزم فقلتُ: هَشيمَةٌ مِن أهلِ نَجدِ [1]

والذي علّق عليه المبرّد:" وممّا يستحسن إنشاده من الشّعر لصحّة معناه، وجزالة لفظه وكثرة تردّد ضربه من المعاني بين النّاس" [2].

كما يشترط المبرّد في الكلام أن يكون " في أوضح معنى وأعرب لفظ ... " [3] فالغاية من الكلام الحسن عند المبرّد خروجه بألفاظ ليست غريبة وبمعانٍ مفهومة، وهذا ما وجده المبرد في قول الشّاعر يرثي أباه بقول أوّله:

أشِدِ أيُّها الناعي وإن كُنتَ لا تدري بِكُنهِ الذي تنعي من الدِّين والقدر

"أعرب فيه فأفصح وأغرب فيه فلم يُفحش، ولكنّه خرج أحسن الخروج من كلام مبسوط ومعان مفهومة" [4].

لقد مضى المبرّد، مفصّلاً في قضية اللّفظ والمعنى، يجمع بين اللّفظ والمعنى في اختياره للقول المتّسق الذي استحسنه لمعناه اللطيف ولفظه الفخم الجليل [5].

كما ظهر اهتمام المبرّد باللفظ والمعنى في بيان سمات الشّعر الجيّد عنده، فأحسن الشّعر عند المبرّد" ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسن منه ما أصاب فيه الحقيقة، ونبّه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره، وساقه برصف قوي، واختصارٍ قريب..." [6]

فحتى يقارب القائل في التّشبيه لا بدّ من أن يكون التّشبيه كما قيل بين شيئين لاشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما فيها؛ ليظهر وجه الشّبه بشكلٍ أوضح [7]، وفي هذا اهتمام واضح

---

[1] الهشيم: المهشوم المتكسر، والهشيمة: الأرض التي ييبس شجرها حتى اسود.انظر المعجم الوسيط (هشم). وفي هذا كناية فقد أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل.

[2] المبرّد، الكامل، 1/63

[3] المصدر نفسه، 1/ 42

[4] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 272

[5] انظر المبرّد، الكامل، 3/1427.

[6] المصدر نفسه، 1/385

[7] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، ص 109

باللفظ والمعنى، فيرى المبرّد أنّ القائل يختار اللفظ المناسب الذي يحمل المعنى المقصود ليصيب فيه الحقيقة، ثمّ يسوق اللفظ الذي يحمل هذا المعنى المقصود برصف قوي، وبألفاظ قليلة.

وقد اعتنى المبرّد بنوع العلاقة التي تربط اللّفظ بمعناه، وتوقف عند مبحث الحقيقة والمجاز في تعريفه لضروب الكلام، فالكلام عند المبرّد: " لفظ متصّل بالمعنى، يجري على ضروب: فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ومنه ما يُكنى عنه بغيره، ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف" [1]

وكلام المبرّد هذا قريب ممّا جاء به عبد القاهر الجرجاني بعده : " الكلم على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبرعن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، ... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتّمثيل..." [2]. فهل كان المبرّد بهذا مقدمة لعبد القاهر؟

لقد ميّز المبرّد بين الاستعمال العادي للفظ وهوالحقيقة، والاستعمال غير العادي له، فبعد أن نبّه على الحقيقة في الكلام الذي (يكون في الأصل لنفسه) على حدّ تعبيره، قابل هذه الحقيقة بما يُكنى عنه بغيره، وبالمجاز الذي سمّاه مثلا.

فيبدو الاستعمال العادي للفظ عند المبرّد، أن تستخدم الكلمة في دلالاتها الموضوعة لها في اللغة من قبيل الحقيقة، وكأنّ المبرّد عنى بهذا المعنى المُعجمي أي المعنى الأوّل الذي يُفهم بدلالة اللفظ وحده، أي يفهم من ظاهر اللّفظ بغير واسطة، وهو ما يكثر بحثه في مؤلّفات المبرّد، يشرح المعنى الوارد في الأبيات، فيقول في بيتٍ للخنساء ترثي صخراً:

أبعدَ ابنِ عَمرو بن آلِ الشريــ دِ حَلّت بهِ الأرضُ أثقالها [3]

وقد تجاوز اهتمام المبرّد بالمعاني الأولى التي هي دلالات اللّغة قبل أنْ تتطوّر؛ أي قبل أن يتصرّف الأدباء في استعمالاتها، إلى الاهتمام بالمعاني الثّانيّة، وهي دلالة جديدة للكلمة

---

[1] المبرّد، الكامل، 855/1

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص262

[3] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 96 . قال المبرّد : أثقالها : تعني الموت ويستشهد بقوله تعالى : ﴿وأخرجت الأرضُ أثقالها﴾ سورة الزلزلة:2. فقال:" قالوا يعني الموتى ".

تتعدّى المعنى الحقيقي للألفاظ[1]، فلا يتقيّد المبرّد بحرفية اللفظ فحسب؛ ولكنّه يهتمّ بمعنى المعنى، وهو الاستعمال غير العادي للفظ أوالكلمة، وأحسب المبرّد قد عنى فيه المعنى المجازي، إذ تستعمل الكلمة بدلالة أخرى تكون أكثر تمثيلا للمعنى،.ونجد المبرّد يعرض نماذج للكناية الاصطلاحيّة، وإن لم يقسّمها التقسيمات التي وضعها اللاحقون من البلاغيين[2]، كما تنبّه المبرّد على أغراض الكناية، وكان متفردًا بهذا التناول، فلم يسبقه إليه أحدٌ[3]، وإن عبّر عن ذلك بأضرب الكناية التي شملت عنده:

أوّلاً: التّعميَّة والتّغطيّة[4]:

وقد أشار المبرّد بهذا الغرض أوالضّرب من الكناية إلى الجانب النّفسيّ في الكناية، فيستشهد بقول ذي الرّمة:"استراحة إلى التّصريح من الكناية" [5]، وكأنّ المبرّد يوافق بأنّ النّفس تستريح للتّصريح، وتكني للتخفية، وهذا حال العاشق الذي يَكني باسم المحبوبة ويرتاح حين يصرح باسمها، وهو ما كان في قول ذي الرمة:

أحـــــــبّ المكان القفر من أجل أنّني به أتغنّى باسمها غير معجم [6]

وأحسب المبرّد يشير في هذا إلى الجانب الاجتماعيّ في هذا النّوع من الكناية أيضاً، وهو حماية الفتاة المتغزّل بها من الأقاويل، فيَكني الشاعر المحبّ باسمها، فلا يعلم السّامع من هي المقصودة بهذا النسيب.

ثانيا: الرّغبة عن اللّفظ الخسيس المفحش إلى ما يدلّ على معناه من غيره[7]:

وهذا أحسن أضرب الكناية عند المبرّد لما فيه من صيانة للسان عن الألفاظ الخسيسة، وقد أورد المبرّد أمثلة عديدة على هذا الضّرب من الكناية متحدّثاً عن كثرته في الكلام، إذ يقول:

---

[1] انظر مطلوب، أحمد، **معجم النّقد العربي القديم**، ط:1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد،1989م، 1/ 316.

[2] انظر عمار، ياسر محمد عطا، (1994)، **المبرّد بلاغيا**، رسالة ماجستيرغير منشورة، الجامعة الأردنية،عمّان، الأردن، ص68

[3] انظر حسن الشيخ، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، ص 440

[4] انظر المبرّد، الكامل، 855/2

[5] المصدر نفسه، 855/2

[6] المصدر نفسه، 855/2

[7] انظر المصدر نفسه،856/2

وهذا كثير"[1]، فمن الأمثلة التي أوردها على هذا النّوع من الكناية قولهم:"(جاء فلان من الغائط)

كناية عن الحدث"[2]، فيقول: "وإنّما (الغائط) الوادي"[3]، وقد أطلق المبرّد عليه ألفاظ الكنايات، فتحدّث عن النكاح، والجماع، وقضاء الحاجة، والفروج، التي كثر استخدامها بالقرآن الكريم بكنايات، ويبدو أنّ العسكريّ استفاد من هذا دون أن يذكر مصطلح ألفاظ الكنايات[4].

" ثالثاً: التّفخيم والتّعظيم:

شرح المبرّد هذا النّوع من الكناية، قائلا: " ومنه اشتقت الكنية" [5]، ثمّ وضّح كيف تقع هذه الكناية " في الصّبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد فيدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانة لاسمه"[6].

ليُلحظ فيما سبق فهم المبرّد الخاص لطبيعة الكناية وأقسامها وأغراضها، وكأنّه في هذا كان مقدّمة لغيره من البلاغيين بعده[7].

كما ظهرت عناية المبرّد بالمثل وهو ما كان في قول الحسن البصري: "حادثوا هذه القلوب، فإنّها سريعة الدثور. واقدَعوا هذه الأنفسَ فإنّها طَلَعَةٌ، وإنّكم إلاّ تَقدَعوها تَنزع بكم إلى شَرِّغاية"[8]، فـ:" قوله حادثوا " مَثَـلٌ، ومعناه: اجلُوا واشحَذوا، تقول العرب: حادَث فلانٌ سيفَهُ إذا جَلاه وشَحَذَهُ".

كما قال المبرّد في بيت لعويف القوافي من قصيدة قالها في رثاء سليمان بن عبد الملك:

وكـــــــادت النّفسُ تُساوي حَلْقَهُ ألقى إلى خير قريشٍ وَسقَهُ

---

[1] المبرّد، الكامل ، 757/2

[2] المصدر نفسه، 857/2

[3] المصدر نفسه، 857/2

[4] انظر العسكري، الصناعتين، ص 16 ، و ص 407

[5] المبرّد، الكامل، 858/2

[6] المصدر نفسه، 858/2

[7] انظر حسن الشيخ، قضايا النقد الأدبي والبلاغة، ص 440

[8] المبرّد، الكامل، 1/ 272

" ألقى إلي خير قريش وسقهُ، فهذا مثل، يريد: قلّده أمره، والوسق الحمل" [١].

وإن كان المبرّد في استحسانه للشّعر يذكر اللفظ والمعنى، فنراه أيضاً في عيبه للشّعر يتعرّض للفظ والمعنى؛ فيعيب من الشّعر ما يحمل أهجن الألفاظ وأبعد المعاني[٢].

كما لم يكن اهتمام المبرّد بألفاظ الشّعر ومعانيه حسب، بل نراه يهتمّ بألفاظ النّثر وما ورد فيه من معنى، فنراه يفضّل قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " كفى بالسّلامة داء " [٣] فلا زيادة ولا نقصان في ألفاظه الجزلة، والفخمة، التي حملت المعنى الكثير الذي ظهر في الوعظ.

ويذكر المبرّد رسالة[٤] استحسن ألفاظها، واستغرب معانيها، ووقف على إبلاغ عظاتها [٥]. ويقدّم المبرّد قول عمر بن الخطّاب في أوّل خطبة خطبها، لما قيل عنها من قلّة ألفاظها وكثرة معانيها[٦].

وذكر رسالة عمر بن الخطّاب في القضاء إلى أبي موسى الأشعري؛ ليؤكّد اهتمامه باللفظ والمعنى، فوضّح لنا كيف جمع عمر فيها جمل الأحكام وكيف اختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها إمامًا [٧].

إنّ من حقّ البلاغة عند المبرّد "إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام، وحسن النّظم حتّى تكون الكلمة مقاربة أختها ومعاضدة شكلها، وأن يقرب بها البعيد، ويحذف منها الفضول" [٨]، ويوضّح هذا مقدار عناية المبرّد بالعلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى، فالبلاغة عنده هي التّوافق والمؤاخاة بين اللّفظ والمعنى، فيحيط القول بالمعنى.

وحين تحدّث المبرّد عن الفصاحة، فكأنّه قصد بها اللفظ، فيُرى من ذلك بحث المبرّد في اللفظ على حدة، مع اعترافه بأنّ اللفظ والمعنى متلازمان. فالكلام الفصيح عند المبرّد المراد فيه اللفظ وصياغته وإخراجه، سواء أكان لفظاً مركباً أم مفرداً، وقد ذكر المبرّد قولاً وجده فصيحاً جدّاً[٩]، فيقول الشّاعر:

---

[١] المبرّد، الكامل، 843/2

[٢] انظر المصدر نفسه ، 42/1

[٣] المبرّد، البلاغة، ص 90.

[٤] رسالة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من الحبس إلى أبي مسلم. انظر المبرّد، الفاضل، ص58

[٥] انظر المصدر نفسه، ص58

[٦] انظر المبرّد، الكامل، 18/1

[٧] انظر المصدر نفسه، 19/1

[٨] المبرّد، البلاغة، ص 81

[٩] انظر المبرّد، الكامل، 82/1

ألــبانُ إبلِ تَعِلَّة بنِ مُســـافِرٍ ما دامَ يمـــلِكُها عَليَّ حَـــرامُ
وطعامُ عِمرانَ بــنِ أوفى مِثلهُ ما دامَ يسلُكُ في البُطون طَـــعامُ
إنَّ الذين يسوغُ في أعـــناقِهِم زادٌ يُمَـــنُّ عليهِمُ لَلِـــئامُ
لعنَ الإلهُ تَعــلَّةَ بنَ مُسافِرٍ لعناً يُشَـــنُّ علــيهِ من قُدّامِ [1]

قال المبرّد فيه:"ومايشبه هذا الاتساع في الفصاحة [يقصد الأبيات السّابقة] لا في المعنى قولُ القُطامِيِّ:

لم تَرَ قوماً هُمُ شَرٌّ لإخوتِهِم مِنّا عَشِيّةَ يَجــــري بالدّمِ الوادي
نَقريهِمُ لَهذَميّاتٍ نَقُدُّ بهـــا ما كانَ خاطَ عَلَيـــهِم كُلُّ زَرّادِ" [2]

وذلك لأنّ "الخياطة تضم خِرَقَ القميص، والزرد يضم حلَقَ الدِّرع فضربَهُ مثلا فجعله خِياطة"[3].
وهذا يعني أنّ المبرّد جعل (الفصاحة) مقابلة للمعنى فجعلها صفة للألفاظ .

كما اشترط المبرّد في كلام الرجل الفصيح أن يكون مفهوماً لا تكرار فيه، فنجده يقول في هذا: "العربيّ الفصيح اللقن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى بعد ذلك من التّكرير عيّاً" [4]. فيخرج كلامه بشكلٍ مختصر، وقد رأى المبرّد ذلك في قولٍ لأعرابي من بني كلاب، فيقول: " لقضانِي: يريد لقضى علي"[5] وهو ما ورد في البيت الآتي:

تَحِنُّ فتُبدي ما بها من صَبابَةٍ وأُخفِي الذي لولا الأسى لَقَضـــانِي

فقال المبرّد عنه:" فأخرجه لفصاحته وعِلمِهِ بجوهر الكلام أحسن مُخرَجٍ"[6]. وقدّم لنا المبرّد شاهده على ذلك في قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[7]؛ ليظهر فصاحة الشّاعر في إخراج الكلام، فقد كان إخراجه للكلام شبيه بأسلوب القرآن في الاختصار.

ويؤكّد المبرّد هذا الشرط الأخير، أي ضرورة إخراج الكلام بشكل مختصر ليكون فصيحاً حين وضّح قول الفرزدق:

---

[1] انظر الأبيات ص 53 فيما سبق
[2] المبرّد، الكامل، 82/1
[3] المصدر نفسه، 83/1
[4] المصدر نفسه، 2/ 922 . العيّ: ضد الإبانة في الكلام وهو العجز عن أداء الكلام. انظر المعجم الوسيط، (عيّ).
[5] المبرّد، الكامل، 47/1
[6] المصدر نفسه، 47/1
[7] سورة المطففين: 2

ومِنّا الذي اختيرَ الرِّجالَ سماحة وَجوداً إذا هَبّ الرِّياحُ الزَّعازعُ

بأنّه أراد " أي من الرّجال"، ثمّ علّق عليه:" فهذا الكلام الفصيح"[1]

كما كان الكلام الفصيح عند المبرّد ما استخدمت فيه الكناية أوالمجاز، وكلّ هذا يخصّ اللفظ وصياغته، فنقل المبرّد رأي الأصمعيّ بفصاحة الأشخاص وهو ما كان قريباً من رأيه، إذ يقول:" رأيت امرأة من بني تميم لم أر أفصح منها، فسمعتها تدعو على أخرى وتقول: إن كنت كاذبة فحلبتِ قاعدة: قال رعيّة الغنم عندهم ضعة فإنّها تتمنى لها ذلك"[2]، فقد وجد الأصمعي المرأة فصيحة؛ لاستخدامها الكناية في قولها أيضاً.

كما اشترط المبرّد في الألفاظ أن تكون بمقام أوصاف ألفاظ العرب، "البيّنة القريبة المُفهمة، الحَسَنَة الرّصف، الجميلة الوصف" [3]، وكأنّه يشير إلى نموذج يجب أن يتّبع للألفاظ، وهذا ما وجده المبرّد في بيت الحطيئة:

وذاكَ فَتىً إن تَأتِهِ في صَنِيعَةٍ إلى مَالِهِ لا تَأتِهِ بشـــــــــــفيع

وفي قول عنترة:

يُخبركِ مَن شَهِدَ الوَقيعَة أنّني أغشى الوَغى وَ أعِفُّ عِندَ المَغنَم

وحين ذكر المبرّد ما يستحسن من الألفاظ، وما يقبح منها وكأنّه بهذا يحدّد أوصافاً للألفاظ، منها الألفاظ المستكرهة والخسيسة[4]، والبعيدة[5]، والهجينة [6]، وهناك الألفاظ الفخمة الجليلة[7]، والألفاظ الجزلة[8]، والسّهلة[9]، واليسيرة[10]، والألفاظ الصّائبة[11]، والألفاظ الصّحيحة[12].

---

[1] المبرّد، الكامل، 1/ 48

[2] المبرّد، الفاضل، ص 114

[3] المبرّد، الكامل، 40/1

[4] انظر المصدر نفسه، 856/2

[5] انظر المصدر نفسه،42/1

[6] انظر المصدر نفسه، 41/1

[7] انظر المصدرنفسه، 1427/3 .

[8] انظر المصدر نفسه، 63/1 .

[9] انظر المصدر نفسه، 923/2

[10] انظر المصدر نفسه ، 524/2 .

[11] انظر المصدر نفسه، 1173/3

[12] انظر المصدر نفسه، 355/1

كما تحدّث عن استقامة اللفظ[1].

وكما اهتم المبرّد باللفظ على حدة فإنّه يولي عنايته بالمعنى على حدة كذلك، فذكر أوصافاً للمعنى، منها المعنى المليح[2]، فاستحسن قول امرئ القيس:

وقد أغتدي والطّيرُ في وُكُناتِها بِمُنجَرِدٍ قيدِ الأوابدِ هَيكَلِ [3]

وقال فيه: "أملح ما قيل في هذا المعنى وأجوده معنى" [4]، ويبدو أن المبرّد استحسن قول الشّاعر لأنّه وضّح العلاقة بين شاعر وفرسه، فارس وفرسه، صيّاد وصيده، فيقول الشاعر: وقد أغتدي والطير بعد مستقرة على مواقعها التي باتت عليها؛ أي أنّه يبكّر قبل خروج الطير، أمضي على فرس ماض في السّير، عظيم الألواح، يقيد الوحوش بسرعة لحاقه إياها، فقد جعله لسرعة إدراكه الصيد كالقيد فلا يمكنها أن تفلت منه.

وقد اعتنى المبرّد بالمعاني الظّريفة، وهي التي يتمثّلها الناس[5]، ومثاله ما أورده المبرّد من تمثّل معاوية بيت الشّعر:

وتـــــجلّدي للشامتين أريهم أنّي لريب الـــــدهر لا أتضعضع [6]

وذلك حين دخل عليه الحسين بن علي يعوده في مرضه، فقال معاوية: ساندوني، وذكر البيت السّابق، فسلّم الحسين وتمثّل بيتاً من القصيدة نفسها:

وإذا المــــنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمـــــــــة لا تنفع

ويقول المبرّد في قول دريد بن الصّمّة:

قليل التّشكي للمُصيباتِ حافِظٌ مع اليوم أدبارَ الأحاديثِ في غَدِ [7]

---

[1] انظر المرزباني، الموشّح، ص320

[2] انظر المبرّد، الكامل، 835/2، وانظر المبرّد، البلاغة، ص86 .

[3] المبرد، الكامل ، 1012/2. الوكنات: مواقع الطير ، المنجرد : الماضي في السير ، وقيل : بل هو قليل الشعر . الأوابد: الوحوش الهيكل : هو الفرس الضخم شبهه ببيت النصارى والمجوس، انظر امرأ القيس ، بن حجر بن الحارث الكندي، (ت: 80ق هـ)، الديوان،د.ط، (تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر،1958، ص19.

[4] المبرّد، الكامل، 1012/2

[5] انظر المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 301

[6] المصدر نفسه، ص6

[7] المصدر نفسه، ص23

"ألا ترى إلى قوله قليل التّشكّي للمصيبات، ثمّ وصله بقوله حافظ مع اليوم أدبار الأحاديث في غد، كيف قرن فيه معنى ظريفاً بآخر مثله في الظّرافة التي لا يمتنع اللّبيب من قبولها، واستحسانها والمعرفة بحقيقة ما فيها"[١].

وقد اعتنى المبرّد بالمعنى الطريف[٢]، وبالمعنى اللطيف[٣]، والمعنى البعيد جدّاً[٤]، والمعنى المقصود[٥]، والمعنى الواضح[٦]، والمعنى الصّحيح[٧]، والمعنى الذي كثر الحديث فيه بين الشّعراء[٨]، والمعنى الحسن الجميل[٩].

كما اهتمّ المبرّد بقلب الشعراء للمعنى[١٠]، وبكشفهم له[١١]، وكان له اهتمام بأصل المعنى[١٢]؛ أي الأسبق من الشّعراء في استخدام معنى ما، وسنوليّ ما سبق العناية حسب موضعه من البحث.

وكان أبرز ما يُظهر اهتمام المبرّد بالمعنى، ما جاء من اهتمامه بالأبيات التي تحوي الحكمة، فقد خصّص أبواباً في مؤلّفاته، فيها نُبذ من أقوال الحكماء، كما يختار بعض الأشعار التي تحمل في طيّاتها حكماً منها أبيات أبي العتاهية:

لا تســـــــــألنَّ المَرءَ ذاتَ يَدَيهِ فـلَيَحقِرّنَكَ مَن رَغِبــــــتَ إليهِ
المـــــرءُ ما لــم تَرزَهُ لك مُكرِم فإذا رَزَأتَ المَرءَ هُنــــــتَ عَليهِ
وكـــــما يكونُ لَدَيكَ مَن عاشَرتَهُ فكذاكَ فارضَ بـــــأن تكونَ لَديهِ [١٣]

---

[١] المبرّد، التّعازي والمراثي ، ص24
[٢] انظر المبرّد، الكامل ، 2/ 710
[٣] انظر الفاضل، ص95
[٤] انظر المبرّد، الكامل، 1/155.
[٥] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 291 .
[٦] انظر المبرّد، البلاغة، ص86.
[٧] انظر المصدر نفسه، ص 18
[٨] انظر المبرّد، الكامل، 1/263
[٩] انظر المصدر نفسه، 1/ 263
[١٠] انظر المصدر نفسه، 2/ 666
[١١] انظر المصدر نفسه، 1/ 99 ، و 1/ 55 ،و 2/1007
[١٢] انظر المصدر نفسه، 3/ 1448
[١٣] المصدر نفسه، 2/ 699

وكان له اهتمام بالأمثال السّائرة وما وافقها من أشعار فذكر قول أحد الحكماء "الهوى يقظان والرّأي نائم"[١]، وأورد أبياتاً لمحمود الورّاق توافق هذا القول:

هـــــــــواك ولا تُكـذِب عليك أميرُ وأنــــــــت رهين في يديه أسير
يســــومك عصيـــــاناً وأنت تطيعه وطـــــــــاعتُه عارٌ عليك كثير [٢]

ولم يقف اهتمام المبرّد عند ذكر أبياتٍ للشّعراء تتوافق مع أقوال الحكماء، بل استحسن هذه الأبيات. وهذا ما جاء في استحسان المبرّد بيتين لأبي نواس:

أنـــــــــــت امرؤ طوّقتني مِننا أوهت قُوى شُــكري فقد ضَعـُفا
لا تســــــــــــدِينَّ إلــــيَّ عــــارفة حتى أقومَ بشكـــــــــــر ما سلفا [٣]

وذلك لما يحملان من معنى يتوافق مع قول بعض الحكماء: "من شكر استحقّ الإحسان، ومن أحسن استحقّ الشّكر"[٤]

نرى ممّا سبق كيف كان اهتمام المبرّد بالألفاظ وهيئاتها، والمعاني وأحوالها، يحدّد أوصافاً للمعنى وأخرى للألفاظ، يتحدّث عن أوصاف ألفاظ العرب، وما ينبغي لها من شروط، كما يعتني بمعاني الأبيات، ذاكراً ما تحويه من أمثال وحكم.

كما يرى المبرّد أنّ الألفاظ والمعاني تحمل أوصافاً معيّنة، منها القبيح والمُستجاد، وإن كان ذلك في الكلام الواحد، فيغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب، فقد تقع في كلام البليغ ألفاظ مستكرهة، ولكنّ مجمل الكلام بما فيه من ألفاظ حسنة يغطّي على المستكره منها، وقد يقع في الكلام المعنى المستغلق البعيد ، فيرى المبرّد أنّ مجمل الكلام بما فيه من معاني قريبة يُغطي عليها، فيقول: " وقد يضطرّ الشّاعر المفلق والخطيب المصقع، والكاتب البليغ، فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق، واللفظ المستكره، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطّتا على عواره، وسترتا من شينه. وإن شاء قائل أنْ يقول: بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر، ومجاورته له أشهر، كان ذلك له، ولكن يغتفر السيّئ للحسن، والبعيد للقريب "[٥].

---

[١] المبرّد، الفاضل، ص 123
[٢] المصدر نفسه ص 123
[٣] المصدر نفسه، ص 98
[٤] المصدر نفسه، ص98
[٥] المبرّد، الكامل، 40/1

ثالثاً: السّرقات الشّعريّة:

إنّ مشكلة السّرقات قديمة في الأدب العربيّ؛ فهي موجودة في كلّ العصور، وقد أخذت طريقها في الآداب عامّة، وفي الشّعر العربي خاصّة. فهو كما قيل " بابٌ ما يَعرَى منه أحد من الشّعراء إلا القليل"[١]، و" باب متّسع جداً لا يقدر أحد من الشّعراء أن يدّعي السّلامة فيه" [٢]، ومنهم من عدّها " داءً قديمًا وعيبًا عتيقًا"[٣].

تعرّض المبرّد لمشكلة السرقات من جوانبها المختلفة، وكان له حديث عن تداول المعنى بين الشّعراء وأخذ الشعراء بعضهم عن بعض في العصور المختلفة مفيداً من ثقافته وغزارة أدبه، ويمكن من الأمثلة التي أوردها المبرّد تعرّف رأيه في هذه المعاني المتشابهة بين الشعراء، وموقفه من سرقات الشعراء من النّثر، كما ظهرت عند المبرّد بعض المصطلحات لهذه السّرقات الشّعريّة.

أولا: تداول المعنى :

تتبّع المبرّد شيوع المعنى الواحد وتداوله بين الشّعراء وغيرهم حتّى استفاض وصار كالمشترك بينهم. ومن عناية المبرّد بالمعنى وتداوله، ظهرت له آراء في الموازنة بين الشّعراء، إذ اعتمدت موازناته على تتبّع المعنى عند شاعرين أوأكثر، ففرّق بين تناول كلّ منهم للمعنى الواحد، وبيّن مواضع الجمال والقبح في هذا المعنى من حيث الأسلوب الذي صيغ فيه

ومن اهتمام المبرّد بالمعاني المشتركة بين الشّعراء يمكن الكشف عن رأيه فيمن كان له السّبق في المعنى فابتدعه، ورأيه في توارد الخواطر بين الشّعراء، إذا تماثلت بعض أبياتهم في المعنى.

فقد أشار المبرّد إلى تداول المعنى الشّعري الواحد عند عدد من الشّعراء في مختلف الأزمان، وهو ما ورد في قول عتبة بن بجير:

سأقدح من قِدري نصيباً لجـــارتي وإن كان ما فيها كَفافاً على أهلي
إذا أنت لم تُشرك صديقك في الذي يكون قليلا لم تشاركهُ في الفضل [٤]

الذي تكرّر في قول شاعر آخر فيقول المبرّد :"وعلى ذلك قول الآخر":

---

[١] الآمدي، الموازنة، 134/1

[٢] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 216/2

[٣] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص166

[٤] المبرّد، الفاضل، ص39

ليس جود الأقوام عن فضل مال إنّما الـــــــجود للمقلّ المواسي

وأشار المبرّد إلى تكرّر المعنى ذاته في بيت الشّاعر:

ليس العــطاءُ من الكثير سماحة حتى تجودَ وما لديــــكَ قليلُ

فقد عدّ المبرّد العطاء والجود مع الحاجة هو ما تداوله الشّعراء الثّلاثة واشتركوا فيه.

أ- ابتداع المعنى:

ثمّ قام المبرّد بتتبّع المعنى المتداول بين الشعراء والأدباء والبحث عمن ابتدعه **فكان الأسبق في استخدامه**، وهذا ما أطلق عليه الآمدي المعاني المبتدعة المخترعة[1]، فأورد المبرّد أبياتاً نظمها أبو نواس في وصف الخمر كان أولّها:

أيّـــــــها الرّائـــحان باللّوم لُوما لا أذوقُ المُدامَ إلاّ شَميما [2]

وقال عنها: "إنّ معناها لم يسبقه إليها أحد"[3].

فكان يذكر الأبيات التي تدوول المعنى فيها، ثمّ يردّ هذا المعنى المتداول إلى أقدم قائل، فنجده يذكر بيت متمم في رثاء أخيه مالك:

إذا القـــــومُ قالوا مَن فتىً لِمُلِمَّةٍ فما كُلُّهُم يُدعى، ولكنّــه الفتى [4]

ثمّ يذكر بيت النهشليّ في المعنى نفسه حيث يقول:

لو كـــان في الألِفِ مِنّا واحدٌ فَدَعوا مَن فارسٌ؟ خالَهُم إيّاهُ يَعنونا !

ثمّ يشير إلى أنّ أولّ من ابتدع المعنى طرفة في بيته:

إذا القومُ قالوا : مَن فَتىً؟ خِلتُ أنَّنِي عُنِيتُ فلم أكسلَ ولم أتَبَــلَّدِ [5]

وقد يذكر المبرّد أولّ من ابتدع المعنى وقال فيه دون ذكر من قال بعده في المعنى نفسه، وكأنّه ينصّ على السّبق والابتداء.

---

[1] انظر الآمدي، الموازنة، 328/1

[2] المبرّد، الكامل،2/ 1045

[3] المصدر نفسه، 1045/2 .

[4] المصدر نفسه، 1447/3

[5] المصدر نفسه، 1448/3

فنجده يضرب مثالاً في ذلك، فيقول إنّ من أقدم ما قيل في" الجزع والإشفاق قبل وُقوع الأمر، فإذا وقع فالرّضا والتّسليم"[١]، قول أوسِ بن حَجَرِ الأسَيدِيِّ، يرثي فَضالة بنَ كَلَدَة، في أبيات أوّلها:

أيّتُـــــها النّفسُ أجملِي جَزَعــاً   إنَّ الذي تَحـــــذَرينَ قد وَقَـــعا [٢]

وقد يعتمد المبرّد على إشارة الشعراء أنفسهم إلى من سبق في المعنى فيقول: "وحُدّثت أن كُثيِّراً كان يقول: لودِدتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ إلى هذين البيتين"، يعني نُصيباً في قوله:

من النّفر البيتــضِ الذين إذا انتَجوا أقــــرّت لِنَجواهُم لُؤَيُّ بنُ غالِــبِ
يُحَيُّون بَسّامين طَـــــــوراً وتارةً يُحَيَّوْنَ عَبَّاسين شُـــوسَ الحَواجِبِ [٣]

ثمّ نجد المبرّد يعطي الفضل لمن كان له السبق في المعنى، فنراه يذكر أبياتاً لعبدة بنَ الطّبيب:

لـــــــمّا نَزَلنا نَصبَنا ظِلَّ أخبيَةٍ وفارَ للقومِ باللّــحمِ المَــراجِلُ
وردٌ وَأشقـــَــرُ ما يُؤنِيهِ طابِخُهُ [٤] ما غَيَّرَ الغَليُ مِــنه فهو مأكولُ
ثُمَّـــت قُمـــنا إلى جُردٍ مُسَوّمةٍ أعرافُهُنَّ لأيدينا مَنَـــــــاديلُ [٥]

فيقول : " وإنّما أخذ ما في هذه الأبيات من بيتِ امرئ القيس":

نمــــــشُّ بأعرافِ الجيادِ أكُفَّنا إذا نحنُ قمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ [٦]

وقال فيه: " فإنّه جمع ما في هذه الأبيات في بيتٍ واحد، مع فضل التّقدُّم"[٧]، إذ يصف امرؤ القيس في هذا البيت أنّهم شووا من صيدهم، ولم يَبلغوا به النّضج لما كانوا فيه من العَجلَة. وقيل: إنّ ذلك مستحبّ عندهم في لحم الصّيد، ثمّ مسحوا أيديهم بأعراف الجياد [٨]؛ وهو ما ورد في أبيات عَبَدة بن الطبيب.

---

[١] قول رجل من الحكماء. المبرّد، الكامل، 3/1400.

[٢] المصدر نفسه، 3/1400

[٣] المصدر نفسه، 1/235

[٤] قال المبرّد ورد وأشقر: ما تغيّر من اللحم قبل نضجه ، وما يؤنيه طابخه: ما يؤخره، لأنه لو آناه لأنضجه، لأنّ معنى آناه بلغ به إناه أي إدراكهُ. انظر المصدر نفسه، 2/675.

[٥] المصدر نفسه، 2/675

[٦] قال المبرّد : المضهّب هو الذي لم يُدرك، ونمشُّ نمسَحُ ، ويقال للمنديل (المَــشوشُ) انظر المصدر نفسه،2/677

[٧] المصدر نفسه، 2/677

[٨] انظر امرأ القيس، الديوان، ص54

لقد أعطى المبرّد الفضل لمن كان له السبق في المعنى، إن لم يضف مَن أخذ هذا المعنى جديداً على المعنى الذي أخذه، وإذا لم يجمل المعنى المأخوذ في عدد أقلّ من الأبيات، وهذا ما كان من عبدة بن الطّبيب الذي لم يضف جديداً على المعنى الذي أخذه من بيت امرئ القيس، كما أنّه جاء بهذا المعنى في ثلاثة أبيات، علماً أنّ امرأ القيس أجمله في بيت واحد، لذا أعطى المبرّد الفضل في هذا المعنى الذي ورد في الأبيات السّابقة لامرئ القيس، وكأنّ المبرّد يرى في إيجاز الشّاعر فائدة كبيرة لأنّه يزيل الحشو والتطويل، ويركّز الفكرة في أقل ما يمكن من الألفاظ، فيجعله خفيفاً على اللّسان، يسهل حفظه وجريانه على الألسن فيخلّد النّص وصاحبه[1].

وقد يكون الابتداع عند المبرّد **نقل المعنى المتداول من وجهه إلى وجهٍ جديد** ، كأن ينقل المعنى إلى غرض شعري مختلف عمّا ورد فيه أصلا، فيكون المعنى مبتدعاً، ويكون لصاحبه السّبق فيه، وقد تحدّث عن هذا النّوع ابن طباطبا، وقال عنه استعمال المعاني في غير الجنس الذي تناولها منه الشّاعر[2]. فنرى المبرّد يذكر أبياتا لنصيب:

أقــولُ لِرَكـــــــبٍ صادِرين لقيتُهُم قفا ذاتِ أوشالٍ ومَولاكَ قـــــاربُ

قِــفوا خَبِّروني عَـــــن سُليمانَ إنَّني لِمَعروفِهِ مِن أهلِ وَدّانَ طالِـــــبُ

فَعـــــــاجوا فأثنَوا بالّذي أنـــتَ أهلُهُ ولو سَكَتوا أثنَت عَليكَ الحَقائِـــبُ [3]

قال عنها: وهذا في باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يُسبق إليه، مع أن شاعراً قال المعنى ذاته في غير المدح:

يمرّونَ بالدَّهـــــــنا خِفافاً عِيابُهُم ويَخرُجنَ مِن دارينَ بُجرَ الحقائِبِ

على حين ألهَى النّاسَ جُلَّ أمورِهِم فَندلاً زُرَيقُ المالَ ندلَ الثّعالِـــــبِ [4]

---

[1] انظر طبانة، بدوي، **السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبيّة وتقليدها**، ط:1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1956م، ص187.

[2] انظر ابن طباطبا، عيار الشّعر، ص126

[3] المبرّد، الكامل، 238/1

[4] انظر المصدر نفسه، 238/1

ب -المماثلة والمشاكلة و النظير:

لقد استخدم المبرّد مصطلحات عديدة للتعبيرعن **تشابه المعنى دون اللفظ بين الشّعراء والأدباء**، فحملت المشاكلة عند المبرّد معنى المماثلة، حيث يقول المبرّد في كتابه الفاضل في قول عمارة بن عقيل لخالد بن يزيد بن مَزيَد(عباسي):

أرى النّاسَ طُرّاً حامـــدين لخالد وما كلّهم أفضت إليه صنائـــــــــعه
ولن يترك الأقوام أن يحمدوا الفتى إذا كرمت أعراقه وطبائـــــــــعه
فتى أمعنت ضراؤه في عـــــــدوّه وخصّت وعمّت في الصّديق منافعه

إنّه يشاكل قولاً لرجلٍ من خُزاعة يرثي عبد العزيز بن مروان (أموي):

جــلَّـــــت رزيئتُهُ فـــــعمّ مُصابُهُ فالنّاسُ فيه كلُّهم مـــــــــــأجورُ
والنّاس مـــــــــــأتمهم عليه واحدٌ في كلّ دارِ رَنَّةٌ وزفـــــــــيرُ
يُثني عـــــــــليكَ لسانُ من لم تولِهِ خيراً لأنّك بالثّناءِ جديـــــــــــر [1]

ويذكر المبرّد الأبيات نفسها في كتابه الكامل فيقول عنها: "إنّها مثل قول عُمارة يمدح خالد بن يَزيد بن مزيَد "[2]، ممّا يشير إلى أنّ لفظ المشاكل والمِثل عند المبرّد يحملان المعنى نفسه.

وقد استخدم المبرّد مصطلح نظير ليعبّر عن المعنى المتشابه بين الشّعراء دون اللفظ، كان هذا ما رآه المبرّد في بيت رجلٍ من بني حنيفة يرثي أخاه فيقول:

صموت في المجالس غير عِي جدير حين ينطق بالصّـــواب [3]

وهو ما وجده المبرّد نظير قول ابن كناسة في إبراهيم بن أدهم الغنوي:

وأكثر ما تلقاه في القوم صامتاً وإن قال بذّ القائلين فأفحـــــما

فقد اشترك معنى البيت الأوّل مع معنى الثّاني في كون سكوت الرّجل وصمته بين الآخرين ليس عجزاً عن أداء الكلام، فالشاعر الأوّل يقول وإن سكت فهو جدير حين ينطق بالصّواب، والثّاني يقول وإن سكت فهو حين يتكلّم يتفوّق على الآخرين.

---

[1] المبرّد، الفاضل، ص 62.
[2] المبرّد، الكامل، 3/1389
[3] المبرّد، الفاضل، ص 91. انظر معنى العيّ ص85 فيما سبق.

وقد يكون حديث المبرّد عن المماثلة بين الأبيات الشعرية عند الشّعراء إشارة منه إلى توارد الخواطر بينهم، دون أن يصرّح باللفظ، فعدّ المبرّد قول أبي نواس:

ما حطّك الواشـــــون من رُتبةٍ عندي ولا ضرّك مُغـــــــــتابُ
كـــأنّما أثنوا ولـــــــم يعلمـــوا عليك عندي بالذي عابـــــوا [1]

الذي أخذه من كلام النعمان بن المنذر الجاهلي لحَجلِ بن نَضلة :" أردت أن تذيمه فمدهتَهُ"[2]، مثل قول عمرو بن معد يكرب:

كأنّ مـــــحرّشاً في جنب سعدى يعلُّ بعيبـــــها عِنـــدي شفيعُ

إذ يقول: " ومثل بيت الحسن [الحسن بن هانئ] وكلام النعمان قول عمرو بن معد يكرب".

وكأنّ المبرّد بهذا يشير إلى إمكانية تشابه المعاني بين الأدباء دون قصد السّرقة فما جاء به عمرو من المعنى المتشابه لم يسمّه المبرّد أخذا بل مماثلة في المعنى بين الشّعر والنّثر، وكأنّه يعزوه لتوارد الخواطر، وهذا ما نجده في مؤلّفات المبرّد في أبيات شعريّة تماثل بعضها، في مختلف العصور، ونستطيع من هذه الأبيات المتماثلة التي أوردها المبرّد الكشف عن رأيه في المماثلة، **فهي تداول المعنى دون ألفاظها**، لذا نجد المبرّد لا يشير إلى استحسانٍ أو ذم حين يذكر تماثل الأبيات في المعنى الواحد، وكأنّه يرى المعاني تأتي عفو الخاطر دون ظهور غرض سرقة أو أخذ.

كما يشير المبرّد إلى تنوّع حالات المماثلة، فهو لم يكن خاصّاً بعدد محدّد من الأبيات التي تحمل هذا المعنى المتداول، فنجده يشير إلى المعنى الذي يرد في بيت شعري، وما يماثله من معنى يرد في بيت واحد[3]، أو يرد في عدد أكبر من الأبيات عند شاعر آخر[4]، أو عدد أقل[5].

-المماثلة في المعنى بين الشّعراء المتعاصرين:

المماثلة في المعنى بين الشّعراء الجاهليين:

يشير المبرّد إلى المماثلة في المعنى بين أبيات النّابغة :

---

[1] المبرد، الكامل، 1050/2

[2] حين أراد – حجَل– ذمَ أحدهم في أبياته، فكان ذمّه مدحاً. المصدر نفسه، 1050/2

[3] انظر المصدر نفسه، 662/2 .

[4] انظر المصدر نفسه، 662/2

[5] انظر المصدر نفسه، 117/1

وعيدُ أبي قابوسَ في غير كُنهِهِ أتاني ودوني راكِسٌ فالضّواجِعُ [1]

فبِتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ [2] من الرُّقش في أنيابها السُّمُّ ناقِع [3]

يُسَهِّدُ من ليل التّمام سليمُها لِحَلي النّساءِ في يديهِ قَعاقِعُ [4]

تناذَرَها الرّاقونَ من سوء سُمّها تُطلّقُهُ طوراً وطوراً تُراجِعُ [5]

وبيت الممزّق العبدي[6]:

تبيتُ الهمومُ الطّارقاتُ يَعُدْنَني كما تَعتَري الأوصابُ رأسَ المُطَلّق [7]

فالقولان يتماثلان بصفة الخائف المهموم، فقد ذكر النابغة خوفه من النّعمان وما يعتريه من لوعةٍ، في إثر لوعة، فلا ينام إلاّ غِراراً بسبب خوفه، فهو مثل الملدوغ المُسَهّد، وهذا ما ورد في بيت الممزق العبدي، إذ يذكر صفة الخائف المهموم، تطرقه الهموم كما تطرق الأوصاب رأس المنهوش فيلّح الوجع به تارة ويمسك عنه تارة.

فإن كان ابن قتيبة لم يتوسّع في اتّهام الإسلاميين ومن قبلهم بالسّرقة " [8] ، فإنّ المبرّد لم يتهم الجاهليين بالسّرقة ألبتة، فيعدّ المبرّد ما بين شعراء العصر الجاهلي من تداول للمعنى بسبب توارد وقد يكون ذلك نتيجة إيمان المبرّد أنّ شعراء العصر الجاهلي هم من اخترع المعاني، لذا كان ما بينهم من تشابه في هذه المعاني مماثلة في نظر المبرّد وليس أخذاً.

المماثلة في المعنى بين الشعراء المخضرمين:

يرى المبرّد أنّ المعاني الشّعريّة المشتركة كانت بين شعراء مخضرمين، فيقول أبو ثورعمرو بن معد يكرب:

ولقد أرفع رجليَّ بها حذرَ الموتِ وَإنّي لَفرورُ

---

[1] راكس : اسم واد ، الضواجع : موضع . انظر المرصفي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، 7/ 35

[2] الحيّة الرقيقة . انظر المصدر نفسه، 7 /35

[3] ناقع: ثابت مجتمع ، المرصفي، انظر المصدر نفسه ، 7/35

[4] لأنّهم كانوا يعلقون حليّ النساء على الملدوغ، يزعمون أن ذلك من أسباب البرء، لأنّه يسمع تقعقعها فلا ينام فيدبّ فيه السّم ويسهّد لذلك. انظر المبرد، الكامل،2/ 103.

[5] المصدر نفسه ، 2/1035

[6] الممزق العبدي: هو شاس بن نهار. انظر ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص237

[7] قال المبرّد : المطلق هو الذي ذكره النّابغة في قوله: تُطلّقه طوراً وطوراً تُراجِعُ، وذلك أنّ المنهوش إذا ألّح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يؤنَسَ بُرؤه . انظر الكامل،2/1035

[8] هدارة، مشكلة السّرقات في النقد العربي ص96

ولـــــــــــقد أعطِفها كارهة حينَ للنّفس من الموتِ هريــر
كــــــــلَّ ما ذلك منّي خُلُــقٌ وبـــــكلٌّ أنا في الرّوع جدير [1]

ويقول زيد بن المهلهل (زيد الخير):

أقاتِل حتّى لا أرى لـــي مقاتلا وأنجو إذا لم ينجُ إلا المُــكيَّسُ
ولستُ بذي كهرورة [2] غير أنّني إذا طلعت أولى المُغيرةِ أعبسُ

إذ يجد المبرّد بين الأبيات تماثلاً؛ فقد اشتركت بكون الفرار من المعركة في بعض الأحيان قد لا يعدّ جبناً، فقد جمع الشّاعر الأوّل إلى شجاعته وإقدامه حذراً وحزامة، وإلى جرأته وتهوره رفقاً وأصالة، فهو يفرّ من المعركة حذر الموت، وكذا يقول الشّاعر الثّاني إنّه يقاتل في المعركة حتّى لا يجد مقاتلا، ويترك المعركة وينجو بنفسه حين لا ينجو إلا العقلاء الأشدّاء.

المماثلة في المعنى بين شعراء العصر الأموي:

ذكر المبرّد أمثلة من المماثلة في المعنى بين شعراء العصر الأموي، فقال في بيت جرير:

فارقته حين غض الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي [3]

" ومثل بيت جرير قول أبي الشّغب [4] يرثي ابنه شغبًا"، فيقول:

فــــارقت شغباً وقد قوست من كبر بئس الحليفان طول الحزن والكبر

يُلاحظ تماثل البيتين في المعنى، فالشّاعران يتحدّثان عن فراق المحبّ في وقت الكبر.

المماثلة في المعنى بين شعراء العصر العبّاسي:

يبحث المبرّد عن التّشابه في المعنى بين شعراء العصر العبّاسي، وهذا ما رآه في عجز بيت لأبي تمام في الشّيب:

فأن تسأليني من يَخُطُّ كتابَها فكفُّ اللّيالي تستمدُّ بأنفاسي [5]

---

[1] المبرّد، الفاضل، ص53

[2] الكهرور والكهرورة: المتعبّس الذي ينتهر النّاس. انظر، المعجم الوسيط، (كهر)

[3] المبرّد، الكامل، 1/289

[4] عكرشة بن اربد بن عروة العبسي . انظر المرصفي، رغبة الأمل، 3 / 33

[5] المبرّد، الفاضل، ص 75

وبيتي أبي العتاهية:

الشّيب كرهٌ وكرهٌ أن يُفارقنـــــي أعجِب بشيءٍ على البغضاءِ مودود

يمضي الشّبابُ وقد يأتي له خَلَفٌ والشّيب يَذهَبُ مفقـــــوداً بمفقود

فقد تماثل عجز بيت أبي تمّام مع بيتي أبي العتاهية في أنّ الشّيب وإن كان كريهاً فهو يشير إلى استمراريّة الحياة.

فكفّ اللّيالي عند أبي تمام والتي تخطّ كتاب الشّيب تستمد ذلك من أنفاس الرّجل، ويرى أبوالعتاهيّة في الشّيب الكره والحبّ في الوقت ذاته، فهو يكره الشّيب لأن فيه زوالاً للشباب، ويحبّ بقاءه لأنّ ذهابه انقطاع للحياة أي الموت.

-المماثلة في المعنى بين شعراء من عصور مختلفة:

لم تكن المماثلة أو المشاكلة في المعاني عند المبرّد بين شعراء العصر الواحد فحسب، بل كانت بين معاني شعراء العصور المختلفة، يقول المبرّد في قول عَبيدة بن هلالٍ الخارجي (أموي):

يهـــوي وترفعهُ الرّماحُ كأنّه شلوٌ تنشّب في مخالِب ضار

فثوى صريعاً والرّماحُ تَنوشُهُ إنّ الشُراةَ [1] قصيرَةُ الأعمار [2]

إنّه مثل قولُ حبيبٍ الطائيِّ :

فيم الشماتَةُ إعلاناً بأسدِ وَغىً أفناهُمُ الصّبرُ إذ أبقاكُمُ الجَزَعُ

فقد اشتركت أبيات الشاعرين، وهما من عصرين مختلفين في المعنى الواحد؛ لأنّ الصّبر في المعركة هو ما يجعل الإنسان يفقد حياته، إذ يوضّح الشّاعر الأوّل أنّ صبر الرّجل في المعركة وعدم هروبه سبب في قتله ممّا جعل عمره قصيراً، كما نجد المعنى ذاته في بيت أبي تمام في قوله إنّ الصّبر والقتال في الوغى هو ما أفنى المقاتلين الشّجعان الذين صبروا في المعركة، وكان هروب الجبناء هو ما جعلهم ينجون من الموت.

ج- الطرافة:

كما أولى المبرّد عنايته بالمعنى المستطرف عند الشّعراء، فيذكر قصيدة لإسحاق بن

---

[1] الشراة: الخوارج. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الشين، (شري)

[2] المبرّد، الكامل، 1358/3

خلف البهرانيّ يقول عن أوّلها طريفٌ مُستملح[١]، وينقل كلام أبي نواس الطّريف[٢]، وحين يذكر بيتاً للفرزدق يقول عن معناه طريف عند أصحاب المعاني[٣].

ويبدو أنّ المبرّد قصد في المعاني المستطرفة المعاني النادرة التي لم تمتهن بكثرة الاستعمال[٤]، كما ذكر المبرّد كشف الشّعراء لهذه المعاني المستطرفة وهو ما وجده المبرّد في عجز بيت جَميلُ بنُ مَعمَر:

بأوشَكَ قتلاً مِنكِ يومَ رَمَيتِني نوافِذَ لم تُعلم لَهُنَّ خُــــــــــروقُ [٥]

الذي يحمل معنى طريفاً أخذه أبو حية منه فكشفه في أبيات مختارة:

وإنّ دَمــاً لو تَعلمــينَ جَــنَيتِهِ عَلى الحَيِّ جانِي مِثلِهِ غيرُ ســـالِمِ
أمَّا إنّهُ لو كـــانَ غيرُكِ أرقلت إليهِ القنـــــا بالرَّاعِفاتِ اللّهــاذِمِ [٦]
ولكن لَعَمرُ اللهِ ما طَــلَّ مُسلِماً كَغُرِّ الثَّنايَــا واضِـــحاتِ المَلاغِمِ
إذا هُنّ ساقَــطنَ الحَديثَ كأنَّهُ سِقاطُ حَصَى المَرجانِ مِن سِلكِ ناظِمِ
رَمَينَ فَأقصَدنَ القلوبَ ولم نَجِد دَماً مائِراً إلاّ جَوىً في الحَـــيازِمِ [٧]

فوافق المبرّد بهذا من جاء بعده، فقد رأى عبد القاهر الجرجاني الطرافة والجدة أساساً في جودة التعبير؛ لأنّ النفيس يُبتذل بفرط الاستعمال[٨]. فقد استحسن المبرّد هذه المعاني الطّريفة التي جاء بها أبو تمّام والتي لا يُحسنُها البحتري[٩].

---

[١] انظر المبرّد، الكامل، 534/2

[٢] انظر المصدر نفسه، 1052/2

[٣] انظر المصدر نفسه، 401/1

[٤] انظر بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص461

[٥] المبرّد، الكامل، 99/1

[٦] أرقلت من الإرقال وهو في الأصل سرعة سير الإبل ، والرّاعفات الأسنّة من رعف أنفه سال دمه وذلك أنّها تسيل دماً من الطعان، واللّهاذم القواطع الواحد لهذم. انظر المرصفي، رغبة الآمل، 231/1

[٧] أقصدن القلوب أصبنها ، ودماً مائراً: سائلا ، والحيازم: هي الحيازيم فحذف الياء الواحد حيزوم وهو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصّدر. انظر المصدر نفسه، 232/1

[٨] انظر الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، ط:1، (تح / هــ. ريتر)، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1954، ص174

[٩] انظر الصولي، أخبار أبي تمام، ص 96

ثانياً–أنواع السرقات عند المبرّد:

تفنن المبرد في معرفة التّابع من المتبوع والآخذ من المأخوذ منه، فنراه يذكر بعض السّرقات دون ذكر المصطلح أو يذكر بعض مصطلحات السرقات بمسميّات تابع فيها من قبله ولم يأت بالجديد، ومنها ما كان مُقّلا فيها لأنّها غير محمودة عنده، وأخرى أسهب فيها، وكأنّه عدّها محمودة.

– السّرقات غير المحمودة عند المبرّد:

1– الانتحال:

وظهرت إشارة المبرّد للانتحال دون أن يذكر المصطلح ودون أن يعرّفه، وأظنّه عنى فيه أخذ شاعر بيت شاعر آخر أو أكثر من بيت، ونسبتها لنفسه. وكانت إشارته لهذا النّوع من السّرقة من ذكره أبيات معن بن أوس المزني أنشدها عبد الله بن الزّبير لمعاوية بعد أن نسبها لنفسه، إذ قال ابن الزبير:

إذا أنـــت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

ويركب حدّ السّيف من أن تضيمه إذا لم يكن من شفرة السّيف مزحل [1]

ثمّ أخبرنا المبرّد كيف دخل معن بن أوس المُزَني على معاوية فأنشده ما كان أوّله:

لـــــعمرك ما أدري وإنّي لأوجل على أيّنا تعدو المنيّةُ أولُ

حتّى وصل إلى الأبيات التي أنشدها ابن الزّبير، وحينها قال معاوية: "يا أبا بكر، أما ذكرت آنفاً أنّ هذا الشّعر لك؟ قال : أنا أصلحتُ المعاني، وهو ألفَّ الشّعر، وهو بعد ظئري [2]، فما قال من شيء فهو لي".

يورد المبرّد قصة أبيات معن بن أوس في معرض حديثه عن الكذب، ممّا قد يشير إلى رأي المبرّد في هذا النّوع من السّرقة، فقد عدّه بابًا من أبواب الكذب، لذا فهو من السرقات غير

---

[1] المبرّد، الكامل، 750/2

[2] وقد شرح المبرّد قصد عبد الله بن الزّبير بأنّه أخوه في الرّضاعة ، وأحقّ بشعره فقد كان عبد الله بن الزّبير مسترضعاً في مُزَيْنَة. انظر المصدر نفسه، 750/2

المحمودة، وقد يكون هذا السبب في عدم خوض المبرّد في الحديث في هذا النّوع من السّرقات الشّعريّة.

2- الاتّباع:

لقد صرّح المبرّد بهذا المصطلح وقصد به تكافؤ السارق والسابق في الإساءة والتّقصير، وهو أن يأتي الشاعر بمعنى لغيره قد أساء فيه الشاعر الأوّل فيتبعه اقتداء. وقد ورد هذا المصطلح عند المبرّد في معرض موافقته على ما عيب في قول الشّماخ (فاشرقي بدم الوتين) في بيته:

إذا بلغتـــــني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بـــدم الوتين [1]

إذ قيل: "وكان ينبغي أن يَنظر لها مع استغنائه عنها"[2]؛ أي أن يُجازيها لا أن يدعو عليها، ثمّ ذكر لنا كيف اتّبعه ذو الرّمة في الإساءة والتقصير في بيته:

إذا ابنَ أبي موسى بلالا بَلَغتِهِ فقام بِفَأسٍ بينَ وصليكِ جازرُ [3]

وقد نجد في عدم خوض المبرّد الحديث عن هذا النّوع من السّرقة كثيراً ما قد يشير إلى رأيه فيه، وهو أنّه من السّرقات غير المحمودة عنده.

- السرقات المحمودة في نظر المبرّد:

1. الأخذ والسّرقة

مع طول حديث المبرّد في تشابه المعاني بين الأدباء، وما أظهره من المماثلة بين أبياتهم الشّعريّة في مختلف العصور، إلاّ أنّنا نجد عنده إشارات صريحة إلى ما يأخذه الشّعراء بعضهم عن بعض، فلم يكن قصد المبرّد بهذا المصطلح واضحاً، فهو تارة يقصد به أخذ الشّاعر المعنى من أبيات شاعر آخر دون اللفظ، وتارة أخرى يتحدّث عن أخذ الشّاعر المعنى وبعض اللفظ. فأشار إلى أخذ الشعراء المعنى ممّن سبقهم من الجاهليين، وأورد مثلاً على ذلك ما جاء في قول عبيد الله بن الحُرّ (إسلامي):

فإن تك أمّي من نساءٍ أفاءَها جيادُ القَنا والمُرهَفاتِ الصفائِح

---

[1] المبرّد، الكامل، 167/1.

[2] المصدر نفسه، 168/1.

[3] انظر المصدر، نفسه، 168/1.

فَتَبّاً لِفَضلِ الحُرِّ إن لم أنَل بِهِ كَرائِمَ أولادِ النِّساءِ الصّرائِحِ [1]

وهو ما قال المبرّد إنّه مأخوذ من قول عنترة:

وأنا امرُؤٌ مِن خَيرِ عبسٍ مَنصباً شطري وأحمي سائِري بالمُنصُلِ [2]

كما نجد المبرّد يجمع بين مصطلحي الأخذ والسرقة، ويقصد بهما الأمر ذاته، فيذكر أخذ المعنى دون اللفظ أو مع بعض اللفظ بمصطلح السّرقة كذلك، ولم يكن المبرّد منفرداً بهذا الجمع بين المصطلحين، فقد أشار ابن قتيبة إلى الأخذ بالسّرقة الخفية [3]، وكذا فعل الجاحظ الذي استخدم لفظ الأخذ [4]، ولفظ السرقة [5]، وقصد بهما ما ورد عند المبرّد، من أخذ للمعنى دون اللفظ أومع بعض اللفظ أحياناً.

وإن كان يّلاحظ قلّة استخدام المبرّد للفظ سرقة مقابل كثرة استخدامه للفظ أخذ وهو أخف، فهو لم يستخدم هذا المصطلح إلاّ في موضعين من كتابه الكامل، كان أحدهما أخذ حبيب الطائي لمعنى بيتين للعتبيّ محمد بن عبد الله يذكر ابناً له مات قال فيهما:

أضحت بخدّي للدّموع رسـومُ أسفاً عليكَ وفي الفؤادِ كلومُ

والصّبرُ يُحمد في المصائب كُلّها إلا عَليكَ فإنّه مَذمـــــومُ [6]

فقال المبرّد: " وأحسب أنّ حبيباً الطائي سمع هذا فاسترقه [7] في بيتين"[8] أحدهما قوله لإدريس بن بدر الشاميّ:

دموعٌ أجابَت داعِيَ الحزن هُمّعُ تَوصَّلُ مِنّا عَن قُلوب تَقَطَّعُ [9]

---

[1] المبرّد، الكامل، 646/2.

[2] انظر المصدر نفسه ، 646/2.

[3] انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص59

[4] انظر الجاحظ، البيان والتبيين، 407/1

[5] انظر المصدر نفسه، 311/3

[6] المبرّد، الكامل، 555/2

[7] سرق واسترق لمعنى واحد، انظر المبرّد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ص27و28

[8] المبرّد، الكامل، 556/2

[9] المصدر نفسه، 556/2. تكملة ما ورد عند المبرّد :

وقد كان يُدعى لابسُ الصّبر حازماً فأصبَحَ يُدعى حازماً حينَ يَجزَع

وكان قوله هذا في معنى بيت العُتبيّ الأوّل يرثي ابنه فيصف حاله بعد وفاته فيبيّن العُتبيّ دموعه التي كانت لا تنقطع على المحبوب، وحزنه الذي يجرح القلب، وكذلك كان بيت الطّائي يصف حاله بعد الفقيد، فيبيّن انهمار دموعه وجريانها على الفقيد والحزن عليه وهو ما قطّع قلبه.

والآخر قوله:

الصّبرُ أجمـــــلُ غيرَ أنّ تلدداً[1] في الحُبِّ أحرى أن يكون جميلا [2]

وهو معنى بيت العُتبيّ الثّاني، إذ قال فيه الصّبر محمود إلا في الحزن على الفقيد فهو مذموم، وهذا ما قاله الطّائي في بيته إنّ الصّبر جميل؛ ولكنّ التلدد في الحب أجمل.

أمّا الموضع الثّاني الذي صرّح به المبرّد بلفظ السّرقة، فهو أخذ إسماعيل بن القاسم معاني شعره من النّثر ، إذ أخذ المعنى مع سرقة لبعض اللفظ، فقال عنه: " لا يكاد يُخلي شعره ممّا تقدّم من الأخبار والآثار، فينظم ذلك الكلام المنثور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة"[3]، فقد عدّ المبرّد نظم النثر سرقة لم يعبها كما يذكر المبرّد قصائد كاملة في الرّثاء يعدّ ما بعدها من القصائد في الغرض نفسه أخذت منها، فيقول عن مرثية أعشى باهلة التي يرثي بها المنتشر بنَ وهبٍ الباهليَّ[4] أنّ العرب كانت تقدّمها وتفضّلها، وكأنّهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت[5].

كما يمكننا ملاحظة عدم استخدام المبرّد للفظ السّرقة والأخذ فيما يخص شعراء الجاهلية ، بينما يفعل مع شعراء صدر الإسلام ومن جاء بعدهم من الشعراء من غير شعراء النقائض.

فما يحدث من تشابه في المعنى وبعض اللفظ بين شعراء النّقائض لا يعده المبرّد أخذا أو سرقة، فمع قول جرير إنّ الفرزدق ينتحل شعر الأخطل بن غالب، إذ يقول فيه:

---

[1] اللدَد: الخصومة. انظر المعجم الوسيط، (لدّ)

[2] ما ورد قبل هذا البيت :

قالوا الرّحيلَ ! فما شَككتُ بأنّها نَفسي عن الدُّنيا تُريدُ رحيلا

[3] المبرّد، الكامل، 521/2

[4] هو المنتشر بن وهب الباهلي، أخو أعشى باهلة لأمّه . انظر الأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك،(ت: 216)، الأصمعيات، ط:3، (تح/ أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، د.ت.، ص 87 . وانظر ابن سلاّم، طبقات الشعراء، 203/1.

[5] انظر المصدر نفسه، 1430/3

ستـــعــــلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائده اجتلاباً [١]

ومع اتّهام الفرزدق لجرير بسرقة شعره، إذ يقول له:

إنّ اســــتراقك يا جريرُ قصائدي مثل ادّعاك سوى أبيك تنقل [٢]

نجد المبرّد يعرض نماذج شعريّة لجرير والفرزدق حمل كلّ منهما معاني الآخر وبعض ألفاظه، فيقول جرير:

تُكــــــــلفني معــيشة آل زيدٍ ومَن لي بالمُرَقّق والصِّنابِ [٣]

فيردّ الفرزدق:

إن تفرَكـــــــــــكَ عِلجةُ آل زيدٍ ويُعوزكَ المُرَقّقُ والصِّنابُ [٤]

ولا يتطرق إلى سرقة أحدهما أو أخذه عن الآخر.

ويشير المبرّد فيما أورد من أبيات للشّعراء، ما يمكن للمعاني المتشابهة بين المحدثين والقدماء أن تكون أخذاً، فضلا عن كونها مماثلة أحياناً، وقد جاء هذا في بيتٍ من أبيات رجل من خزاعة يرثي عبد العزيز بن مروان قال فيه:

والنّاسُ مأتمـــــهم عليه واحد في كــــلّ دار رنّةٌ وزفيرُ [٥]

ذكره المبرّد وأوضح كيف أخذ أبو تمام هذا المعنى في مرثيّة ابن حُمَيدٍ:

لئن عَظُمَت فيهِ مُصيبَةُ طَيِّئٍ لَما عَريَت منها تَميمٌ ولا بكرُ [٦]

فالمعنى الذي ورد في البيت الأوّل، وهو ما جاء في رثاء عبد العزيز بن مروان، الذي أشار فيه إلى عموم المُصاب بموته، فقد بلغ الحزن على موته جميع الدّور، أخذه الطّائي وصاغه، فذكر انتشارالمُصاب بفقد ابن حميد، فإن كانت المصيبة عظيمة في طيئ فهي كذلك في تميم وبكر .

---

[١] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 2/218، و القاضي الجرجاني،الوساطة، ص167 .

[٢] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص167 .

[٣] المبرّد، الكامل، 1/203 . الصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب. انظر الصّاوي، محمد إسماعيل عبد الله، شرح ديوان جرير، ط1، مطبعة الصّاوي، مصر، د.ت.، ص 45.

[٤] فرك: كره وأبغض. انظر المعجم الوسيط، (فرك). العلج: كل شديد غليظ من الرجال. انظر المصدر نفسه، (علج).

[٥] المبرّد، الكامل، 3/1389

[٦] المصدر نفسه، 3/1390

أمّا ما بين المحدثين من تشابه في المعنى فقد عدّه المبرّد مماثلة أحياناً وأخذاً أحياناً أخرى، أمّا المماثلة فقد فصّلنا القول فيها ونكتفي الآن بذكر مثال لأخذ المحدثين المعاني المتشابهة بعضهم عن بعض وهذا ما كان في قول يعقوبَ بن الرّبيع[١]:

لله آنســــــــــة فُجعت بــــــها ما كان أبعـــــــــدها من الدّنــس
أتـــــت البشــــــارة والنّعي معاً يا قربَ مأتمِها مـــــــــن العُرس [٢]

والذي أخذه من قول سليمان بن الوليد الأعمى:

رُبَّ معـــــــروسٍ يُعـــــاشُ بِهِ فَقَدَتهُ كَـــــــــفّ مُغتَرِســـــِـه
وكـــــــذاكَ الـــــدّهرُ مأتَمُــــهُ أقربُ الأشياءِ مــــــــــن عُرُسِهِ

فقد أخذ ابن الرّبيع معنى أبياته من قول سليمان، مع الاشتراك ببعض اللفظ في محاولة لإخفاء الأخذ، فاللاحق أخذ من السّابق في عصره.

نرى المبرّد يتتبّع أخذ الشعراء المعنى من بعضهم ومن السّابقين، مستحسناً أحياناً هذا الأخذ، لما يضيفه من جديد، فيورد المبرّد بيت ذي الرّمة:

تشكو الخِشاش ومَجرى النّسعَتَين كما أنّ المريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ [٣]

مستحسناً ما ورد في هذا البيت من تشبيه مصيب، مع إشارته إلى أنّ المعنى الذي ورد فيه قديم أخذه ذو الرّمة من المثقّب العبديّ إذ يقول:

إذا مـــــا قُمـــــــــــتُ أدحجُها بليلٍ تَأوَّهُ آهة الرجـــــــلِ الحزين

كما أنّنا لا نجد ما يشير إلى عيب المبرّد لأخذ الشّعراء المعاني بعضهم عن بعض، فحين يتتبّع المبرّد المعاني التي تداولها الشّعراء، يكون باحثاً عن إضافة الآخذ في المعنى المأخوذ، فنراه لا يعيب المعنى إن كان تعاوره الشّعراء كثيراً، شرط أن يزيد الشّاعر في المعنى زيادة تضيف معنى جديدًا، أو يجمّل المعنى بعدد أقلّ من الأبيات، أو يجيد الشّاعر أداء المعنى في قالب فنيّ جميل. فقد حاول المبرّد إخراج السّرقات من مجرّد التّهمة إلى ميدان أرحب هو الفن

---

[١] يعقوبَ بن الرّبيع شاعر محدث فقد قال المبرّد : " وممّا استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الرّبيع " انظر المبرّد، الكامل ، 1465/3.

[٢] المصدر نفسه، 1464/3. من أبيات في جاريةٍ طالبَها سبعَ سنين، يبذلُ فيها جاهَهُ ومالهُ وإخوانَه حتّى ملكَها ، فأقامَت عندَه ستة أشهُرٍ ثمّ ماتَت ، فقال فيها أشعاراً كثيرة . انظر المصدر نفسه، 1464/3

[٣] المصدر نفسه، 935/2

والابداع فكان مثل ابن قتيبة الذي رأى أنّ زيادة الآخذ من المأخوذ تتيح له الفضل [1]، وكان مثل ابن طباطبا الذي قال: " إذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها، لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه"[2].

فنرى المبرّد يقول في بيت أبي تمام:

عَمـــري لقــد نَصَحَ الزّمانُ وإنَّهُ لَمِنَ العَجائِبِ ناصِـــحٌ لا يُشفِقُ [3]

والذي أخذه من قول ابنُ أبي عيينة:

مـــا راحَ يومٌ على حيٍّ ولا ابتكَرا إلاّ رأى عِبرَةً فيهِ إن اعتَبَـــرا
ولا أتت ساعةٌ في الدّهر فانصرَمَت حَتّى تُؤَثّرَ في قـــومٍ لها أثـــرا
إنّ اللّـــيالي والأيّامَ أنفُسَـــــــــها عن غيب أنفُسِها لم تَكتُم الخَبَرا [4]

يقول فيه:" وجمعه في ألفاظ يسيرة ... فزاد بقوله (ناصح لا يشفق) على قول ابن أبي عُيينة شيئاً طريفاً، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام " [5].

فالحاذق بالكلام عند المبرّد الذي يزيد في المعنى شيئا طريفاً لم يمتهن، ثمّ يجمعه في عدد أقلّ من الأبيات؛ لذا استحسن المبرّد قول أبي تمام على قول أبي عُيينة في نفس المعنى وهذا فيما سبق.

وحول المفاضلة في هذه المعاني المتشابهة فضّل المبرّد بيت أبي نواس:

ويـــدخُلُ حبُّـــها في كلّ قلبٍ مداخِلَ لا يُغلغلها المـــــــدُامُ [6]

على بيت سلم الخاسر:

ســـــقتني بعينيها الهوى وسقيتها فدبَّ دبيبَ الخمر في كلِّ مفصل

وذلك لتحسين أبي نواس له وفق الزيادة التي تضيف معنى جديداً، وكأنّ المبرّد هنا يشهد على تحسين المعنى المتداول وصياغته صياغة جديدة، فقد جاء بيت سلم الخاسر متحدّثاً

[1] انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص19
[2] ابن طباطبا، عيار الشّعر، ص123 وما بعدها
[3] المبرّد، الكامل، 2/524
[4] المصدر نفسه، 2/524
[5] المصدر نفسه، 2/524
[6] العسكري، الصناعتين، ص 230 .

عن وقع حبّ محبوبته، فحين تسقيه الهوى يكون وقع هذا كدبيب الخمر في مفاصله، بينما نجد أبا نواس يضيف أنّ حبّها في قلبه فعله أكبر من الخمر؛ فهو يتغلغل تغلغلاً أكبر من تغلغل الخمر.

ومثله ما ذكره المبرّد عن قول إسماعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد:

كأنّ الخلق رُكّبَ فيــه روحٌ له جَسَدٌ وأنتَ عليــــه راسُ[1] [2]

وكيف أخذ عليّ بن جَبَلة هذا المعنى وزاد في الشّرح والتّرتيب في قوله:

فالنّاسُ جِســــمٌ وَإمامُ الهُدى رأس وأنتَ العينُ في الرّاس [3]

فقد جعل أبو العتاهية الممدوح رأسا لجسد الخلق، أمّا عليّ بن جبلة فقد أخذ المعنى وهو صورة الجسد، وزاد في الشّرح فجعل الممدوح عينًا في رأس إمام الهدى في هذا الجسد، فزاد في الشرح، وأحسن الترتيب بهذه الزيادة.

نظم المنثور:

لقد كان المبرّد سبّاقاً إلى رصد هذا النّوع من السّرقات، وهو ما عدّه المبرّد أخذاً. وقد ذكر محمد مصطفى هدّارة إنّ المبرّد أشار لنظم المنثور في كامله وأنّ الحاتمي نقل عنه أمثلته [4].

ومع هذا فهدّارة يعدّ ما ذكره ابن المعتز من سرقة أبي تمّام قولاً من قول الرّسول [5]، الإشارة الأولى لهذا اللّون من السّرقات[6].

ويمكننا الردّ على هذا أنّ ابن المعتز كان تلميذاً[7] للمبرّد أخذ الأدب عنه، فمن المنطقي أن يأخذ ابن المعتز عن أستاذه وليس العكس، كما أنّ ما ورد في نظم المنثور في كتاب المبرّد أوسع ممّا ورد في بديع ابن المعتز، وقد كانت أمثلته أكثر.

---

[1] قراءة الديوان ركبٌ. انظر أبو العتاهية، اسماعيل بن القاسم،(ت: 211هـ)، الديوان، دار صادر، بيروت،1980،ص233

[2] المبرّد، الكامل، 1053/2

[3] المصدر نفسه، 1054/2

[4] انظر هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص 110

[5] انظر ابن المعتز، البديع، ص 26

[6] انظر هدّارة، مشكلة السّرقات في النقد العربي، ص 104

[7] انظر ص 9 فيما سبق من البحث

الأخذ من القرآن الكريم:

حين تحدّث المبرّد عن نظم المنثور، تجنّب الخوض في الأخذ من القرآن الكريم، وإن أشار إليه يكون هذا دون استخدام لفظ أخذ. فنراه يشير إلى بيتٍ لأبي العتاهيّة:

وقد يَهلِكُ الإنسانُ من بابِ أمنِهِ وينجو بإذن اللهِ من حيثُ يَحذرُ [1]

يقول فيه: " وهذا معنى حسن"، ثمّ يشير إلى آية من القرآن الكريم ورد فيها المعنى ذاته: ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعلُ اللهُ فيه خيراً كثيراً ﴾[2].

الأخذ من الحديث النّبوي:

كما أشار المبرّد إلى أخذ المعنى دون اللفظ من سنة رسول الله القوليّة، فبيت أبي العتاهية:

ليَعلمَنَّ النّـــــــاسُ أنّ التُّقى والبرَّ كانا خَيرَ ما يُذخَرُ

مَأخوذٌ ممّا رواه أبو هُريرة عن النَّبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم: " إذا حُشِرَ النّاسُ في صَعيدٍ واحدٍ نادى مُنادٍ من قِبَلِ العَرش: ليَعلمَنَّ أهلُ المَوقِفِ مَن أهلُ الكَرَمِ اليَومَ ؟ ليَقُم المُتَّقونَ" [3]، ثمَّ تلا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم:﴿ إنّ أكرَمَكُم عِندَ الله أتقاكُم ﴾[4]. فقد أشار الشّاعر في بيته إلى أنّ التّقى والبرّ هو ما يُذخر، وهذا ما جاء في قول رسول الله إنّ الله يكرم أهل التّقوى يوم الحشر.

الأخذ من أقوال الصّحابة:

لم يكتف المبرّد بأخذ الشعراء عن الرّسول، بل اعتنى بأخذهم عن الصّحابة، فأشار إلى أخذ الشعراء المعنى وبعض اللّفظ من أقوال الصّحابة، فذكر كيف أخذ أبو العتاهية معنى بيته وبعض اللفظ:

ما بـــــــالُ مَن أوَّلُهُ نُطفَةٌ وَجيفَةٌ آخِـــــــــرُهُ يَفخَرُ [5]

---

[1] المبرّد، الكامل، 420/1

[2] سورة النساء:19

[3] المبرّد، الكامل، 523/2

[4] سورة الحجرات: 13

[5] المبرّد، الكامل، 524/2

من قول عليٍّ بن أبي طالب – رضيَ اللّه عنه: " وما ابنُ آدَمَ والفَخرُ؟ وَإنّما أوّلُهُ نُطفَةٌ وَآخِرُهُ جيفَةٌ لا يَرزُقُ نَفسَهُ ، ولا يَدفَعُ حَتفَهُ ".

الأخذ من الحكماء:

رأى المبرّد أنّ الشّعراء يأخذون من معاني الكتّاب والحكماء، كما أنّ الكتّاب يستمدون من الشّعراء كثيراً من المعاني كذلك، وقد عدّ المبرّد هذا النّوع من التشابه في المعنى، أوالتشابه في المعنى وبعض اللفظ، سرقة محمودة فالأخذ فيها خفيّ.

وهذا ما رآه المبرّد في أبي العتاهية إذ يقول المبرّد عنه: "فينظم ذلك الكلام المنثور ، ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة"[1]، فذكر أنّ أبا العتاهية أخذ معنى بيته:

يا عـــــجباً للنّاس لو فكّروا وحاسبوا أنفسَهُم أبصروا

دون لفظه من قولهم: " الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك"، وكان هذا في عجز بيت إسحق بن خلف في مدح العربية:

النحوُ يبسُطُ من لِسان الألكَن والمَرءُ تُكرِمُهُ إذا لم يَلحَن [2]

فقد وجده المبرّد مأخوذًا من قول الأصمعيّ: " كان يُقال: ثلاثةٌ يُحكَمُ لهم بالنُّبل حتّى يُدرى من هُم، وهم رجلٌ رَأيتَهُ راكِباً، أو سَمِعتَهُ يُعربُ، أو شَمِمتَ منه طيباً، وثلاثةٌ يُحكَمُ عليهم بالاستصغار حتّى يُدرى من هُم، وهم رجُلٌ شَمِمتَ منهُ رائحة نبيذٍ في مَحفِلٍ، أو سَمعتَهُ في مِصرٍ عَرَبي يتكلّمُ بالفارسيّة، أو رجلٍ رَأيتَهُ على ظهرِ طريقٍ يُنازعُ في القدَرَ" [3]. فقد أخذ الشّاعر المعنى الوارد في النثر وصاغه في أبيات دون أخذ اللّفظ منه.

كما تحدّث المبرّد عن أخذ الشّعراء المعنى وبعض اللفظ عن الحكماء، وذكر عجز بيت لأبي العتاهيّة يرثي به أخاً له:

وكانت في حياتِك لي عِظاتٌ وأنتَ اليومَ أوعظُ منكَ حيّاً [4]

---

[1] المبرّد، الكامل، 522/2

[2] المصدر نفسه، 536/2

[3] المصدر نفسه ، 536/2

[4] المصدر نفسه، 521/2

أخذه من قول المُوبذ لِقُباذ [1] الملك حيث مات: "كان الملكُ أمس أنطقَ منه اليوم، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس ".

وقول أبي العتاهية:

قد لعَمري حكيتَ لي غُصَصَ الموتِ وحَرّكتني لها وسكنتا [2]

الذي قال فيه المبرّد: "أخذه من قول نادبِ الإسكندر حين مات، وبكى مَن بحضرته فقال النّادب: حرّكنا بسكونِهِ".

الأخذ من كلام الشعراء غير المنظوم:

وقد اعتنى المبرّد بالإشارة إلى أخذ الشّعراء المعنى دون اللفظ من كلام غير منظوم لشعراء آخرين، فقول أشجع السُّلَميّ:

وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمدٍ رَصَدان ضوءُ الصّبح والإظلامُ

فإذا تنبّهَ رُعتَهُ وإذا هَدا سلّت عليهِ سيوفَكَ الأحلامُ [3]

أخذ معناه من قول الأخطل لعبد الملك بن مروان: "هبك أجرتني منه في اليقظة، فمن يُجيرُني منه في النّوم؟!" وكان هذا حين أجار عبد الملك الأخطل بعد خوفه من الجحّاف بن حكيم [4] إثر قوله له: " يا ابن النّصرانيّة ! ما ظننتك تجترئ عليّ بمثل هذا – بيتٍ قاله له – ولو كنتُ مأسوراً لك ؟

نثر المنظوم:

أمّا اعتناء المبرّد بحلّ المنظوم –أي تحويل الشّعر إلى نثر– فقد كان المبرّد سبّاقاً في الحديث عنه، وقد عدّه المبرّد أخذاً كذلك، وكان هذا في قوله: " ويروى أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجّاج بن يوسف (بسم الله الرحمن الرّحيم – أمّا بعدُ – فإنّك سالمٌ والسلام). فأشكل على الحجّاج وأرق لذلك ليلته، فقال له ابنُ هبيرة: ما يُسهرُ الأمير؟ فقال: كتابٌ كتبه إليّ أميرُ

---

[1] الموبذ :فقيه الفرس، حاكم المجوس، انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الذال، فصل الواو،. قباذ: أبو كسرى، انظر المصدر نفسه، باب الذال، فصل القاف

[2] المبرّد، الكامل، 521/2

[3] المصدر نفسه ، 2/ 624

[4] لمزيد من المعلومات انظر الأصفهاني، الأغاني خبر الجحّاف ونسبه وقصته يوم البشر 198/12

المؤمنين فيه كذا، قال، فإن أعلمتك معناه فمالي عندك؟ قال: ولاية خُراسان فقرأ عليه الكتاب، فقال ابن هبيرة: أخذه من قول القائل:

يديرونني عن سالمٍ وأديرهم وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ"[1]

وقد أشار هدّارة إلى أنّ ابن طباطبا هو أوّل من جعل الأخذ من النّثر، من السّرقات الحسنة فلم يجعله من قبله، من بين قواعد السّرقة المستحسنة [2]، ولكننا نرى في عدم عيب المبرّد لهذا النوع من السّرقات إشارة إلى استحسان المبرّد له شرط إخفاء هذا الأخذ.

نجد ممّا سبق كيف كان تحويل النثر إلى شعر وتحويل الشّعر إلى نثر هو أخذ للمعنى دون اللفظ أو أخذ للمعنى مع بعض اللفظ، وهو ما لم يعبه المبرّد، وكأنّه بهذا فتح الباب لمن بعده لاستحسان هذا النّوع من السّرقة، فاستحسنه ابن رشيق من بعده[3]، وابن وكيع[4].

٢. قلب المعنى

تحدّث المبرّد عن قلب المعنى، وهو "تحويل الشّيء عن وجهه " [5]، إذ يكون معنى نقيض معنى الأوّل، وقد عدّ القاضي الجرجاني قلب المعنى "من لطيف السّرق وقصد به النقض"[6]، وكأنّ المبرّد كان سبّاقاً لهذا النّوع من السّرقة، فقد ذكر المبرّد مثالاً واضحاً لقلب المعنى، وهو ما جاء في بيت ابنة الرقاع التي بلغت بطبعِها على صِغَرِها مبلغَ الأعشى في قلب هذا المعنى[7]، حيثُ يقول لِهَوذَةَ بن عليّ:

يرى جَمعَ ما دونَ الثّلاثينَ قُصرَةً ويَعدو عَلى جَمع الثلاثينَ واحِدا

فقد وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه، فقالت: ما تريدون فقالوا: جئنا لنهاجيه فقالت وهي صبيّة:

---

[1] المبرّد، الفاضل، ص51

[2] انظر هدّارة، مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليليّة مقارنة، ص 106

[3] قال القيرواني: وأجلّ السرقات نظم النثر وحلّ الشّعر " انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 229/2.

[4] قال ابن الوكيع:" أحذق شعرائنا من تخطي المنظوم الى المنثور، لأن المعاني المستجادة والحكم المستفادة إذا وردت منثورة كانت كالنوادر الشاردة وليس لها شهرة المنظوم السائر على ألسنة الراوين، المحفوظ على قائله كالتدوين، فالعارف بأخذ المنثور قليل ، والجاهل به كثير . وقد بقي قائل الحكم المنثورة لسارقها من فضيلة النظم ما يزيد في رونق مائها وبهجة روائها".
انظر ابن وكيع، أبو محمد الحسن بن علي، (ت:393)، المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، ط:1، (تح/ عمر خليفة بن ادريس)، جامعة قار يونس، بنغازي، 1994م، 102/1.

[5] انظر قلب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الباء، فصل القاف

[6] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص161

[7] انظر الكامل، 342/1

تجـــــمّعتُم مِن كُلّ أوبٍ وَوجهَةٍ على واحِدٍ لا زلتُمُ قِرنَ واحِدِ [1]

كما استخدم المبرّد مصطلح خلاف المعنى ليشير إلى قلب المعنى، فذكر المبرّد قول الشاعر:

من النَّفر البيض الذينَ إذا اعتزَوا وهابَ الرِّجالُ حلقة البابِ قعقعوا [2]

وقد شرح المبرّد هذا البيت فقال: أي أنّه " يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم، وثقتهم بأنّ مثلهم لا يُرَدُّ ."[3] ثمّ ذكر المبرّد قول جرير لأحدهم خلافَ هذا:

قومٌ إذا احتَضَرَ المُلوك وُفودُهُم [4] نُتِفَت شَواربُهُم على الأبوابِ

لم يعب المبرّد هذا النّوع من السّرقة، فمع إعجابه بأبيات جرير في مدح هشام بن عبد الملك:

وأنتَ إذا نَظَرتَ إلى هِشامٍ عَرَفتَ نِجارَ مُنتَجَبٍ كريم

وَلِيُّ الحَــقِّ حينَ يَؤُمُّ حَجّا صُفوفاً بَينَ زَمزَمَ وَالحَطيم

يرَى لِلمُسلِميــن عَليهِ حَقّا كفِعلِ الوالِدِ الرَّؤفِ الرّحِيم

إذا بَعضُ السِّنينَ تَعَــرَّقَتنا كَفى الأيتامَ فَقدَ أبي اليتيم [5]

فإنّه أشار إلى قلب الشّاعر عائذِ الكلبِ الزّبيريِّ[6]، لمعنى البيت الثّالث من أبيات جرير، دون أن يعيب ذلك، وكان هذا في هجاء عائذ الكلب لعبدِ الله بن حسَن بن حسَن، فيقول:

له حقٌّ وليـــــــسَ عليهِ حَقٌّ ومهما قالَ فالحَسَنُ الجَميلُ

وقد كان الرّسولُ يرى حُقوقا عليهِ لِغَيره وَهُوَ الرَّسولُ [7]

---

[1] انظر البيتين ص71 من البحث.

[2] المبرّد، الكامل، 236/1

[3] المصدر نفسه، 236/1

[4] رواية الديوان حَضَر. انظر الصّاوي، شرح ديوان جرير، ص 56.

[5] المبرّد، الكامل، 666/2

[6] هو عبد الله بن مصعب بن ثابت القرشي الأسدي، أمير شاعر، ولي المدينة واليمن، توفي سنة 184 هـ، انظر الزركلي، الأعلام، 138/4

[7] قال المبرّد : " فإنّه ذكره بقلّة الإنصاف ، فقال : يرى له حقّا على النّاس ، ولا يرى لهم عليه حقّا ، من أجل نسبه بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم ". الكامل، 666/2

ومع ما تقدّم من تتبّع المبرّد لسرقات الشعراء إلاّ أنّ محمد مصطفى هدارة لم يذكر مؤلفات المبرّد، التي امتلأت بالحديث عن السّرقات مع بحثه في مصادر أخرى، كانت أخبار السرقات فيها قليلة– هذا باعتراف هدارة نفسه– ومثال ذلك كتاب الورقة لأبي عبد الله محمد بن داوود بن الجراح، وكتاب يتيمة الدهر للثعالبي[١].

كما نرى في بحثنا في موضوع السّرقات عند المبرّد ما يمكّننا من الرّد على ادّعاء العسكري الذي قال بعد حديثه عن السّرقات: "وقد أتيت في هذا الباب على الكفاية ولا أعلم أحداً ممن صنف في سرق الشّعر، فمثّل بين قول المبتدي وقول التالي وبين فضل الأوّل على الآخر، والآخرعلى الأول غيري، وإنما كانت العلماء قبلي ينبّهون على مواضع السرق فقط "[٢]. ونثبت بأنّ ما جاء به المبرّد في السرقات لم يكن أقلّ ممّا جاء به العسكري.

رابعاً: الصّراع بين القديم والحديث:

لم تكن قضية القديم والحديث من مستحدثات نقاد القرن الثالث الهجري، بل هي مسألة قديمة في تاريخ الأدب. وقد كانت موضع نقاش اللغويين والرّواة والنحويين والشّعراء والكتّاب. وقد شهد القرن الثّالث ميلاد منهج جديد في النّقد الأدبي عند العرب، كان أستاذه الأوّل الجاحظ الذي رأى فيمن يهضم الشّعر الحديث حقه لمجرد حداثته أنّه "غير بصير بجوهر ما يروى، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيّد ممّن كان، وفي أي زمن كان"[٣].

وقد وقف أغلب نقاد القرن الثالث من إنصاف المحدَث موقفًا واحدًا، فاتفقوا على حبّ القديم وإنصاف المحدث الذي يماثله في أصوله الفنية، فمعظمهم تربّى على حبّ القديم وكان يتخذ هذا القديم مادة دراسته، إن كان راوية للأدب كالجاحظ، أو كان عالمًا في السّنة والأثر كابن قتيبة، أوعالما في اللغة والنحو كالمبرد، أوكان شاعرًا أديبًا كابن المعتز[٤].

وقد قال شكري عيّاد في هذا الشّأن: "وتبنّى كبارعلماء اللغة والأدب في القرن الثالث موقف الجاحظ، فقبل المبرد، وثعلب، وابن قتيبة شعر المولدين"[٥].

---

[١] انظر هدارة، مشكلة السّرقات في النقد العربي، ص97

[٢] العسكري، الصناعتين، ص257

[٣] الجاحظ، الحيوان، 130/3

[٤] انظر عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص77.

[٥] عيّاد، شكري محمد، **المذاهب الأدبية عند العرب والغربيين**، ط:1، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993 ص 215

-ذوق المبرّد:

يتحدّث المبرّد في مؤلفاته عن قيمة أشعار الجاهليين قائلاً: "أشعار الجاهليّة مشهورة معروفة نُملي منها العيون "[1]، وتحدّث عن موضوعات الشّعر عند القدماء وسبقهم إلى الأغراض الشّعريّة، فقد قال على سبيل المثال إنّ التّشبيه قديم عند العرب ليس مبتدعاً [2]. كما أنّه كان يستجيد من الشّعر الحديث ما يوافق شعر الأقدمين؛ أي ما يجري على طريقته، فقد كان يقيس جودة الشّعر بمقياس الجودة عند المحافظين من النقاد القدماء التي تبلورت فيما بعد بعمود الشّعر، فإن أراد المبرّد إثبات صفة الحسن للشعر المحدث تلمّسها في النّماذج التي لا تخرج عن القوالب الشّعرية المتوارثة، فبحث في شرف المعنى وصحته والكلام وصلابته [3]، واللفظ وجزالته[4]، وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس [5]، فأحسن الشّعر عند المبرّد" ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة..."[6].

فإن تضمّن الشّعر المحدث ما أشار إليه المبرّد يكون قد استوفى عناصر الجمال الفني المطلوب في رأي المبرّد، وهذا ما رآه المبرّد في مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفي[7]، التي حمل فيها سمات الشّعر العربي الجاهلي في شدّة كلام العرب وروايته وأدبه، وحمل كذلك حلاوة كلام المحدثين بعصره من حيث الرّقة والجزالة والتّصوير، ففي شعره المثل السّائر والمعنى اللّطيف واللّفظ الفخم الجليل، والقول المتسّق النّبيل [8]. فهل كان ذوق المبرّد المائل للقديم مانعًا له من إنصاف الشعراء المحدثين؟

إنصاف المبرّد للمحدثين:

إن كان ذوق المبرّد يتجه نحو القديم، فهذا ليس غريباً فهو النّحوي واللغوي المعروف، المدفوع بذوق عربي أصيل، لكنّ هذا لم يطغ على تعاطف المبرّد مع الشّعر المحدث [9]

---

[1] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 24

[2] انظر المبرّد، الكامل، 1037/2

[3] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 177

[4] انظر المبرّد، الكامل، 63/1

[5] انظر المصدر نفسه، 28/1

[6] المصدر نفسه، 385/1

[7] انظر المصدر نفسه، 1427/3.

[8] انظر المبرّد، الكامل، 1427/3

[9] انظر ابن النديم ، الفهرست، ص65

وإنصافه له في مؤلّفاته، فقد خصّص لهم كتاب "الرّوضة" الذي يعتني فيه بأخبار الشعراء المحدثين والترجمة لهم[1]، فلا نجده ينحو منحى من يتعصّب للقديم، كما أنّه لم يحمل لواء التّجديد، بل وقف موقفاً معتدلاً منصفاً.

وإن كان القديم عند المبرّد هو الأصل الذي ينبغي للمحدث أن يحتذيه حتى يحقّق الجودة الفنيّة فإنّ هذا طبيعي، فمن الثابت لدى معظم النّقاد أنّ خير أشعار الشّعوب هو ما قالته أيّام بداوتها الأولى، وفي تاريخ الأدب العربي ما يزيد من رجحان كفّة قديم الشّعر على حديثه، وهو صدور القديم عن طبع، وصدور أغلب الحديث عن تقليد وفن[2].

كانت الأفضلية عند المبرّد للشّعر الجيّد والانتصار عنده يكون لقضية الفنّ، لذا وجدناه يختار أشعاراً للمولّدين يقول فيها: " هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثّل؛ لأنّها أشكل بالدّهر ويُستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب"[3]. فيستحسن قول أبي نواس:

لا أذودُ الطّيرَ عَن شَجَرٍ قد بَلَوتُ المُرَّ مِن ثَمَرِه[4]

ويرى فيه ما يؤهّله أن يكون من الأمثال التي يتداولها النّاس فيما بينهم، لما يحمل من "إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التّشبيه"[5]، فيقول فيه: "ومثل هذا لو تقدّم لكان في صدور الأمثال" وكذلك قوله:

فامضِ لا تَمنُن علَيّ يَداً مَنُّكَ المَعروفَ مِن كَدَرِه[6]

ويشير هذا إلى مقدار إنصاف المبرّد للشّعر الحديث، ولكنّه يدرك أنّ العائق وراء أن تكون هذه الأشعار أمثالاً سائرة، هو ذوق العصر الذي يميل للقديم لمجرّد قِدمه، فقد كان المبرّد يعلم أنّ شعر الرّجل مهما علا وامتاز فلن يكون مثلاً في نظرهم، لا لشيء سوى أنّ قائله محدث.

---

[1] انظر ابن النديم ، الفهرست ص65

[2] انظر مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، ص 22

[3] المبرّد، الكامل، 512/2

[4] المصدر نفسه، 527/2

[5] المصدر نفسه، 2/ 527. انظر سمات المثل عند ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 282/1

[6] قال المبرّد : " وكان يقال : ذكر المعروف من المُنعم إفسادٌ له، وكتمانه من المنعم عليه كفرٌ له " .الكامل، 527/2

وهذا ما جعل المبرّد يقول في نهاية كتابه "التّعازي والمراثي": " كنّا أردنا أن نملي أشعاراً من أشعار المحدثين في ضروب من المراثي، فأشفقنا من أن يُستخّف بهذا الكتاب ..." [١]. فرغبة المبرّد في رواية الشّعر المحدث موجودة يمنعه من هذا أحياناً خوفه من الاستخفاف بجهده، ولكنّ هذا الخوف لا يستمرّ فنراه ينصف المحدثين فيخصّص بابا لتشبيهاتهم في كامله [٢]، فذكر المبرّد امتياز العرب في نظرتهم للتّشبيه لا تجعله يغفل المحدثين، فإن استحسن المبرّد تشبيه عنترة:

غادَرنَ نَضلة في مَعرَكٍ يَجُرُّ الأسنّة كالمحتطب [٣]

فهو يشير لتميّز أبي نواس في تشبيهاته، فيقول فيه: " أكثرهم تشبيهاً لاتساعه في القول، وكثرة تفنّنه واتّساع مذاهبه" [٤]، فكان بهذا مثل أستاذه الجاحظ الذي قال في أبي نواس: "وإن تأمّلت شعره فضلته، إلا أن تعترض عليك فيه العصبيّة، أوترى أنّ أهل البدو أبداً أشعر، وأنّ المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك فإنّك لا تبصر الحقّ من الباطل ما دمتَ مغلوباً" [٥].

كما نجده يستحسن التّشبيه في قول العباس بن الأحنف:

صِرتُ كأنّي ذبـــــــالةٌ نُصِبَت تُضيءُ للنّاس وهي تَـــــــحتَرِقُ [٦]

وإن كان المبرّد قد أشار إلى أنّ الجاهليين تقدّموا على غيرهم في شعر الرّثاء [٧]، فهذا لم يكن رأياً تفرّد المبرّد به فقد وضّح لنا المبرّد نظرة من قبله لمراثي الجاهليين فقال: "أمّا مرثية دريد بن الصّمّة فكان الأصمعي يقدّمها جدّاً، وهي أهلٌ ذلك" [٨].

ومع ميل المبرد للرّثاء القديم الذي ظهر من تنويهه إلى أنّ العرب برعوا في هذا الميدان–الرثاء– إلا أنّا نجده ينصف رثاء المحدثين، فلا يقف عند إيراد رثاء الجاهليين، بل

---

[١] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 312، و313
[٢] انظر المبرّد، الكامل، 1039/2
[٣] المصدر نفسه، 941/2. يوضّح المبرّد قوله: طعن وغودرت الرماح فيه فظلّ يجرّها كأنّه حامل حطب. المصدر نفسه، 941/2.
[٤] انظر المصدر نفسه، 1040/2
[٥] الجاحظ، الحيوان 27/2
[٦] المصدر نفسه، 1053/2.
[٧] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص13
[٨] المصدر نفسه، ص 21

نجده يجعل الجودة مقياساً للشّعر دون عدّ لقدم أوحداثة، فيقول:" وقال بعض المحدثين وليس بناقصه حظّه من الصّواب أنّه محدث يقول لرجل رثاه"[١]، ثمّ يذكر البيتين التاليين:

عَجِـــــــبتُ لِصبري بعدَه وهُوَ مَيِّتٌ وقد كنتُ أبكيهِ دَماً وهوَ غائِـــــبُ
عـــــــلى أنَّها الأيامُ قد صرنَ كلُّها عَجايِبَ حتّى ليـــسَ فيها عجائـــبُ

كما نجد المبرّد يذكر لطف مراثي المولّدين أمام خشونة مراثي الجاهليين، فيقول: "وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مراثٍ من أشعار المحدثين؛ لننزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولّدين، لمشاكلة الدّهر وملاحة القول لنمضي من ذلك شيئاً، ثمّ نعود إلى أمرنا الأوّل، إن شاء الله من أشعارٍ قديمة . "[٢].

وإن اشترط المبرّد في رثاء المحدثين أن يكون فيه قوة كلام العرب، فيحمل اللفظ الحسن وصحة المعنى والنية الصادقة[٣]، وهي ذات الشروط التي طلبها المبرّد في رثاء القدماء، إلاّ أنّنا نجده يستحسن رقة كلام المحدثين وتصويرهم، وهو ما وجده المبرّد في مرثية ابن مناذر لعبد المجيد بن عبد الوهاب الثّقفي[٤]

كما نجده يستحسن قول عمارة بن عقيل مع قرب عهده:

تَبَـــــحَّثْتُمُ سُخطِي فَغَيَّرَ بَحثُكُم نَخيلةَ نَفسٍ كان نُصحاً ضَميرُها
ولَن يُلبِثَ التَّخشينُ نَفساً كريمةً عَريكَتُها أن يَستـــَـــمِرَّ مَريرُها
ومـــــا النّفسُ إلاّ نُطفةٌ بقرارَةٍ إذا لم تُكَدَّر كانَ صَفواً غَديرُها[٥]

ويعلّل المبرّد استحسانه هذا لوضوح كلام عمارة وعذوبته. فهو بهذا يؤكّد موقفه النّقدي الحيادي فالفيصل عنده عنصر الجودة والجمال الفنّي، دون اكتراث لزمان هذا الشّعر، المبرّد لا يتعصّب للقديم، ولا يقدّمه لقدم قائليه، ولا يبدي تحيّزا لعصر من العصور فهو معنيّ بتأمّل الجمال في الفنّ، لا يهمّه الإطار الزّمني الحاضن لها قديماً كان أوحديثاً، فرفض أن يفضّل هذا القديم على الحديث لمجرّد قدمه، وكان موضوعياً في أحكامه النّقديّة يذكر شعراً للفرزدق

---

[١] المبرّد، الكامل، 3/1378

[٢] التعازي والمراثي، ص 152

[٣] انظر التعازي والمراثي ، ص 153

[٤] انظر المصدر نفسه، 3/1427.

[٥] المبرّد، الكامل، 1/43

رصيناً، وآخر سخيفاً، وقد عدّه من المتقدّمين، يعبّر عن موقفه هذا بكلّ صراحة فيقول: "وليس لقدم عهدٍ يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب، ولكن يعطى كلّ ما يستحقّه"[1].

فكان في هذا مثل الجاحظ وابن قتيبة يرى الإنصاف في أن يعدل في حكمه، متى تحققت الجودة واستطاع الشّاعر أوالأديب أن يبدع. ويقول ابن قتيبة: "ولم يقصر الله العلم والشّعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسومًا بين عباده في كل دهر، وجعل كلّ قديم حديثا في عصره، وكل شرف خارجيةً[2] في أوله. فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدّون محدثين، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممتُ بروايته. ثمّ صار هؤلاء قدماء عندنا ببُعد العهد منهم وكذلك يكون مَن بعدهم لمن بعدنا كالخُريمي والعَتّابي والحسن بن هانىء وأشباههم، فكل من أتى بحَسَن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثبتنا به عليه ولم يضعه عندنا تأخُّر قائله او فاعله ولا حداثُ سنّه، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدّم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُمُه"[3].

كأنّ المبرّد وغيره ممّن أنصفوا المحدث كانوا مقدّمة لمن بعدهم[4]، كما أنّ ذوق المبرّد القديم لم يمنعه من استحسان بعض أبياتٍ لأبي تمام مع خروجه على عمود الشّعر[5]، فنراه يقول:" والله إنّ لأبي تمام .... من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعرالأوائل لما وجد مثله"[6].

ولم يمنعه ذوقه هذا من الإعجاب بتجديدات أبي نواس وهو من" ثار على العرف العام وعلى موضوعات الشّعر"[7]. فالمبرّد يثني على قصيدة أبي نواس في أبي دلف العجلي التي أوّلها:

---

[1] المبرّد، الكامل، 43/1

[2] خارجية : من فاق جنسه ونظائره، وساد بنفسه من غير أن يكون له قدم . انظر المعجم الوسيط، (خرج)

[3] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص11

[4] ورد عند ابن سنان : " إنّ الطرق في نقد الشّعر ما قدّمناه من نعوت الألفاظ والمعاني ، فأمّا قائله وتقدّم زمانه أو تأخره فلا تأثير له في ذلك ، لأنّ القديم كان محدثا والمحدث سيصير قديما ، والتأليف على ما هو عليه لا يتغيّر، وفي المحدثين من هو أشعر من جماعة من المتقدّمين وفي المتقدّمين من هو أشعر من جماعة من المحدثين . وإلى هذا يذهب أبو عثمان الجاحظ وأبو العبّاس المبرّد ، وأبو عبادة البحتري وأبو العلاء بن سليمان آنفا وهو الصحيح الذي لا يعترض العاقل فيه شك ولا شبهة " ابن سنان، سر الفصاحة، ص268

[5] وكان أبو تمام الطائي في منزل الحسين بن الضحّاك، وهو ينشد شعره وعنده إسحاق الموصلي . فقال له إسحاق: يا فتى؟ ما أشد ما تتكئ على نفسك ؟ يعني أنه لا يسلك مسلك الشعراء قبله ، وإنما يستقي من نفسه . انظر المرزباني،الموشّح، ص327

[6] انظر ص 48 فيما سبق من البحث.

[7] عبد الكريم اليافي، دراسات فنيّة في الأدب العربي، ط:2، ص 107-108، دار الحياة، 1972

ذاد ورد الـــــــــغيِّ عن صدَره فارعـــوى واللهوُ من وطَره

وقال : " ما أحسب شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً يبلغ هذا المبلغ فضلاً أن يزيد عليه جزالة وفخامة"[1].

وقد بلغ من إنصاف المبرّد للمحدثين أن اتخذ بعض قصائد المحدثين وأشعارهم مادة يدرّسها لبعض تلامذته[2]، وقد تأثر بموقف المبرّد من المحدثين تلميذه الشاعر الناقد عبد الله بن المعتز فألف كتابه "طبقات الشّعراء المحدثين" وترجم فيه لمعظم الشّعراء المحدثين وذكر نماذج من أشعارهم.

كما لم يكن ذوق المبرّد ليمنعه من الاستشهاد بشعر معاصر دليلاً بلاغيّاً أولغويًا، فاستشهد ببيت للحسن بن هانئ نموذجا للكناية، يمدح فيه محمدًا الأمين، إذ يقول:

سَـــــــبطُ البنان إذا احتَبَى بنجادِهِ غَمَرَ الجماجِمَ والسِّماطُ قيامُ [3]

فقد كان هذا البيت كناية عن كرمه وسخائه.

وقد استشهد بشعر عمارة بن عقيل، نموذجاً للكناية، فيقول:

رأيناكُما يا ابـــنَي ربيعة خُرثُم لِـــعضِّ الحُروبِ والعديدُ كثيرُ [4]

" ومؤداه أنّه رغم كثرة العدد والعدّة، فقد دبّ فيهم الضّعف واستبدّ بهم"[5]

وقد كان احتجاج المبرّد بشعر المحدثين مقدمة لغيره، فقد قال ابن جنّي وقد استشهد ببيت للمتنبي: "... وقد كان أبو العباس [قصد المبرد] وهو الكثير التّعقب لجلّة النّاس احتّج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطّائي في كتابه الاشتقاق، لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه "[6].

ويقول كذلك في المحتسب وقد استشهد ببيت للمتنبي: " ... وإذا جاز لأبي العبّاس أن يحتّج بأبي تمام في اللغة، كان الاحتجاج بالمولّد الآخر أشبه "[1].

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 351/3.

[2] كان المبرد يدرس تلميذه ابن المعتز قصيدة لأبي نواس ويشرحها له. انظر ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص230

[3] المبرّد، الكامل، 1414/2

[4] المصدر نفسه، 210/1

[5] الخطيب، دراسة في كتاب الكامل، ص451

[6] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: 392)،الخصائص، ط:2(تح/ محمد علي النّجار) دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م، 24/1.

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت: 392)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ط:2(تح/ علي النجدي ناصف وزميليه)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م، 231/1.

وأخيرا يمكننا الحكم على المبرّد صاحب الذوق القديم؛ بأنّه ليس متعصباً للقديم، فكان ممّن أحبّ القديم وأنصف المحدث، فأخذ من الاثنين، وكان بهذا أكثر إقبالاً من غيره على المحدث، فنرى من عباراته ما يدلّ على استحسانه واستساغته لهذا اللون الفنيّ الجديد.

الفصل الثالث:

نقد المعنى عند المبرد

اعتنى المبرّد بنقد الأدب من حيث المضمون، فانتقد معاني بعض الأبيات الشّعريّة، أو نقل نقد الآخرين لها، ممّا أظهر بعض مقاييسه للمعنى.

أ- مقاييس المعنى:

1- الصّحة والخطأ:

طلب المبرّد في المعنى أن يكون صحيحاً لا خطأ فيه من حيث الواقع، وهذا ما دفعه المبرّد ليحكم على قول الشّاعر متمم بن نويرة بالجودة:

وكُلُّ فتىً في النّاس بَعدَ ابن أمِّهِ كَساقِطَةٍ إحدى يَدَيهِ مِنَ الخَبَلِ [1]
وَبَعضُ الرِّجالِ نَخلةٌ لا جَنَى لها وَلا ظِلَّ إلاّ أن تُعَدَّ مِنَ النَّخلِ

إذ قال عنه "جيّد الكلام لصحة معناه، ولأنه وافق حقاً " [2]. ويبدو أنّ المبرّد وجده صحيحًا؛ لأنّه يوافق واقع الحياة، وقد ذكر كيف جاء هذا الكلام موافقاً لقول رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم:(النّاس كإبلٍ مِئةٍ، لا تكاد ترى فيها راحِلة) أي أنّهم كثير، ولكن قلّ منهم من يكون فيه خير.

فالشّعر الجيّد عند المبرّد ما كان فيه معنى صحيح مرتبط بالواقع ، وإن خالف الشّاعر واقع الحياة عن جهل أو وهم كان المعنى غير صحيح عند المبرّد، نستدلّ على هذا فيما نقله – المبرّد – من نقد الأصمعي للبيت التّالي:

ربّ رامٍ مـــــــــــن بـني ثُعَلٍ مُخرِجٍ زَنْدَيهِ مـــــــــن سُترِه

إذ قال الأصمعي: " أما علم أنّ الصائد أشد ختلاً من أن يظهر شيئاً منه" [3]، ظهرت موافقة المبرّد على نقد الأصمعي للبيت من قوله:" فهو أصلحه (كفيه)"، وكان هذا بعد تصحيح الأصمعي قول الشاعر إذ قال: " فكفيه إن كان لا بد أصلح ".

فقد خالف الشّاعر في بيته السّابق الواقع عن جهل أو وهم، فقد قال عن الرامي: " مخرج زنديه من ستره"، وواقع الأمر أنّ الصيّاد أشدّ حذراً من أن يظهر شيء منه أثناء الصّيد ويبدو أنّ المبرّد كان موافقاً على النّقد الذي وجّه لبيت ذي الرّمة:

---

[1] الخبل : قطع اليد أو الرجل ، وخبلت يده إذا شلّت. انظر المعجم الوسيط،(خبل)

[2] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 18

[3] المرزباني، الموشّح، ص28

تُصغي إذا شدّها بالرّحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها [1] تَثِبُ

في خروجه عن الواقع، إذ قيل:

" أسأت، إذا وضع رجله في غرزها فوثبت رمت به فدقّت عنقه ..."[2]، فقد نقل المبرّد هذا النّقد دون التعليق على ما يُخالفه.

كما طالب المبرّد أن يكون المعنى صحيحاً لا يخالف واقع التاريخ؛ لذا علّق على أبيات الوليد بن عقبة[3] التي قالها لبني هاشم حين قتل عثمان رحمه الله:

بني هاشمٍ ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحلّ مناهـــــــــبه

بني هاشمٍ كيف الهوادة بينـــــنا وعند علي درعه ونجائـــــــبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانـــــــه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

فقال: " هذا قول باطل. وكان عروة بن الزبير إذا ذكر مقتل عثمان يقول: كان علي أتقى لله من أن يقتل عثمان، وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله علي" [4]، ويبدو أنّه قصد بهذا معناها الذي وجده المبرّد مخالفاً للواقع التاريخي عن وهم أو جهل من الشّاعر، فقد جاء فيها أنّ عليا قتل عثمان رضي الله عنهما.

وذكر المبرّد تصحيح نُصيب لخطأ تاريخي وقع فيه الكميت عن جهلٍ منه، وكأنّ المبرّد

يوافق على التصحيح لأنه لم يعلّق بما يخالفه، وهذا ما ورد في البيت التّالي:

كأنّ الغُطامِطَ مِن غليها [5] أراجيزُ أسلَمَ تَهجـــــو غِفارا

فقال له نُصيب: " ما هَجَت أسلَمُ غِفاراً قط، فاستحيا الكميتُ فسكت!"[6]

كما طلب المبرّد أن يكون تصوير الشّاعر صحيحًا، فاستحسن صحة المعنى الوارد في أبيات الشاعر عمر بن أبي ربيعة واصفاً وجده بالمحبوبة كوجد الشّخص الظامئ للماء:

---

[1] الغرز: ركاب الرحل من جلد، يعتمد عليه في الركوب. انظر المعجم الوسيط، (غرز)

[2] انظر المرزباني، الموشّح، ص 176. تكملة النص : " هلا قلت كما قال الراعي :

ولا تعجل المرء قبل الورا ك وهي بركبته أبصر.

[3] قال المبرّد: كانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله.انظر المبرّد، الكامل، 916/2

[4] المصدر نفسه، 916/2

[5] الغطامِط: اضطراب الموج، من غليها يعني بها قدراً. شبّه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع. انظر المصدر نفسه، 691 /2.

[6] المصدر نفسه، 691/2

قـــال لي صاحِبي لِيَعلَمَ ما بي أتُحِبُّ القَتولَ أختَ الرّبـــاب ؟

قلتُ: وجدي بها كوجدِك بالما ء إذا ما مُنِعتَ بَردَ الشَّرابِ [1]

وذلك لأنه زاد:" إذا ما مُنِعتَ برد الشّراب" [2]. وقد صحّ المعنى عند الشّاعر بهذه الزيادة، لأنّ الماء البارد أحبّ إلى الإنسان عند عطشه وحرارته من كلّ شيء [3].

واعتنى المبرّد أن يكون تصوير الشّاعر ما يقبله العقل ولا يعترض عليه، فيكون موافقاً لما وقر في الطّباع واستقرّ في النفوس مما جرت به العادة وأقرّه العرف، لذا نراه ينقل في مؤلّفاته نقد الشّعراء بعضِهم بعضاً فيما ورد في أشعارهم من خطأ التّصوير البعيد عن المألوف، دون أن يعلّق عليه بما يخالف ما جاؤوا به، وكأنّه يشير إلى موافقته نقدهم، فقد كان المبرّد يرى ضرورة التزام الشّاعر بالعُرف الذي تفرضه البيئة في وصف المرأة؛ وهو المتداول بحكم التّقاليد؛ ليكون شعره صحيح المعنى مقبولاً، فنقل المبرّد ما عابوه من وصف الشّعراء للمرأة بالعصا، ووصفهم لها بأنّها من يبادر في التقرّب من الرجل فتغمزه ويتمنّع، والعرف يقول إنّها المطلوبة المتمنعة، وهذا ما سنفصّل القول فيه حين نتحدّث عن النسيب عند المبرّد.

ومع عناية المبرّد الواضحة بمقياس الصّحة إلاّ أنّه لا يتردّد في ذكر إجادة الشاعر وإبداعه، وإن جاء بمعنى غير صحيح من الناحية العلمية، فيذكر بيت امرئ القيس:

إذا ما الثُّرَيَّا في السَّماء تَعَرَّضت تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفَصَّلِ [4]

الذي أثار جدلاً بين النقاد، منهم من حمل ذلك على الغلط مثل ابن قتيبة الذي قال: " وقالوا الثريا لا تعرُّض لها وإنّما أراه أراد الجوزاء فذكر الثريا على الغلط ..."[5]،إلاّ أنّنا نجد المبرّد يكتفي بالحديث عن إجادة امرئ القيس في هذا البيت [6]، ولا يعير اهتمامًا للصّحة والخطأ، فيفتح للشّاعر المجال واسعاً للقول وإن كان بعيداً عن الحقيقة العلمية.

---

[1] المبرّد، الكامل، 788/2

[2] المصدر نفسه، 789/2

[3] انظر البغدادي، خزانة الأدب، 192/3

[4] انظر البيت ص 36 فيما سبق من البحث

[5] ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، ص46.

[6] انظرالمبرّد، الكامل، 923/2.

2- الدّين والخلق:

اختلف الناس في هذا المقياس، فرأى بعضهم ممّن سبق المبرّد وجوب تقيّد الشّعر بقواعد الخلق وما ينص عليه الدين، وأن لا يتناول الشاعر ما يخالفهما، وكان منهم عمر بن الخطّاب[1]، وعبد الملك بن مروان[2] وغيرهم، ممّن اتخذ هذا المقياس أساساً للشّعراء يقرضون الشعر على هداه، فذموا من الشعراء من خالف هذا المقياس، كما رأوا وجوب استقباح ما استحسنه هؤلاء الشعراء؛ لأنّهم حسنوا ركوب القبائح[3].

ورأى آخرون بعد المبرّد أنّ هذا المقياس لا دخل له في تقويم الشّعر، ولاحرج على الشّاعر أن يعبّر عمّا يحس به سواء أوافق الخلق أم خالفه، أأقرّه الدّين أم لم يقرّه، منهم الصولي الذي قال: "وما ظننت أنّ كفراً ينقص من شعر، ولا إيماناً يزيد فيه"[4]، وكذلك القاضي الجرجاني الذي قال:" لو كانت الديانة عاراً على الشّعر، وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخّر الشّاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدّت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهليّة ومن تشهد الأمّة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله وعاب من أصحابه بُكْماً خرسًا ... ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشّعر"[5].

فأين المبرّد من هذا ؟ لقد عرض المبرّد في كامله موقف الفقهاء من الشّعر، فمنهم من تذوّقه ومنهم من عدّه سفها، ونقل قصّة ابن عبّاس وموقفه من شعر عمر بن أبي ربيعة، وذلك حين أتاه ابن الأزرق فجعل يسأله حتّى أملّه، فجعل ابن عبّاس يظهر الضّجر، وظهر عمر بن أبي ربيعة، فقال له ابن عبّاس ألا تنشدنا شيئاً من شعرك فأنشده ما أوّله:

أمن آل نُعمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ[6]

حتّى أتمّ عمر قصيدته كلّها وهي ثمانون بيتاً، فقال ابن الأزرق لابن عباس: " لله أنت يا ابن عباس! أنضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الدين فتُعرض، ويأتيك غلامٌ من قريش فينشدك سفها

---

[1] انظر الأصفهاني، الأغاني، 356/4.

[2] انظر المرزباني، الموشّح، ص 203.

[3] انظر رسالة محمد بن القاسم الأنباري إلى ابن المعتز يحدّثه فيها عن شعر الحسن بن هانئ. انظر الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم، (ت:413 أو 453)، **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، ط:1، المطبعة الرحمانية، مصر ، د.ت.، ص 33.

[4] الصولي، أخبار أبي تمام، 172.

[5] القاضي الجرجاني، الوساطة، ص 58.

[6] انظر المبرّد، الكامل، 1152/3.

فتسمعه! فقال: تالله ما سمعت سفها ..."[1]. فالمبرّد نقل في هذه القصّة موقف رجلين معروفين [2]، هما ابن عبّاس الفقيه الذي بدا متسامحاً تجاه شعر ابن أبي ربيعة وما تضمنه من غزل، فلا يرى في غزل عمر سفها، فالأدب عنده كلام لا يدخل في العقيدة ولا يؤثّر فيها، فأباح للشّاعر أن يطرق الآفاق الفنيّة الواسعة دون تحرّج، كما عرض المبرّد موقف ابن الأزرق الذي بدا برما بالشّعر على الإطلاق، حدّ وصفه بالسّفاهة.

وفي موضع آخر نرى المبرّد ينقل موقف الخلفاء أحيانا من الشّعر، فهم يسلكون سلوك الفقهاء ليطمئنوا الناس وليؤكّدوا حبّهم للأخلاق والفضيلة، فيحدّثنا عن الحسن بن زيد [3] لمّا ولي المدينة، وموقفه من الشعر إذ رأى وجوب تقيّد الشّعر والشّعراء بالدين وقواعد الخلق، فقد قال لابن هرمة: "إنّي لستُ كمن باع لك دينَه رجاء مدحِكَ، أو خوفَ ذمّك، فقد أفادني الله عزّ وجل بولادة نبيّه المَمادِحَ، وجنّبني المَقابِحَ، وإنّ من حَقّه عليّ ألاّ أُغضِيَ على تقصيرٍ في حقّه، وأنا أقسِمَ بالله لئن أُتِيتُ بك سَكرانَ لأضربنَّك حدّاً للخَمر وحدّاً للسُّكر، ولأزيدَنَّ لموضع حُرمَتِك بي، فليكُن تركُكَ لها لله تُعَن عليه، ولا تَدَعها للناس فتوكَلَ إليهم"[4].

وكأنّ المبرّد يعرض موقف المجموعة الأولى، التي حرّرت الشّعراء من قيود الأخلاق والدين وموقف المجموعة الثّانية التي رأت وجوب تمسكّ الشعراء بالدّين والخلق. وأمّا المبرّد فقد عُني بالأبيات التي تحوي الحكمة، فكان له نبذ من أقوال الحكماء في مؤلّفاته، كما أولى عنايته بالأبيات الشّعريّة التي تدعو لمكارم الأخلاق من مروءة ونبل [5] وغيرها[6]، وعلى سبيل المثال نراه يذكر قول الشّاعر:

يا أيها المُتَحلّي غير شيمتِهِ إن التخلق يأتي دونَهُ الخُلُقُ [7]

وكأنّه في هذا يؤكّد وجوب العامل الخلقي في الشّعر، ولا يُنسى أنّه كان معلّماً ومؤدّباً [8]، فمن الطبيعيّ اهتمامه بغرس مكارم الأخلاق في نفوس تلامذته، ولا يُغفل أنه لغويّ يهتمّ بالدراسات

---

[1] انظر المبرّد، الكامل ، 1153/3.

[2] عبد الخالق، غسان إسماعيل، **الأخلاق في النقد العربي من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري** ، ط:1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص38.

[3] هو ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم. انظر المبرّد، الكامل، 315/1

[4] المصدر نفسه، 316/1

[5] انظر المصدر نفسه، 66/1

[6] انظر المصدر نفسه، 881/2

[7] المصدر نفسه، 25/1

[8] انظر إبراهيم، طه أحمد ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 112 .

اللغوية التي صدرت لخدمة القرآن الكريم ولغته، فكان في أغلب الأحيان حريصاً في اختياراته الشّعريّة، وقد قيل عن كتابه الكامل:" إنّه يحمل دستوراً أخلاقيّا ومبادئ قويمة كفيلة بأن تكون منهجاً للسلوك"[١].

وقد ظهر حرص المبرّد هذا على ضرورة أن يحمل الشّعر معنى أخلاقياً، من موافقته على ما عيب في قول الشّماخ (فاشرقي بدم الوتين) الوارد في البيت التّالي:

إذا بَلّغتِني وَحَمَلتِ رَحلِي عَرَابَةَ فاشرقِي بدَمِ الوَتِين [٢]

متناولاً إيّاه من جانبه الخلقي، فقد أراد الشّماخ مدح عرابة الأوسي، فقال إن أوصلته النّاقة لعرابة فهو لا يُبالي بهلاكها؛ وذلك لأنّ عرابة سيعوّضه عن رحلته الشّاقة، واستغناؤه عن ناقته يتضمّن إطراءً عظيماً لثقته بجود ممدوحه، ولكنّ عدم الاعتراف بفضل الناقة ليس من أخلاق العربيّ، فلم يكافئ الشاعر الناقة بل استغنى عنها ودعا عليها، فكان الشاعر في هذا بعيداً عن الخلق المنشود، لذا قال المبرّد: "وكان ينبغي أن يَنظُر لها مع استغنائه عنها "[٣]، وأكّد المبرّد هذا فيما نقله في نذر الأنصاريّة المأسورة بمكة، التي نجت على ناقة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فقالت:" يا رسول الله، إنّي نذرتُ إن نجوت عليها أن أنحرها"، فكانت مكافأته لها غير عادلة، فقال لها رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم: " لبئس ما جزيتها "، وقال: "لا نذر في معصيّة، ولا نذر للإنسان في غير مِلكِه ".

لم يكن المبرّد بعيداً عن ذوق عصره في نقده لما ورد في هذا البيت، فقد تعرّض قول الشّماخ للنّقد من قبل الشعراء[٤].

ومن جانب آخر لم يعب المبرّد قول عبد الله بن رواحة الأنصاري لمّا أمَّرَهُ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بعد زيد وجعفرٍ على جيش مؤتة:

---

[١] الخطيب، المبرّد ودراسة في كتابه الكامل، ص587

[٢] انظر البيت ص101 فيما سبق . اشرقي من الشّرَق بالتّحريك وهو الغصة. انظر المعجم الوسيط، (شرق) فصل القاف، 482/1. والوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان النقي الخارج من القلب، إذا انقطع مات صاحبه، انظر المصدر نفسه، (وتن).

[٣] المبرّد، الكامل168/1

[٤] المرزباني، الموشّح، ص68 و 69

إذا بَلَّــــــغتِنِي وحَــمَلْــتِ رَحلي مَسيرَةَ أربَعٍ بَعــدَ الحِساءِ [1]

فَـــــــــــشَأنَكِ فانعَمِي وَخَلاكِ ذَمٌّ وَلا أرجِع إلى أهلِي وَرائِي [2]

وذلك لأنّ عبد الله اعترف بفضل ناقته معَ استغنائه عنها، فقد طلب منها الذّهاب دون ذمٍّ يلحقها، فلا حاجة له بها، فهو يدعو الله أن لا يرجع لأهله، أي أن يموت شهيداً، ممّا يؤكّد اهتمام المبرّد بضرورة أن يحمل الشعر معنى أخلاقيا.

وحين يذكر المبرّد شعر الغزل فهو يختار العفيف والمحتشم منه[3]، ويتجنّب الحديث عن غزل المذكر[4]، وذلك مراعاة لقواعد الذوق والأخلاق.

كما لايجعل المبرّد **لعقيدة الشّاعر أثراً في الحكم عليه**، فينسى ما قد يكون في نفسه من أفكار عن الشّعراء؛ لئلا تسبق، فتؤثّر في الحكم على آثارهم وقدرها، وقد قال المبرِّد عن بشّار بن برد: وممّا لا يشكّ فيه، " إنّ بشّاراً كان يتعصّب للنّار على الأرض ويصوّب رأي إبليس – لعنه الله – في امتناعه من السّجود لآدم عليه السّلام... "[5]، ومع هذا نجد المبرّد لا يتعصّب فيرفض شعره، بل يستحسن تشبيهه الجامع[6]، كما ينسى المبرّد أي عصبية دينيّة، فيروي من شعر الأخطل ويستشهد ببيت له لشرح مفردة[7]، كما يستشهد ببيتٍ له لشرح معنى جاء في بيت لأبي نوّاس[8].

وإن كان المبرّد قد أظهر عنايته بوجوب التمسك بالأخلاق في الشّعر؛ إلا أنّ **احتكامه للمقياس الديني كان مضطرباً** فهو تارة لا يجعل حديث الشاعر عن سلوك يخالف الدّين أثراً في الحكم على شعره، فيستحسن أبياتاً نظمها أبو نواس في وصف الخمر، وقد وجد المبرّد معناها مبتكراً لم يسبقه إليها أحد[9]، كما يذكر شعراً يعترف فيه صاحبه بارتكاب منكر دون أن ينكره عليه إذ يقول الشّاعر:

---

[1] قال المبرّد: الحساء جمع حِسي ، وهو موضع رَملٍ تحته صَلابَة ، فإذا مطرت السماء على ذلك الرّمل نزل الماءُ ، فمَنَعَتهُ الصّلابة أن يَغيضَ ؛ ومنَع الرملُ السّمائم وهي الريح الحارّة أن تنشفه ، فإذا بُحِثَ ذلك الرّمل أصيب الماء . انظر الكامل، 168/1

[2] المصدر نفسه، 168/1

[3] انظر المصدر نفسه، 382/1

[4] انظر ص 180 فيما سيأتي من البحث

[5] المبرّد، الكامل، 1111/3

[6] انظر المصدر نفسه، 2/. 1053.

[7] انظرالمصدر نفسه، 1438/3

[8] انظر المصدر نفسه، 1049/3

[9] انظر المصدر نفسه، 1045/2

ألا تسأل المَكِيَّ ذا العِلمِ ما الذي يَحِلُّ من التقبيلِ في رَمَضان
فقـــال لِيَ المَكِيُّ : أمّا لِزوجَةٍ فسَــبعٌ وأمّا خُلَّةٍ فثَـــــمان [1]

ويذكر المبرد شعر امرئ القيس الذي يبيح فيه لنفسه شرب الخمر دون أن يعيبه:

حَـلَّت لــــــي الخمرُ وكُنتُ امرَأً عن شربها في شُغُلٍ شــاغِلِ
فاليَومَ أُســــــــقى غيرَ مُستَحقِبٍ إثماً مـــن الله ولا واغِـــل [2]

وتارة أخرى يظهر تحكيم المبرّد للمقياس الديني والأخلاقي وكأنّه رأى المعاني معروضة أمام الشّاعر يختار منها الشّريف أو الوضيع، فقسّم المعنى قسمين: جاداً شريفا دعا له، ووضيعاً تافهاً عابه، فنراه يلاحظ ما بين المعنى الجاد والمعنى التافه من فرق فيما نظمه الشعراء[3].

قال عن كلام أبي نواس التالي إنّه كلام خسيس:

إلـــــــــــى فتىً أمُّ ماله أبدا تسعى بجيب في الناس مشقوق

فيرفض المبرّد تكملة الأبيات لما تحمل من معنى وضيع باطل، حيث يقول فيها: "وفي آخرها ما جمع بين كفر ولحن، وأكره حكايته لضعته وبطلانه "[4].

وعدّ عجز بيت أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهليّ:

من ليس فيه إذا قاولته رهقٌ [5] وليس فيه إذا عاسرته عَسَرُ [6]

مدحاً شريفاً[7]؛ لما فيه من معنى شريف، لأنّه من مكارم الأخلاق، فالشّاعر يمتدحه فيقول إذا شددت عليه لا يشتدّ عليك بل يداريك، ويراه المبرّد مثل قولهم في المثل:(إذا عزّ أخوك فهُن)، أي إذا اشتّد عليك فلِن له وداره، وكان هذا المدح الشّريف مشروطاً عند المبرّد فقال: "وإنّما هذا فيمن لا يُخافُ استذلاله، وأن يخرُجَ صاحبُه عند مُساهلتِهِ إلى بابِ الذُّل، فأمّا من كان كذلك

---

[1] المبرّد، الكامل ، 374/1

[2] المصدر نفسه، 318/1. الواغل: الداخل على القوم يشربون ولم يُدع. فيقول: إنّه لا يشرب الخمر وقد حلت له فلا يأثم، ويكرّم نفسه عن أن يشرب الوغل. انظر امرأ القيس ، الديوان، ص122

[3] انظر سلوم، داود، النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف، ط:2، مكتبة الأندلس، بغداد، 1970م، ص95.

[4] المرزباني، الموشّح، ص 269

[5] رهق: إثم وكذب، انظر المعجم الوسيط (رهِق)

[6] المبرّد، الكامل، 1432/3

[7] انظرالمصدر نفسه، 1438/3

فمُعاسرتِهِ أحمدُ، ومُدافعتِه أمدَحُ"[1]، ويستشهد بقول جرير في المدح:

بشرٌ أبو مروان إن عاسرتَهُ عسِرٌ وعندَ يســـــارِهِ مَيسورُ [2]

و يبدو أنّ المبرّد رأى أنّ المعاني أوسع من أن تضيق بالشّاعر حتّى يلتجئ إلى التّهاون في تعظيم الله وتعظيم الرسل، لذا نجده ينكر قول أبي نواس:

يا أحمدُ المرتجى في كلّ نائبة قم سيّدي نعص جبّار السماوات [3]

وقال في ذلك: "لأنّ هذه أعظم جرأة وأقبح مجاهرة، وأشد تبغض إلى العزيز الجبار-عزّ وجل- أن يقول (نعص جبار السماوات)، فذكر المعصيّة مع ذكر الجبّار(عزّ اسمه)، وأنّه إياه يقصد بالعصيان"، وأردف المبرّد قائلاً: "وحدّثت عن أحمد بن أبي دُواد أنه ذكر هذا البيت، فتفزع له وجعل يقول لعنه الله لعنه الله "، فقال المبرّد: "أحسن ابن أبي دواد في لعنه إياه على هذا الكلام".

كما يصف المبرّد شعرا لأبي نواس في الأمين، وصفه بأنّه ساقط غير مقبول، وهو من الشّعر الذي اتّهم فيه؛ لأنّه قال قولاً عظيمًا لا يتكلّم بمثله مسلم، إذ يقول:

تنازع الأحمدان الشّبه فاشتبها خَلقا وخُلقا كما قدّ الشراكان

اثنان لا فصل للمعقول بينهما معناهما واحد والعدّة اثنان [4]

حيث شبّه أبو نواس محمد الأمين برسول الله في خلقه وخلقه.

كما نرى المبرّد ينأى عن الفاحش والبذيء من شعر الهجاء فيما يخصّ هجاء آل البيت، فيمسك عن نقل بعض أبيات كعب بن جُعَيل التي كتبها معاوية لعلي بن أبي طالب في هجائه السّياسي بينهما؛ لما تحمل من ذمّ بذيء لعلي- كرّم الله وجهه [5]، كما نرى موقفه هذا من النثر، فيذكر ما يجوز ذكره من رسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوي، ويمسك عن الباقي للسّبب ذاته[6]. فهو يرى أنّ:" الراويّة أحد الشاتمين"[7].

---

[1] المبرّد، الكامل، 1438/3

[2] المصدر نفسه ، 1439/3

[3] المرزباني، الموشّح، ص 269، و270

[4] المصدر نفسه، ص 269

[5] انظر المبرّد، الكامل، 424/1

[6] انظر المصدر نفسه، 1487/3

[7] المصدر نفسه، 1487/3

3- التناقض:

عاب البعض على الشّاعر أن يتناقض في شعره، فيعرض معنى يظهر الإيمان به، ثمّ يأتي بآخر يخالفه في الروح والاتجاه، أو يثبت للشيء وصفًا، ثمّ يعود فيصفه بضد الوصف الأوّل[1]، وهذا ما لم يظهر عند المبرّد فقد أورد المبرّد قولاً لسعيدُ بنُ سَلم حين عرض له أعرابي فمدحه بقول بليغ فقال:

ألا قل لِساري اللّيل: لا تَخش ضَلّة سعيدُ بنُ سَلمٍ ضوءُ كُلِّ بِلادِ
لـــــــنا سَيِّدٌ أربى على كُلِّ سيِّد جَوادٌ حَثا في وَجهِ كُلّ جَوادِ [2]

وعندما تأخّر سعيد عن برّه قليلاً هجاه بقول بليغ، يقول فيه:

لـــــــكُلِّ أخِي مَدحٍ ثوابٌ يُعِدُّهُ وليس لمَـــدحِ الباهِلِي ثَوابُ
مَدَحتُ ابـــــنَ سلمٍ والمَديحُ مَهزّةٌ فكان كصفوانٍ عليه تُرابُ [3]

ذكر المبرّد القول السابق دون أن يعيب تناقض الشاعر فيه، إذ مدح الشاعر سعيد بن سلم بجوده في العطايا، ثمّ ما لبث أن هجاه؛ حين تأخّر عن برّه، وكأنّ المبرّد بهذا لا يعدّ الشّاعر الذي يمدح الشّخص ثمّ يهجوه متناقضاً، فكان بهذا مثل قدامة بن جعفر الذي قال: " إنّ مناقضة الشّاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير منكر عليه ولا معيب من فعله إذا أحسن المدح أوالذم، بل ذلك عندي دليل قوة الشاعر في صناعته واقتداره"[4].

ولعلّ المبرّد يؤمن بأنّ الشّاعر غير ملزم أن يكون متّحد الخواطر والآراء في إنتاجه الأدبيّ، فقد تتغيّر دوافع الشّعر عنده فيكون مادحًا، ثمّ يصبح هجّاءً أوالعكس، فنقل قصّة هجاء بشر بن أبي خازم لأوس بن حارثة وأمّه سعدى، وكيف تحولّ هذا الهجاء إلى مدح بعد أن ردّ أوس عليه ماله وأعطاه وعفى عنه، فقد قالت له سعدى والدته:" لا يغسل هجاءه إلا مدحه"[5]،

---

[1] انظر بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي، ص412

[2] المبرّد، الكامل، 893/2

[3] المصدر نفسه، 893/2

[4] انظر قدامة بن جعفر،(ت: 337) نقد الشّعر، ط3، (تح/ كمال مصطفى)، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1978م، ص19و 20.

[5] المبرّد، الكامل، 303/1

فتغيّرت دوافع الشّاعر الهاجي بعد العطيّة، وأراد أن يشكر أوس وأمّه على ما قدّما من خير فقال: "لا جرم والله لا مدحتُ حتى أموت أحداً غيرَكَ"[1].

بيد أنّ المبرّد يعيب تناقض الشّاعر في القصيدة الواحدة، فيذكر التناقض الذي وقع فيه محمود بن مروان بن أبي حفصة في قوله:

لـــــــي حيلةٌ فيمن يذُمُّ وليس في الكذّاب حيلة
من كان يكذبُ ما يُريـــ ـدُ فحيـــــلتي فيه قليلة [2]

لأنّه قال (وليس في الكذّاب حيلة)، ثمّ ناقض قوله فقال(فحيلتي فيه قليلة)، فقد أظهر الشاعر معنى مقتنعًا به ثمّ ناقضه. فكان التناقض ظاهراً، ولا يحتاج إلى تنبيه على موضعه، ولا مخرج له أو عذر ، ويبدو أنّ هذا ما جعل المبرّد يذكره.

فتناقض الشّاعر في القصيدة نفسها غير مقبول عند المبرّد، إن كان واضحاً بيّناً لا مبرّر له أومخرج، وكأنّ المبرّد في هذا يدعو لأن تكون القصيدة منّسقة في معناها، فيكون الشّاعر فيها متحدّ المشاعر.

وإن كان تناقض الشاعر غير بيّن، أو كان لتناقضه مخرج، نجد المبرّد لا يعدّ الشاعر متناقضاً، وقد ظهر موقف المبرّد هذا من حكم أصدره في بيتين تلاحى بهما أبو نواس ومسلم، وعاب كل منهما بيت الآخر، لتناقضه فيه إذ قال مسلم:

"ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط، فقال أبو نواس: اذكر شيئاً من ذلك، فقال: بل أنشد أنت أيّ بيتٍ شئت، فأنشد أبو نواس:

ذكَرَ الصّبوحَ بسُحرَةٍ فارتاحا وأمَلّه ديكُ الصّباح صياحا

فعابه مسلم أنّه أمَلّه ديك الصّباح، وهو يبشره بالصّبوح، وهو الذي يرتاح إليه، وحين أنشد مسلم ابن الوليد:

عاصى الشّباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلّد

وجده أبو نواس متناقضاً فقد ذكر أنّه راح، والرّواح لا يكون إلاّ بالانتقال من مكان إلى مكان، ثمّ قال: وأقام، فجعله متنقلاً مقيماً في حال" [3]. أصدر المبرّد حكمه على البيتين قائلاً: "وكلا

---

[1] المبرّد، الكامل، 303/1

[2] المرزباني، الموشّح، ص350و351

[3] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر، 180/2

البيتين صحيح، ولكن من طلب عيباً وجده، ومن طلب له مخرجاً لم يفته "[1]. فلا يجد المبرّد أبا نواس متناقضاً في بيته، وأحسب هذا لأنّ الارتياح في قول الشاعر كان إلى شيء والملل كان من غيره، وكأنّ المبرّد وجد مخرجاً للشّاعر لذا لم يعدّه متناقضاً، وهذا ما كان في بيت مسلم، فالرّواح والإقامة في البيت مجازان، وقد يكون هذا مخرجًا للشاعر من هذا التناقض.

كما لم يجد المبرّد تناقضاً يشير إليه في بيتي عروة بن أذينة:

وقفوا ثلاث مِنىً بمنزل غِبطةٍ وَهُمُ على غرَضٍ هُنالِكَ ماهُمُ

مُتَجاورينَ بِغَيرِ دار إقامَـــــةٍ لو قد أجَدَّ تَفَرُّقٌ لم يَندَمـــــوا [2]

مع عيب بعضهم التناقض الذي وقع فيه الشاعر، فقالوا: كيف يكونون نازلين في دار غبطة، ثمّ لا يندمون إذا رحلوا عنها[3].

وقد تكون عدم إشارة المبرّد إلى تناقض الشاعر في هذا البيت؛ لأنّ التناقض غير واضح يحتاج إلى تنبيه، أو بسبب أنّه مبرّر، فهم لا يندمون وإن كانوا في دار غبطة؛ وذلك لأنهم يعودون إلى أوطانهم.

4- الصدق والكذب:

استأثرت قضية الصدق والكذب باهتمام النقاد، واختلف نقاد العرب في الحكم على الشّاعر إن خالف الواقع لا عن جهل أو وهم، ولكن عن قصد وتعمّد، فتحدّثوا عن الصّدق والكذب بمعناهما الأخلاقي، والذي يتضح بوصفهم الجواد بأنّه بخيل أو بوصفهم البخيل بأنّه جواد، فمنهم من أباحه للشّاعر ومنهم من فرض على الشّاعر التزام الواقع ونقل الحقيقة على حالها، فإن وصف إنساناً وصفه بما فيه دون تجاوز، فالبحث في قضية الكذب والصدق يتجه إلى إقامة الدليل على مدى مطابقة القول الشّعري للواقع أو حقيقة الحال.

نستطيع من النّظر في اختيارات المبرّد للأبيات الشّعرية ومن استحسانه أوعيبه لبعضها الكشف عن رؤيته في هذا الأمر، فقد أولى المبرّد عنايته بالصّدق الأخلاقي الذي يقوم على مطابقة الكلام للواقع، وخاصّة في شعر الرّثاء والمدح، فكان المبرّد يفضّل الشّعر الصّادق، ففضّل المبرّد قول أعشى باهلة في مرثيّته المنتشر بن وهب الباهلي، إذ كان جلّ ما فيه ممّا

---

[1] انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر، 180/2

[2] المبرّد، الكامل، 386/1

[3] انظر العسكري، الصناعتين، ص127

يمدح به، فيما كان به موصوفاً، فقد وصفه بصفات أجمع عليها العامة والخاصة [1]، كما عاب المبرّد الإفراط في شعر المدح وكأنّه يعيب عدم الصّدق فيه.

وسبق البيان أنّ المبرّد لا يجد التكسب من المدح مبرّراً لخروج الشاعرعن الواقع، وكان هذا في اختيار المبرّد لأبيات عمران بن حطان، التي قالها للفرزدق يدعوه فيها أن يكون صادقاً في المدح وأن لا يمدح الشّخص بما ليس فيه لغرض التكسّب، وهو ما يذكر لاحقا.

وقد تداخلت قضية المبالغة والغلو مع قضية الصّدق والكذب تداخلاً كبيرًا، واتّجه النقاد في البحث في مدى مفارقة القول الشعري للواقع حتى يخرج هذا القول من باب الممكن ويدخل باب المحال.

ولم يكتف المبرّد بالإشارة إلى ضرورة الصّدق في شعر المدح، بل تطرّق إلى خروج الشّعراء عن الصّدق عن طريق تجاوزهم في وصف الممدوح، فأورد المبرّد نقد عمر بن الخطّاب لمعنى عجز بيت للخنساء حين ترثي أخاها فتقول:

وإنّ صخرا لتأتمُّ الهُداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ [2]

فقال لها عمر: " أما رضيت أن تجعليه علماً حتّى جعلتِ في رأسه ناراً. ذاك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم"[3]، ويبدو أنّ المبرّد وافق على نقد عمر، وذلك لأنّ المبرّد لم يعترض على النقد الذي وجهّه عمر، وكأنّه رأى في مدحها أخيها تجاوزاً، وأنّ هذه الأوصاف مناسبة لرسول الله أكثر، فأردف المبرّد قائلا: " يريد البيان والدّلالة"؛ وأظنّه قصد أنّ هداية رسول الله هداية بيان ودلالة، أي بيان بالآيات المسموعة المتلوّة، وبيان بالآيات المشهودة المرئية، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله ...[4].

وتحدّث المبرّد عن خروج الشّعراء عن الصّدق بتجاوزهم الوصف، فعدّ إفراط الشّعراء في هذا خروجاً بالشّعر عن الواقع وقول الصّدق والحقيقة، فكان قول الشاعر يصف سرعة ابنه في العدو من التشبيه المفرط:

---

[1] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص24 .

[2] المصدر نفسه، ص 100

[3] المصدر نفسه ، ص101

[4] انظر المرتبة السادسة: مرتبة البيان العام. ابن قيم الجوزية،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر،(ت:751)، مدارج السالكين بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، طبعة جديدة منقحة، (تح/محمد بيومي)،مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1997م، 42/1.

كأنّهم يَسعون في إثرِ طائرِ خفيفِ المُشاشِ عظمُهُ غيرُ ذي نحضِ [1]

يبادِرُ جُنحَ اللّيلِ فهو مُهابِدٌ يَحُثُّ الجَـــــــناحَ بالتَّبَسُّطِ والقبضِ [2]

كما عدّ المبرّد قول الشّعراء للسخيّ: هو كالبحر، وللشّجاع: هو كالأسد، وللشّريف: سما حتى بلغ النجم من التّشبيه المفرط المتجاوز[3].

وحين أورد المبرّد مثالا لإفراط بعضهم في النحافة:

فلو أن ما أبقيــــت مني معلّق بعود ثمام ما تأود عودهـــــــــــــا [4]

نراه معقبّاً، فيقول: "وهذا متجاوز"[5].

وقد رأى المبرّد إفراط الشعراء وتجاوزهم في الوصف من الكذب، ونستطيع استنتاج هذا ممّا نقله المبرّد من قول امرأة عمران بن حِطّانَ السَّدوسيّ له – أي لعمران–، إذ قالت:" أما حَلَفتَ أنّك لا تكذِبُ في شعر؟ فقال لها: أو كانَ ذاك؟ قالت: نعم، قلت:

فـــــــــهناك مَجزأةُ بنُ ثو رٍ كـــــــــان أشجَعَ مـــــن أسامَه

أيكون رجل أشجَعُ من أسدٍ؟! فقال لها: ما رأيتُ أسداً فتح مدينة قطُّ، ومجزّأةُ بنُ ثورٍ قد فعل"[6].

فقد عدّت المرأة الشّاعر كاذبا في شعره؛ لتجاوزه في الوصف، إذ شبّه الرجل بالأسد، و كأنّ المبرّد وافقها على هذا، فلم نلحظ له تعليقاً يخالف ما جاءت به، وهو ما أشار إليه المبرّد سابقا من التّشبيه المفرط المتجاوز.

كما أورد المبرّد بيتًا لأبي الطمحان القينيّ في فخره بقومه:

أضاءت لهم أحسابُهُم ووجوهُهم دُجى اللّيلِ حتّى نظّمَ الجَزعَ ثاقِبُه [7]

وعدّه مثالا للتّشبيه المتجاوز، إذ يقول الشاعر أنّ أحسابهم ووجوههم تضيء لهم ظلمة الليل، حتى أنّ ثاقب العقيق ينظمه في عقده. وقد قيل في البيت نفسه عند غير المبرّد "هو أكذبُ بيت

---

[1] المشاش: العظم لا مخ فيه، أو ما برز من عظم المنكب. انظر المعجم الوسيط (مشّ)، نحض: لحم مكتنز. انظر المعجم الوسيط (نحض)

[2] المبرّد، الكامل، 2/945 . هبذ هبذا، أسرع في مشيتهاو طيرانه. انظر المعجم الوسيط (هبذ).

[3] انظر المبرّد، الكامل، 2/1032

[4] قال المبرّد : الثمام نبت ضعيف واحدته ثُمامة. المصدر نفسه، 1/385

[5] المصدر نفسه، 1/ 385

[6] المصدر نفسه ، 2/744

[7] المصدر نفسه، 2/1034

قيل"[1]، وورد البيت نفسه في الموشّح مثالاً للمعاني التي أغرق فيها الشعراء.

وقد عاب المبرّد إفراط الشّعراء، فعاب على أبي نواس قوله:

عُتّقت حــــــتى لو اتّصـــــــلت بلسانٍ ناطق، وفـــــــــــم
لاحتَبَت فــــــي القـــــــوم ماثلة ثم قصّت قصــــة الأمـــــم [2]

غير متردد في مخالفة رأي سائد فقال فيهما: " ويستجيده خلق كثير، وليس عندي بالمحمود لما فيه من الإفراط "[3].

ولم ير المبرّد الكذب في الشّعر مختصاً بشعر المحدثين، فنجده يتحدّث عن الإفراط في شعر القدماء كذلك، فتحدّث عن إفراط الحطيئة في قوله:

وإن نظـــــــرت يوما بمؤخرِ عينِها إلى عَلَمٍ بالغَور قالـــــت له ابعُدِ [4]

فيقول إذا نظرت إلى علم بالغور قالت له: ابعد، أي يهون عليها بعده لنشاطها.

وقوله:

بأرضٍ ترى فَرخَ الحُـــــــبارى كأنّه بها راكبٌ موفٍ على ظـــهر قردَدِ [5]

فيصف الشّاعر الأرض من شدّة استوائها ترى الصغير بها كبيراً[6].

و قوله في وصف ناقته:

وكادت على الأطواءِ أطواء ضارج تساقِطُني والرّحلَ[7] من صوتِ هُدهُدِ[8]

أي ترتاع من صوت الهدهد، فكادت تسقطه ورحله.

---

[1] انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/ 60.

[2] احتبى اشتمل بالثوب أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها- يقول أي الخمرة قديمة موغلة في القدم فلو كان لها لسان يحدث لجلست في القوم محتبية تقص عليهم تاريخ الأمم لأنها رأته وعاصرته.انظر أبا نواس، الديوان، ص488 .

[3] المرزباني، الموشّح، ص287

[4] المبرّد، الكامل، 2/1011.

[5] المصدر نفسه، 2/1011. الحبارى: طائر. الموفي: المشرف من مكان منخفض إلى مكان عالٍ، القردد: ما ارتفع من الأرض. انظر الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت:45هـ)، الديوان، ط:1، (شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تح/ نعمان أمين طه)، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1958م، ، ص154.

[6] انظر المصدر نفسه، ص154

[7] الأطواء: الآبار المطويّة،واحدها طوِيّ،وضارج موضع، تساقطني: أي تسقطني.انظر الحطيئة، الديوان، ص159.

[8] انظر المبرّد، الكامل، 2/1011

وقد ذكر المبرّد المبرد مصطلح الغلوّ دون أن يعرفه، ونستطيع القول أنّ قصده لم يخرج عمّا جاء به غيره من تعريف:" الغلو إنّما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له"[١].

وقد مال المبرّد إلى استخدام تعبيرات أخرى بمعنى الغلو مثل الإسراف، والخروج عن المقدار أو تجاوز الحدّ، فحين يذكر المبرّد قول الشّاعر بكر بن النطاح:

تمشي على الخزّ من تنعمها فتشتكي رجلُها مــن النّزف
لو مــر هارون في عساكره ما رفعت طرفها من السُّجُف

يعدّه إسرافًا وتجاوزًا وغلوًا وخروجًا عن المقدار[٢]، وكأنّ المبرّد عدّ الشّاعر مغاليًا في وصف تنعمّها، فهي تمشي على الحرير من تنعمّها فتشكو نزفاً في رجلها، كما أنّه وجده مغاليا في وصف حيائها فهي لا ترفع نظرها من الستر ولو مرّ الخليفة بجنوده.

وعدّ المبرّد الإحالة والغلو عند الشّعراء نوعًا من أنواع الكذب، فقد ذكر المبرّد قول مهلهل بن ربيعة:

فلولا الرّيح أسمِع من بِحَجرٍ صَليلَ البَيضِ تُقرَعُ بالذُّكورِ[٣]

وهو ما كان عند غيره مثالاً لوقوع القدماء في مثل هذا النّوع من أخطاء الغلوّ والإحالة[٤]، ذكره المبرّد في معرض حديثه عن الكذب في الشّعر[٥]، وأظنّه رأى فيه كذبا لاستحالة سماع أهل حجر صليل السّيوف حتّى لو هدأت الريح وسكنت، وسبب هذا كما قيل "لبعد المسافة بين موطنه في شمال الجزيرة العربيّة والموضع الذي يتحدّث عنه في وسط هذه الجزيرة "[٦].

ويمكن الاستنتاج ممّا سبق أنّ المبرّد يعيب الإفراط والإسراف والإحالة في قول الشّعراء، فإصابة الحقيقة في التّشبيه أوالمقاربة تجعله أحسن تشبيهًا[١] عند المبرّد، وأن يعدل

---

[١] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص214

[٢] انظر المرزباني، الموشّح، ص 298

[٣] المبرّد، الكامل، 2/740. حجر: قصبة اليمامة ، الصّليل : صوت الحديد هاهنا ، البيض : السيوف جمع أبيض . انظر الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 124.

[٤] انظر المرزباني، الموشّح، ص74

[٥] انظر المبرّد، الكامل، 2/740

[٦] مَوافي، عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النّقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، ط2، دار المعرفة الجامعيّة ، الاسكندريّة، 1984م، ص157 .

[١] انظر المبرّد، الكامل، 1/385.

الشّاعر في شعره عن الإفراط هو الغاية [1]. فهو يستجيد الشّعر الصحيح السليم من السّرف والذي يخلو من التخليط[2].

كما أنّ إعجاب المبرّد بشعر أبي نواس؛ لاتساعه في القول، وكثرة تفنّنه واتساع مذاهبه[3]، لم يمنعه من أن يضيق ببعض شعره لإفراطه فيه، فهو لا يرى قول أبي نواس في قدر الرقاشي، حلواً لإفراطه مع استطراف النّاس له كما قال، إذ يقول:

ودهماء تُرسيها رقاش، إذا شتت، مركّنةُ [4] الآذان أمّ عيـــــال

يغَصُّ بحيزوم [5] البعوضة صدرها وينضَجُ ما فيها بعــود خِلال

وتغلي بذكر النار من غير حرّها وتنزلها عفواً بغير جـــعال

هي القدرُ قدرُ الشّيخ بكر بن وائلٍ ربيع اليتامى عامَ كــلّ هُزال [6]

ويعيب المبرّد قول أبي نواس:

هارون ألفـــــــنا ائتلاف مودّة ماتت لها الأحقادُ والأضغانُ

حتى الذي في الرّحم لم يك صورة، لفؤاده مـــــن خوفه خفقان

لأنّ أبا نواس أحال في قوله وأسرف وتجاوز؛ فعلّق المبرّد: "وما لم يكن صورة، فكيف يكون له فؤاد؟"[7].

وقد قال المبرّد في بيت أبي نواس في الرّشيد إنّه ساقط[8]:

وأخـــــــفت أهل الشّرك حتّى إنّه لتخافُكَ النّطف التي لم تخلق [1]

وإن لم يذكر المبرّد سبب عيبه لهذا البيت، ولكن الظن أنّه رأى في هذا البيت إسرافًا

---

[1] انظر المرزباني، الموشّح ص243، و244

[2] انظر ابن المعتز، الطبقات، ص481 .

[3] انظر المبرّد، الكامل، 1040/2

[4] ودهماء: سوداء. مركنة: وردت مركبة في الديوان. انظر أبا نواس، الديوان ص479

[5] الحيزوم : جمع حزم ، انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء

[6] المرزباني، الموشّح، ص 287

[7] المصدر نفسه، ص269

[8] المصدر نفسه، ص320

[1] انظر البيت ص 41 فيما سبق من البحث.

وتجاوزًا وإحالة واضحة ذكرها غيره، فقيل:" يصف المخلوقين بصفة الخالق" [1]، فمبعث الغلو في هذا البيت هو المبالغة في وصف خوف المشركين من بطش الرشيد، فسرى في جميع نفوس الأحياء رجالاً ونساءً وشباناً، وتعدّاهم إلى النطف التي لم تخلق.

5-الوضوح والغموض:

قضيّة الوضوح والغموض في الشّعر والنثر قديمة، كانت أولى جذورها منذ نشوء الأدب في العصر الجاهلي، فقد كانت السّمة الغالبة على الأدب آنذاك الوضوح؛ لأنّ التّفكير العربيّ بعفويته يميل إلى الوضوح وينفر من الغموض، فالحياة البدويّة السّاذجة لها أثرها في طبع فكر البدوي بالبساطة والوضوح، فكان الأدب بعيداً عن التعقيد قريباً من الوضوح، فالحياة بسيطة يعيشها الشاعر في أحضان طبيعة مكشوفة [2]، وقد تبلور المذهب النقديّ الذي يرجح أنّ كفة الشعر الجاهلي تميل إلى الإضاءة والكشف والوضوح [3]، وثمة من رأى أنّ ظاهرة الغموض وليدة العصر العباسي [4]؛ وقد يكون ذلك لانتشار عوامل الانفتاح والتحضّر والثقافة والاختلاط مع الآخرين في ذلك العصر.

وقد اعتنى المبرّد بوضوح الشّعر، فاستحسن ألفاظ الشّعر البيّنة القريبة المُفهمة [5]، واستحسن المعنى الواضح [6]، ولذلك عاب المبرّد المعنى البعيد الذي وجده في قول الشّاعر:

ألم ترني عاهدت ربّي وإنّني لبَينَ رتاج قائماً ومقام

لأنّ هذا المعنى يحتاج إلى تفسير وشرح، ولا يتوانى المبرّد عن توضيحه فيقول: "(لبين رتاج) فالرّتاجُ : غلقُ الباب، ويقال: باب مرتَجٌ: أي مُغلقٌ، ويُقال: أُرتِجَ على فلان: أي أغلِقَ عليه الكلامُ [7].

وفضّل المبرّد بيتي أبي حيّة النّميري – وهما ما تداولهما النقاد وعلماء البلاغة من الجاحظ إلى

---

[1] المرزباني، الموشّح، ص260

[2] انظر القعود، عبد الرحمن، **الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم**، ط:1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 199م. ص 5و6.

[3] انظر العطوي، مسعد بن عيد، **الغموض في الشعر العربي**، مجلة جامعة الإمام محمد، ع2، السعودية. 1989، ص 208.

[4] انظر الآمدي، الموازنة، ص7

[5] انظر المبرّد، الكامل، 40/1

[6] انظر المصدر نفسه، 385/1

[7] انظر المصدر نفسه، 155/1

ضياء الدين بن الأثير[1]:

رمتني وستِرُ الله بيني وبينـــها عشيـــة آرام الكناس رَميمُ[2]

ألا ربّ يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنّضال قديم[3]

لوضوح المعنى فيهما، فشرح كيف أوصل أبو حيّة فكرته من غير تعمية أو إبهام، فكان كلامه مفهوماً لكلّ سامع عرف ظاهر كلام العرب، فقال: "رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها، ولو كُنتُ شابّاً لرَميتُ كما رُميتُ، وفتَنتُ كما فُتِنتُ، ولكن قد تَطاوَلَ عهدي بالشّباب"[4]، فقد رأى المبرّد في هذين البيتين وضوحاً؛ لخلوهما من التكلّف أي خلوهما من الفضول والزيادة التي لا حاجة للسامع بها[5]، فكان الكلام فيهما خاليًا من الاستعانة التي عرّفها المبرّد بعد أن ذكر مصطلحها، إذ قال:" أن يُدخِل في الكلام ما لا حاجة بالمُستمِع إليه؛ ليصحّحَ به نظماً أو وزناً إن كان في شعر، وليتذكّر به ما بعده إن كان في كلام منثور، كنحو ما تسمَعه في كثير من كلام العامّة قولهم: ألستَ تسمَع؟ أفهمتَ؟ أين أنتَ؟ وما أشبه هذا، وربّما تشاغل العَييُّ بفتل إصبَعه ومسِّ لحيَته، وغير ذلك من بدنه، وربَّما تنحنَح"[6].

فالكلام الذي يخلو من الزيادة والاستعانة هو الكلام الواضح في نظر المبرّد وهذا ما رآه في بيتي أبي حيّة.

كما وجد المبرّد وضوح الشّعر يكون في خلوّه من التعقيد وإن لم يصرّح بذلك، فيجد قول الشاعر:

تقول سليمى لو أقمت لسرّنا ولم تدر أنّي للـــــمقام أطوّفُ[7]

أبين من قول الآخر:

---

[1] انظر سلام، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص309

[2] " قوله : عشية آرام: أي عشية كنّا في هذا المكان "، وقيل في ستر الله : الإسلام ، وقيل فيه إنّه الشّيب ، وقيل ما حرّم الله عليهما " انظر المصدر نفسه، 44/1

[3] . انظر البيتين ص 76، فيما سبق

[4] المبرّد، الكامل، 44/1

[5] انظر رأي المبرّد في التكلّف ص 71 وما بعدها فيما سبق من البحث

[6] المبرّد، الكامل، 45/1

[7] المبرّد، البلاغة، ص 85.

سأطلُبُ بُعدَ الدّار منكم لتقربوا وتَسكُبُ عيناي الدّموع لتجمدا [1]

ويبدو أنّ سبب حكمه هذا لأن البيت الأوّل لا تعقيد فيه، ونستطيع فهم معناه دون جهد أو تعب، ولعلّه يقصد أنّ الحبيبة تطلب منه البقاء وهي لا تدري أن تنقله من أجل كسب المال ليتمكن من البقاء بقربها، بينما البيت الثاني الذي يقول المبرّد في شرح صدره: " أغترب فأكسب ما يطول به مقامي معكم وقربي منكم"[2]، ففي هذا البيت بعض التعقيد، وقد يكون سبب ذلك قول الشاعر (لتجمدا)، وهو ما جعل المعنى المراد غير واضح الدلالة للمعنى الأصلي، فكأنّ الشّاعر أراد أن يقول: أحزن اليوم لئلا أحزن غداً، وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا أبداً، ولكنّ جمود العين، أي خلوها من البكاء عند إرادة الشخص لا يكون كناية عن السّرور، وإنما هو كناية عن الحزن الشديد، وهذا المعنى مخالف للمعنى المراد، فقد بدأ الشاعر فدلّ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد فمن شأن البكاء أن يكون أمارة للحزن، ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه، فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله (لتجمدا)، وظن أن الجمود يبلغ له في إفادة المسرة والسلامة من الحزن، ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن، ونظر إلى أنّ الجمود خلوّ العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها [3]، وهذا ما عقّد المعنى وجعله غير واضح الدلالة.

لذا كان التعقيد من الأساليب غير المستحسنة عند المبرّد وغيره، فقال عنه بشر بن المعتمر قبله: " وإيّاك والتّوعّر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد، والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويَشين ألفاظك "[4]، كما قال العسكري بعده: " التّعقيد والإغلاق والتّقعير سواء، وهو استعمال الوحشي، وشدّة تعليق الكلام بعضه ببعض حتى يستبهم المعنى"[5].

وعاب المبرّد بيت الفرزدق المشهور:

وما مِثلُهُ في النّاس إلاّ مُملّكا أبو أمّه حَيٌّ أبوهُ يُقاربُه [6]

---

[1] انظر البيت ص 40 فيما سبق من البحث

[2] المبرّد، البلاغة، ص85

[3] انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص269

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 136

[5] العسكري، الصناعتين، ص56

[6] انظر البيت ص38 فيما سبق من البحث.

فيقول فيه:" ومن أقبح الضرورة وأهجن الألفاظ وأبعد المعاني"[1]، وهو ما مدح به خالُ هشام بن عبدِ المَلِكِ؛ فقال:" وما مثله في النّاس إلاّ مُمَلَّكاً " يعني بالمُمَلَّك هِشاماً، أبو أم ذلك المُمَلَّك أبو هذا الممدوح.

يوضّح المبرّد حكمه فيقول: "لو أنّ الشاعر وضع الكلام في موضعه لكان يقول: وما مثله في النّاس حيٌّ يُقاربه إلاّ مُمَلَّكٌ؛ أبو أمِّ هذا المُمَلّك أبو هذا الممدوح، فدلَّ على أنَّهُ خالهُ بهذا اللّفظ البعيد، وهجَّنَهُ بما أوقعَ فيهِ من التَّقديم والتّأخير". ولقد عاب المبرّد هذا البيت لألفاظه البعيدة والهجينة التي كان استخدامها أبعد الطرق في التعبيرعن المعنى، وكأنّ المبرّد في هذا يعيب التعقيد المعنوي الذي يأتي بسبب فساد المعنى وعدم الوصول للمعنى المقصود، والتعقيد اللفظي الذي ينشأ بسبب فساد اللفظ وما فيه من تقديم وتأخير يؤدي إلى خلل في النّظم، وهذا ما كان موجوداً في هذا البيت الذي ورد في معظم الكتب شاهداً على من أساء النّظم ولم يحسن التّأليف[2].

كما أنّ الكلام الواضح عند المبرّد هو ما يحمل المعنى المقصود، الذي وجده المبرّد في قصيدة ماوية بنت مرة امرأة كليب، وهي تشتكي ما بها من قتل أخيها زوجَها فقال: إنّ قصيدتها " محيطة بالمعنى المقصود "[3] وهي ما كان أوّلها :

يابنَة الأقوام إن شِئتِ فلا تَعجَلي باللّوم حتّى تسألي

ومع اعتناء المبرّد بالكلام الواضح، إلاّ أنّه يستحسن المعنى اللطيف في الشّعر، فنجده يفضل شعر ابن مناذر لمعانيه اللطيفة[4]، كما يستحسن استخراجات أبي تمام اللّطيفة[5]. فكيف

---

[1] المبرّد، الكامل، 42/1

[2] حيث قال ابن عبد ربّه في معناه: "ما مثل هذا الممدوح في النّاس إلا الخليفة الذي هو خاله، فقال: أبو أمّه حيٌّ أبوهُ يُقاربُه، فبعّد المعنى القريب، ووعّر الطّريق السّهل "ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 205/6. وهذا ما رآه ابن رشيق أيضاً الذي عاب بيت الفرزدق السابق لاستخدام الشاعر طريقاً بعيداً في التعبير عن المعنى إذ قال: أبو أمّه أبوه، بدل أن يقول: خاله. انظر ابن رشيق، العمدة، 199/2. كما قيل عن هذا البيت:" ففي هذا البيت من التقديم والتأخير ما قد أحال معناه وأفسد إعرابه لأن مقصوده وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمّه أبوه – يعني هشاماً لأنّ أبا أمّه أبو الممدوح " . ابن سنان، سر الفصاحة، ص105.

[3] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 291

[4] المبرّد، الكامل، 1427/3

[5] الصولي، أخبار أبي تمام، ص96

يستحسن المبرّد المعنى اللطيف؟ وهو ما جاء في لسان العرب ما غمض معناه وخفي [١]، إلاّ أن يكون قصد فيه معنى آخر.

وأغلب الظن أنّ المبرّد قصد بالمعنى اللطيف ما ورد عند ثعلب وهو الدلالة بالتعريض على التصريح[٢]، أو ما يدل على الإيماء الذي يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه [٣]، وقد كان هذا من أنواع الغموض المطلوب في الشّعر عند العرب، منه الإشارة والإيماء والتعريض والتلميح والإيجاز والتورية والكناية[٤]. فقد استحسن المبرّد ما وقع كالإيماء الذي وجده في قول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوتُ بنسجها وقضى عليك بِهِ الكتابُ المُنزَلُ[٥]

واعتنى بتأويله، وهو أن يردّ أحد المُحتملين إلى ما يُطابق الظاهر [٦]، وذلك دون أن يعيبه، كما فعل غيره ممّن رأى البيان أن يكون الكلام:"... غنيّاً عن التّأويل" [٧].فيوضحّ المبرّد الوجه الذي احتمله البيت قائلاً:" تأويل هذا أنّ بيت جرير في العرَب كالبيت الواهن الضّعيف" [٨]، فقال في قول الشاعر: (وقضى عليك به الكتاب المنزل) يريد قول الله تعالى:﴿ وإنّ أوهَنَ البيوت لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾[٩].

وقد كان المبرّد من أوائل من أطلق اصطلاح الإيماء [١٠]، واعتنى بذكر أهميّته، فيقول: "وقد يقع الايماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل: لمحة دالة"[١١].

فالإيماء مستحسن عند المبرّد وهو اللمحة الدالة، أي أداء المعنى من أقصر طريق،

---

[١] انظر ابن منظور، الافريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، باب الفاء، فصل اللام، (لطف).

[٢] انظر ثعلب، قواعد الشعر، ص43

[٣] المصدر نفسه، ص44

[٤] انظر غريّب، روز، النقد الجمالي وأثره، ص130.

[٥] المبرّد، الكامل،1/41 .

[٦] انظر فسر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ، باب الراء، فصل الفاء،

[٧] انظر الجاحظ، البيان والتبيين، 1/106

[٨] المبرّد، الكامل، 1/41

[٩] سورة العنكبوت: 41

[١٠] انظر سلام، داود، النقد العربي القديم بين الاستقراء والتّأليف، ط:2، ص 128، مكتبة الأندلس، بغداد،1970

[١١] المبرّد، الكامل، 1/40

وبألفاظ أقلّ، فأقرب الاختصار عند المبرّد لمحة دالة[1].

ولم يخرج هذا عمّا سماه قدامة بن جعفر الإشارة، وفسّر مميّزاته قائلاً:" أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها "[2]. كما لم يكن المبرّد منفرداً في استحسانه للإيماء، فقد استحسنه قدامة وعدّه صفة للقول البليغ[3]، وهذا ما كان عند القيرواني لاحقاً، فقد عدّ من يجيء به شاعراً مبرّزًا حاذقاً ماهراً[4].

وإن كان المبرّد يستحسن هذا النّوع من الغموض وهو ما كان في الكناية أو الإيماء الذي يثير تفكير السّامع، إلاّ أنّه اشترط أن يكون هذا الغموض قليلاً، لا يتعب المتلقي في فهمه؛ لذا استحسن المبرّد شعر مروان بن أبي حفصة – وهو الشّاعر المطبوع في نظر المبرّد – لأنّه قليل الإغماض[5]، كما نجد المبرّد يعيب التّشبيه البعيد الذي يحتاج إلى تفسير ولا يقوم بنفسه؛ وذلك لغموضه وعدم وضوحه للمتلقي، فقال عنه المبرّد وهو من أخشن الكلام [6]، وذلك لأنه يتعب السّامع في فهمه، يحتاج في إدراكه إلى تأمّل وإمعان نظر، فإذا سمع المستمع المشبه به لا يخطر بباله ذكر المشبّه لما بينهما من البعد، كما في البيت التّالي:

بل لو رأتني أختُ جيراننا إذا أنا في الدار كأنّي حمار [7]

الذي احتوى غموضاً لأنّ (الحمار) له معنى قريب هو البلادة والغباء، ومعنى بعيد أراده الشّاعر هنا هو الصّحة والاكتناز، فانصرف المعنى عن القريب إلى البعيد، فدخل المعنى في حيّز الغموض، فقد قال المبرّد في البيت: " أراد الصّحة، فهذا بعيد؛ لأنّ السّامع إنّما يستدل عليه بغيره"[8].

---

[1] المبرّد، الكامل، 884/2

[2] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 152

[3] انظر المصدر نفسه، ص 152

[4] انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه،304/1

[5] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 177

[6] انظر المبرّد، الكامل، 1032/2

[7] المصدر نفسه، 1036/2

[8] المصدر نفسه 1036/2

وذكر المبرّد المعنى الواضح في ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[1]، فالعلاقة واضحة بين حملة التوراة – غير واعين لما فيه وغير عاملين به– وبين الحمار الذي يحمل الكتب والأسفار؛ غير واعٍ لما بها .

كما اعتنى المبرّد بالمقاربة في التّشبيه، فأحسن التشبيه عنده ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة ونبّه فيه بفطنته على ما يخفى على غيره [2]، وهو ما أوضحه قدامة قائلاً: يجب أن "يكون التّشبيه إنما يقع بين شيئين، بينهما اشتراك في معان تعمّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها" [3]، فيكون أحسن التشبيه "ما وقع بين الشّيئين اشتراكهما في الصّفات أكثر من انفرادهما فيها" [4]، وهو ما أضاف إليه المرزوقي فيما بعد، فيقول: فيظهر وجه الشّبه بشكلٍ أوضح، فيكون المطلوب من التّشبيه أشهر صفات المشبّه به وأملكها له، فيدلّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس[5].

لذا استحسن المبرّد التشبيه القاصد الصّحيح الذي يقوم بنفسه، وهو ما كان في قول النابغة الذبيانيّ:

وعيد أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكِسٌ فالضّواجِعُ [6]

فبِـــتُّ كأنّي ساورتني ضَئِيلةٌ من الرّقش في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ [7]

فقد شبّه النابغة خوفه من النعمان وما يعتريه من لوعة إثر لوعة، فلا ينام إلا غرارًا، مثل المنهوش إذا ألحّ الوجع به تارة، وأمسك عنه تارة فلا ينام إلا غراراً كذلك[8].

وقد يكون الغموض القليل الموجود في الشّعر هو ما جعل المبرّد يفضّل الشّعر على

---

[1] سورة الجمعة: 5

[2] انظر المبرّد، الكامل،1/ 385، أو المرزباني، الموشّح، ص244

[3] قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، ص108

[4] المصدر نفسه، ص108

[5] المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، 1/ 9

[6] راكس: واد. انظر الحموي، معجم البلدان، باب الراء والألف وما يليهما، 17/3،و الضواجع: الهضاب، وهي موضع في قول النابغة، انظر المصدر نفسه، باب الضاد والواو وما يليهما، 527/3

[7] انظر البيتين ص 96 فيما سبق. ساورتني : وثبت عليّ ، والضّئيلة : الحيّة الدقيقة القليلة اللحم ، والرقش جمع رقشاء وهي المنقطة ، وناقع : ثابت عتيد كامن . انظر النابغة الذبياني، زياد بن عمرو بن معاوية، (ت:18 ق هـ)، الديوان، د.ط.، (تح/ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر،1976م،الديوان، ص164.

[8] انظر المبرّد، الكامل، 1035/2

النثر حين قارن بينهما، مع عدّه الثاني أكثر وضوحاً من الأوّل [1]، فوصف قول روح بن حاتم بن قبيصة إنّه مكشوف واضح [2]، وكان له ذلك حين سئل أحدهم عن سبب وقوفه على باب المنصور في الشّمس، فأجاب:" ليطول وقوفي في الظّل" [3].

وكأنّه وجد الكلام الذي يحوي بعض التعريض، مستحسناً أكثر من الكلام المكشوف، مع أنّه لم يعِب ذلك صراحة، كما فعل العسكري الذي عاب المكشوف من الكلام بقوله:" وما كان لفظه سهلاً ومعناه مكشوفاً بيّناً، فهو من جملة الرّديء المردود" [4].

وقد يكون ميل المبرّد للشّعر قليل الإغماض هو السبب في عدم ذكر المبرّد لأبيات ابن الرّومي في مؤلّفاته، وذلك لما يظهر فيها من أثر التّفكير والعلم، والذي يكدّ الفكر ويتعبه، مع مدح ابن الرّومي للمبرّد في قصيدة طويلة مكونة من ثمانية وتسعين بيتًا [5]. وقد يُعلّل البعض هذا؛ أنّه جاء متعمّدًا من ناسخ الكامل أبي الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الأصغر، بسبب هجاء ابن الرّومي له [6]، ولكنّ هذا الكلام مردود؛ لعدم وجود أشعار لابن الرّومي في باقي مؤلّفات المبرّد التي بين أيدينا. مثل "الفاضل" أو "التّعازي والمراثي" أو "كتاب البلاغة".

كما أنّ ثمّة سبباً آخر قد يخطر في بال بعض النقاد ويمكننا ردّه، وهو قولهم إنّ الهجاء الذي كان دائراً بين ابن الرّومي والبحتري [7]، هو السّبب في خلوّ مؤلفات المبرّد من ذكر ابن الرومي فقد رأوا أنّ المبرّد كان يتعصّب للبحتري، وقد أوضحنا سابقاً موضوعيّة المبرّد في الحكم على الشّعراء وعدم تعصبه لأحدهم على الآخر؛ لذا نخرج من كلّ هذا بأنّ السّبب الأوضح في عدم ذكر المبرّد لأشعار ابن الرّومي هو تأكيد رغبته في الشّعر الواضح قليل الإغماض، البعيد عن الغموض الذي يتعب الذّهن.

---

[1] انظر الموازنة بين الشعر والنثر ص 39 فيما سبق من البحث

[2] المبرّد، البلاغة، ص 86

[3] المصدر نفسه، ص 86

[4] العسكري، الصناعتين، ص79

[5] انظر ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، (ت: 283أو284)، **الديوان** ، ط:1 ، 2/751-757، (تح/ حسين نصار) ، دار الكتب، مصر، 1974

[6] انظر الزبيدي الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، ص115 ،انظر ابن الرومي، الديوان، 2/ 741-746 وانظر الثعالبي، النيسابوري، أبو منصور عبد الملك بن محمد،(ت: 429هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، ص407 ، وص486،(تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف،1965

[7] انظر العقاد، عباس محمود، **ابن الرومي حياته من شعره**، ص209، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، 1984، انظر ابن الرومي، الديوان،2/269-274

ب- الأغراض الشعريّة:

تناول المبرّد أغراض الشّعر فذكر عدداً منها، ولم يخرج عن الذّوق العام الذي كان يفضّل بعض الأغراض على غيرها مثل الرّثاء والوصف والمدح والنسيب والهجاء.

1- التعزية والرّثاء:

ظهرت عناية المبرّد بشعر الرّثاء من مختلف العصور في بداية كتابه "التّعازي والمراثي"[1]، الذي خصّصه لهذا الغرض، وقد علل المبرّد عنايته هذه فقال:" وقد قيل إنّه لم يقل في شيء قط، كما قيل في هذا الباب؛ لأنّ النّاس لا ينفكون من المصائب، ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه، ومن لم يعدم نفيساً، كان هو المعدوم دون النّفيس"[2].

وقال أيضاً: "وهو أكثر ما تكلّم فيه النّاس؛ لأنّه لم يعرَ أحدٌ من مصيبةٍ بحميم، ذلك قضاء الله على خلقه، فكلٌّ تكلّم إمّا متعزّياً وإمّا معزّياً، وإمّا متصبّراً محتسِباً " [3]. فالمبرّد يجد المراثي وأسبابها باقية مع الناس أبداً؛ لأنّ الفجائع لا تنقضي إلاّ بانقضاء المصائب، ولا يفنى ذلك إلاّ بفناء الأرض ومن عليها[4].

وفي رأي المبرّد يجب على الإنسان الصّبر على هذه النوائب؛ لأنّ الدّنيا دار فراق ودار بَوار، لا دار استواء، مع أنّ فراق المألوف حُرقة لا تُدفع، ولوعة لا تُرَدّ[5]؛ لذا دعا المبرّد لحسن العزاء وعرّفه قائلاً: "هو السّلوُّ وحسن الصّبر على المصائب" [6]، ويقول:" وتعزيتك الرّجل تسليتُك إيّاه"[7]. فخيرٌ من المُصيبة عند المبرّد " العوضُ منها، والرّضى بقضاء الله والتّسليم لأمره تَنَجُّزا[8] لما وَعَد من حُسن الثّواب وجعل للصّابرين من الصّلاة عليهم والرّحمة"[9].

والمبرّد يتحدّث عن اهتمام العرب في الجاهلية بحسن العزاء مع أنّهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً، وكان هذا بنقل المبرّد لقول أبي الحسن المدائني فيهم:" يتحاضّون على

---

[1] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 14

[2] المبرّد، الكامل، 1376/3

[3] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 4

[4] انظرالمصدر نفسه، ص 271

[5] انظر المبرّد، الكامل، 1376/3

[6] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 8

[7] المصدر نفسه، ص8

[8] تنجّز الوعد: طلب إنجازه. انظر المعجم الوسيط، (نجز).

[9] المبرّد، التعازي والمراثي، ص8

الصّبر، ويعرفون فضله، ويعيّرون بالجزع أهله، إيثاراً للحزم وتزيّناً بالحلم، وطلباً للمروءة، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء، حتّى إن كان الرّجل منهم ليفقد حميمه فلا يُعرَفُ ذلك فيه ".[1] ويؤكّد المبرّد ما جاء في قول المدائني قائلاً: " يُصدّق ذلك ما جاء في أشعارهم "[2]، فيتفاضل الناس عند المبرّد بحُسن العزاء، والرّغبة في الآخرة وجميل الذّكر[3].

فأحسن ما وجده المبرّد في حسن العزاء قول علي بن الحُسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام– حين مات ابنه فلم يُرَ منه جَزَع، فسئل عن ذلك فقال: هو "أمر كنّا نتوقعه، فلما وقع لم نُنكِره، وفي هذا زيادة تُنتَظَر، وفضل تسليمٍ لقضاء الله عزّ وجل"[4].

وأشعر ما قيل في هذا الباب في نظر المبرّد أبيات دريد بن الصِّمَّة في مرثيته أخيه عبد الله يمدح صبره وتجلّده في المصيبة:

قليـــــل التّشكّي للمُصيباتِ حافِظٌ مع اليومِ أدبارَ الأحاديثِ في غَدِ [5]
صَبَا ما صبَا حتَّى إذا شابَ رأسُهُ وَ أحدَثَ حِلماً قالَ للباطِلِ ابعُدِ [6]

ومع ما وجده المبرّد من اهتمام العرب بحسن العزاء إلاّ أنّه ذكر ظهور الجزع في بعض أشعار المراثي فقال:" ولكنّه باب للمراثي يجمعُ إفراطَ الجَزَع، وحُسنَ الاقتصاد، والميل إلى التّشكي والرّكون إلى التّعزي، وقول ما كان له واعظٌ من نفسه، أومذكّرٌ من ربّه ومن غلبت عليه الجَساوَة، وكان طبعه إلى القساوة فقد اختلط كلٌّ بكلّ"[7].

إذاً قدّم المبرّد صورتين متباينتين لمعالجة الشّعراء للرّثاء، فمنهم من كان متصبّراً محتسباً، ومنهم من أظهر الحزن وصوّره .

ومن الشّعراء الذين ذكرهم المبرّد، وقد أظهروا الصّبر والتجلّد أوس بن حجر في قوله:

أيّتُـــــــــها النّفسُ أجمِلِي جزعًا إنّ الذي تحذرِينَ قد وقـــــــعا [8]

---

[1] المبرّد، التعازي والمراثي، ص4
[2] المصدر نفسه، ص4
[3] انظر المبرّد، الكامل، 3/1376
[4] المصدر نفسه، 3/1399
[5] انظر البيت ص 87 فيما سبق
[6] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص5
[7] المبرّد، الكامل، 3/1380
[8] انظر البيت ص92 فيما سبق من البحث.

وقد أظهر المبرّد ثواب هذا التجلّد والصّبرعلى المصائب بذكره آياتٍ قرآنيّة وأقوالاً للصّحابة، تتحدّث كلّها عن فضل الصّابرين وقت الجزع.

وقد استحسن المبرّد قول أبي ذؤيب؛ لما فيه من تصبرّ وتجلّد:

وإنّي صبرّتُ النّفسَ بَعدَ ابن عنبس وقد لجَّ مِن ماءِ الشُّؤون[١] لَجوجُ

لأحسَبَ جَــــــــــلداً أو لِيُنبَأ شامِتٌ وَلِلشَّرِّ بَعــــد القارِعَاتِ فُروجُ[٢]

كما نجد المبرّد يتحدّث عن مظاهر الحزن والمبالغة في الجزع على الميت، فيذكر منها حلق النساء رؤوسهن ولطمهن خدودهنّ بالنعال[٣]، ويذكر المبرّد أشعاراً جزع فيها قائلوها، منها أبيات عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في أخيه عاصم بن عمر:

إن تك أحـــــــــزانٌ وفائضُ عَبرةٍ أثرنَ دماً من داخل الجوف مُنقَعا

تجـــــــرّعتها في عاصمٍ فاحتسبتُها لأعظَمُ منها ما احتسى وتَجرَّعا

فليــــــــــت المنايا كُنّ صادفنَ غيرَهُ فعِشنا جميعاً أو ذهبنَ بنا معا[٤]

ومع ما رأينا من دعوة المبرّد لحسن العزاء وضرورة التجلّد والصّبر في المصيبة، فهو لا يجد بأساً في إظهار الحزن الشّديد على المرثي، وتصوير ذلك إن كان المرثيّ ذا مكانةٍ في النفوس؛ وذلك لسمو هذا المرثي وعظمته، ولكون الرّزء عظيماً، فيقول المبرّد: "وهذا يحسُن من قائله لأنّ الرُّزءَ كان جليلاً بإجماعٍ، فللقائل أن يتفَسَّحَ في القولِ فيه"[٥]، لذا يفسح المبرّد القول لعبد العزيز[٦] في رثاء والده فيما كان منه:

بـــــــــموتِكَ يا عبدَ الرَّحيم بنَ جَعفَرٍ تَفاحَشَ صدعُ الدِّين عن ألأمِ الكسر

فواحــــــــزناً لو في الوغى كان موته بَكَينا علـــيه بالـــرُّدَينِيَّةِ السُّـــــمر

وكـــــنّا وقيناه القَـــــــــنا بنُحورنا وفاتَ كـــــذا في غير صَيَحٍ ولا نَفرِ[٧]

---

[١] ماء الشؤون: ج الشّأن وهو مجرى الدمع إلى العين.انظر المعجم الوسيط، (شأن).

[٢] المبرّد، التعازي والمراثي، ص6

[٣] انظر المبرّد، التعازي والمراثي ، ص 108 .

[٤] المصدر نفسه ، ص61

[٥] المبرّد، الكامل، 1380/3

[٦] قال المبرّد: عبد العزيز بن عبد الرّحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس. انظر المصدر نفسه، 1380/3

[٧] المبرّد، الكامل، 1381/3

وذلك لكون المرثيّ كما قال المبرّد: "من جِلّةِ أهلِهِ لَسَناً[١] ونِعمَةَ وسِناً[٢] وولاَيَة"[٣].

فقصيدة الرّثاء عند المبرّد وإن كان فيها التوجع الموجع، ففيها المدح البارع الذي يعلّل هذا التّوجع، لذا استحسن المبرّد من الرّثاء ما جمع مدحًا بتفجّع، واشتكاء بفضيلة "[٤]، لأنّه يجمع التّوجّع الموجع تفرّجاً، والمدح البارع اعتذاراً من إفراط التّفجع باستحقاق المرثي" [٥]، وهذا ما وجده المبرّد في قول الكنديّة في رثاء إخوتها، وهو ما أوّله:

أبَوا أن يَفِرّوا والقنَا في نُحـــــــورِهِم فماتوا وَ أطرافُ القَنا تَقطُرُ الدَّما [٦]

وقد رأى المبرّد أنّ الجاهليّين تقدّموا على غيرهم في شعر الرّثاء، فقال:" مراثي الجاهلية المشهورة المستحسنة المستجادة المقدمة معلومة موسومة" [٧]، وذكر قصائد من الشّعر الجاهلي قدّمها العرب وفضّلوها ورأوا قائلها فوق كلّ مُؤبِّن، وكأنّهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت، وفي كنفها تصلح[٨]، منها قصيدة أعشى باهلة[٩] يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي، وقصيدة كعب بنَ سعد الغَنَوي[١٠] يرثي فيها أخاه، ومراثي الخنساء[١١]، كما يذكر المبرّد منـــها أيضاً قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك، والتي قدّمها على كلّ قصائده لما فيها من حُرِّ الكلام وصادق المدح[١٢]:

---

[١] اللّسَن الفصاحة انظر حاشية الكامل 3/1380. وانظر المعجم الوسيط، (لسن)

[٢] سِنا: رفعة وقدر. انظر المصدر نفسه، (سنا)

[٣] المبرّد، الكامل 3/1380

[٤] انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص27

[٥] المصدر نفسه، ص 26

[٦] المبرّد، التعازي والمراثي ، ص 26

[٧] المصدرنفسه ، ص 13

[٨] انظر المبرّد، الكامل 3/1430

[٩] أعشى باهلة هوعامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان شاعر جاهلي انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص 14

[١٠] شاعر جاهلي. انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص13

[١١] انظر المصدر نفسه، ص14

[١٢] انظر المصدر نفسه، ص15

أقولُ وقد طارَ السَّنا في رِبابِهِ وغَيثٌ يَسُحُّ الماءَ حتَّـــــى تَرَيَّعا [1]

سقى اللّه أرضاً حلّها قبرُ مالِكٍ ذِهابَ الغَوادِي المُدجِناتِ فأمرَعَا [2]

ومع تأكيد المبرّد جودة شعر متمم كلّه إذ يقول: "إنّ سائر أشعاره غير مذموم"[3]، وكان رأي المبرّد هذا قريب من رأي ابن سلاّم الذي جعل متمم بن نويرة في مقدّمة أصحاب المراثي[4].

ومع أن متمم بن نويرة قال قصيدته هذه – التي قدّمها المبرّد على كلّ قصائده – في العصر الإسلامي، في رثاء أخيه مالك الذي توفي في حروب الردة، إلا أنّ المبرّد نسبها للرّثاء الجاهلي، فهو يذكرها في باب حديثه عن القصائد الجاهلية المُستحسنة المقدّمة، وكأنّ المبرّد هنا يحكم على متمّم وهو الشاعر المخضرم بأنّه شاعر من شعراء الجاهليّة، فهل في هذا إشارة من المبرّد إلى أنّ قوة الرّثاء الجاهلي استمرّت ولم تتغيّر بالإسلام؟

قد يُفهم من هذا أنّ شعراء الرّثاء عند المبرّد قسمان: شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام من قدماء ومحدثين[5]، فقد عدّ المبرّد رثاء الشعراء المخضرمين بقوة رثاء شعراء الجاهليّة، وجعلهم تابعين لمراثي الجاهلية؛ فحين يذكر مراثي كلّ من الخنساء ومتمم بن نويرة – وهما من الشعراء المخضرمين، ينسب هذه المراثي لمراثي الجاهليّة، ثمّ يقول: "ثمّ ننحطّ إلى شعر الإسلام من قديم ومحدث وما بينهما"[6].

ثمّ نجده يذكر رثاء الشعراء الأمويين، فيذكر رثاء الفرزدق لحدراء الشّيبانيّة زوج جرير في أبيات أوّلها:

يقولُ ابنُ صَفوانٍ بكيتَ ولم تَكُن على امرأةٍ عَينِي إخالُ لِتَدمَعَا [7]

ويذكر أيضاً رثاء جرير لامرأته، وهو ما كان أوّله:

---

[1] (طار السّنا في رِبابه) السّنا : الضّوء، والرّباب: سحاب دون السّحاب كالمتعلّق بما فوقه، يسّح: معناه يَصُبُّ، تريّع: كثُر حتّى جاء وذهب. انظر المبرّد، التعازي والمراثي، ص16

[2] المصدر نفسه، ص16. وقد قال المبرّد في الكامل: الذّهابُ : الأمطار اللّينة ، والمدجنات من السّحاب : السّود وهو مأخوذ من الدّجن والدُّجنة ومعناه إلباس الغيم وظلمته. فأمرعا: يقال أمرع الوادي: إذا أخصَبَ نبتاً. انظر المبرّد، الكامل، 3/ 1439.

[3] المبرّد، التعازي والمراثي، ص13

[4] انظر الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 203/1

[5] انظرالمبرّد، التعازي والمراثي، ص 14

[6] المصدر نفسه، ص 14

[7] المبرّد، الكامل، 1388/3

لولا الحـــــــــياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار [1]

ولا يغفل المبرّد عن ذكر رثاء المحدثين وإنصافهم، وهذا ما فصّلنا القول فيه.

شروط قصيدة الرثاء:

اشترط المبرّد للتّعزية الحسنة شروطاً فيقول: "**ومن أحسن التّعزيّة إبلاغٌ في إيجاز**"[2].

وأن يكون **من يرثي صادق المدح في رثائه**، **يختار من القول في المرثي ما تُجمع عليه العامّة، دون تكلّف أو تزيّد**، إذ يقول المبرّد في إسماعيل بن إسحاق الأزدي، وهو الرّجل الذي أنشأ المبرّد كتاب "التّعازي والمراثي" فيه ومن أجل وفاته:" نأمن أن يلحق وصفنا إيّاه تزيّدٌ أوتكلّف؛ لإجماع العامّة فيه على قول الخاصّة "[3]، وهذا ما استحسنه المبرّد في مرثيّة أعشى باهلة في المنتشر بن وهب:

ما يَغمِزُ السّاقَ مِن أينٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضّ على شُرسوفِهِ الصّفَرُ [4]

ماضي العَزيمِ على العِزّاءِ مُنصَلِتٌ بالقوم ليلةَ لا مـــــــاءٌ ولا شجرُ [5]

كأنّه عند صِدقِ القومِ أنفُسَـــــــهُم باليَأسِ تَلمَعُ من قدّامِـــــهِ البــشَرُ [6]

وذلك لأنّ: "جُلّ ما فيه ممّا يُمدح به فيما كان به موصوفاً "[7]، فلم يلحق قصيدته تزيّد أو تكلّف، وللسبب ذاته – أي لصدق المدح وعدم التزيد أوالتكلّف فيه – وجدنا المبرّد يفضّل قصيدة متمم بن نويرة في أخيه مالك، ويقدّمها على شعره كلّه، لما فيها من حُرّ الكلام فلا غاية للشاعر في مدحه، فجاء مدحه صادقاً لا تزيّد ولا تكلّف فيه[8].

وكان هذا ما استحسنه المبرّد من قصيدة لأخت عمرو ذي الكلب ترثيه فيها، وذلك لما " في هذه القصيدة من حُرّ الكلام وصادق المدح "[9]، فلم يكن في مدحها له غاية، فجاء مدحها له

---

[1] المبرد، الكامل، 1389/3

[2] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 10

[3] المصدر نفسه، ص 18

[4] الأين : الإعياء والتّعب ، والوصب : الجوع والمرض ، والشّرسوف: رأس الضّلع مما يلي البطن ، والصّفر: زعموا أنّه دودة تعضّ الضّلوع إذا جاع الإنسان . يصف المرثي بشدّة الخلق وصحّة البنيّة .انظر المصدر نفسه، ص24.

[5] العزاء : الشّدة والبأس ، والمنصلت: الماضي في الحوائج . انظرالمصدر نفسه، ص42

[6] انظر المبرّد، التّعازي والمراثي، ص24 و25. البُشر: جمع بشير مثل نذير ونُذر، يريد أنّه إذا فزع القوم وأيقنوا الهلاك فكأنّه من ثقته بنفسه قدّامه بشير يبشّره بالظّفر . انظرالمصدر نفسه، ص 24

[7] المصدر نفسه، ص 24

[8] انظر المصدر نفسه، ص15

[9] المبرّد، الفاضل، ص60

صادقاً وإن كانت وصفته " فأطنبت وعدّدت فضائله فأكثرت وذكرت عِظَم فقده، ومبلغ قدره في حياته، وانحطاط كل فخر وذكر بعد موته، وهذا لا يتعارض مع شرط عدم الزيادة وضرورة الإيجاز في قصيدة الرّثاء الذي ذكرنا؛ لأن الإطناب هنا يؤدي هدف الكلام، وهو تعداد فضائل المرثي الكثيرة، فالإكثار في الكلام حيث لا تغني فيه القلة [١]، فألفاظ قصيدة الرّثاء يجب أن لا يكون فيها عجز يقعد به عن بلوغ الحاجة، ولا إسراف في قوله وتمحّل يتجاوز به القدر [٢]، فالإكثار سرَف كما أنّ التقصير كالعجز [٣]، وهذا ما وجده المبرّد في رثاء أبي ناظرة السدوسي للبصرة وأهلها بكلام عربيّ فصيح، ينبئ أنّه كلام موجع يخرج عن نيّة صادقة، وهو ما كان أوّله:

منازلنا هل من إياب مؤمّلٍ إليك، إذا ما آبَ كلّ غريبِ [٤]

كما اشترط المبرّد في قصيدة الرّثاء أن **<u>يكون نظمها بكلام صحيح ولهجة معربة ونظم غير متفاوت</u>**، فهذا هو الغاية من الكلام عند المبرّد، وهو ما وجده المبرّد في قول الكندية في رثاء إخوتها الذي ذكر سابقاً [٥]. وهو قريب ممّا ذكره المبرّد في رثاء إبراهيم بن المهدي لابنه الذي أصيب بالبصرة، وهو واليها، والذي قال المبرّد فيه:" يستحقّ أن يبكي القلوب، ويستنزل الدّموع، لحسن لفظه، وصحّة معناه، وشرف قائله، وأنّه إذا سمع علم أنّه عن نيّة صادقة " [٦].

كما يمكننا القول **<u>إنّ المبرّد لا ينكر أن تبدأ قصيدة الرّثاء بالغزل</u>**، فكان بهذا مختلفاً عن بعض من جاء بعده، ممّن رفض أن تبدأ قصيدة الرّثاء بالغزل [٧]، فقد ذكر المبرّد أبياتا من مرثيّة دريد بن الصمّة في أخيه عبد الله، والتي ذكرناها سابقاً بعد أن نسب المبرّد القصيدة إلى عيون أشعار الجاهليّة [٨] دون أن ينكر بدء الشاعر لها بالنسيب:

ا رثَّ جديدُ الحبل من أم مَعبدِ بعاقبةٍ وأخلَفَت كلّ موعِدِ

---

[١] انظر المبرّد، الكامل، ص2/532

[٢] انظر التعازي والمراثي، ص282

[٣] انظر المصدر نفسه ص 271

[٤] انظر المصدر نفسه، ص 282

[٥] انظر ص 150 فيما سبق من البحث .

[٦] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 153

[٧] ابن رشيق، العمدة، 2/ 101

[٨] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 24

لم تكن أشعار المراثي هي ما استوقفت المبرّد حسب، بل استوقفه ما قيل في رثاء الميت من غير المنظوم فيقول: " وأشعار المراثي كثيرة، وإنّما نختار عيونا من جميعها ومن الشيء أحسنه، وكذلك الكلام غير الشّعر"[1]، وهذا ما وجده المبرّد في كلام ليلى الأخيلية في "توبة" بعد أن زارت قبره وسلّمت عليه فقالت: "ما كذبني قبلها، فقيل: فيم ذاك؟ وما تبيّنا منه كذباً. قالت لأنّه قال في بعض قوله:

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سـلّمت عليّ ودوني تربةٌ وصـــــــفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدىً من داخل القبر صائح"[2]

فقال المبرّد في كلامها:" وهذا الكلام غاية المدح، لا لأنّها جهلت حال الموتى؛ ولكنّها دلّت على أنّه لم تعرف منه كذبة قط حتّى يُعتّد عليه بها ميّتاً "[3].

أغراض أخرى في الرّثاء:

ذكر المبرد أنّ الرّثاء عند العرب لا يقتصر على **الأشخاص** حسب، بل رثوا مضي **أيام الشّباب** أيضاً، فأشار إلى قول يونس النّحوي في رثاء العرب للشّباب:" ما بكت العرب على شيء بكاءها على الشّباب"[4].

وذكر المبرّد رثاءهم **لغير الإنسان**، وكان هذا في رثاء السليك لفرسه، وهو ما كان أوّله:

كأنّ قـــــــــوائم النّحام لمّا تَحمّل صُحبتي أُصُلاً مَحـــــــارُ[5]

كما ذكر نوعاً جديداً للرّثاء عندهم وهو رثاء **المدن وأهلها**، وهذا ما كان في رثاء أبي ناظرة السدوسي للبصرة وأهلها بكلام وهو ما ذكر سابقاً[6].

2- الوصف:

الوصف من أغراض الشعر العربيّ التي برع فيها الشّعراء، وهو يحتاج إلى سعة خيالٍ، وقدرة على تصوير غير المحسوس لجعله صورًا حية للسامع، وكأنه يراه أمامه، وذلك عن طريق التّشبيه الصّريح أو الاستعارة.

---

[1] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 73

[2] المصدر نفسه، ص 78

[3] المصدر نفسه، ص 78

[4] المبرّد، الفاضل، ص 73

[5] المبرّد، الكامل، 970/2

[6] انظر ص 153 فيما سبق من البحث

عالج المبرّد فن الوصف، واعتنى بهذا الجانب مثل غيره من النقاد العرب، الذين وجدوا الكلام المشتمل على الخيال أشدّ تأثيراً في النفس من الكلام الذي يكون على الحقيقة [1]. فبه يظهر تفنن الشّعراء في ابتكار الاستعارات والتشبيهات.

فقد تحدّث المبرّد عن الاستعارة قائلاً: "والعرب تستعير من بعض لبعض" [2]، وقال في البيت التالي:

يا نُعمَها ليلةً حتّى تَخَوّنَها [3] داع دعا في فروع الصّبح شَحّاج [4]

" شحّاج إنّما هو استعارة في شدّة الصّوت وأصله للبغل" [5]، ويبدو أنّ المبرّد يدرك أنّ الشّاعر استعارها للصّبح لتعنى شدّة الصّوت.

و يتحدّث المبرّد عن المثل في غير موضع، وقصد به الاستعارة أوالمجاز، وهو الضّرب الثّالث من الكلام عنده، وهذا ما وضّحنا سابقا [6]، فيقول في اللفظ المتصل بالمعنى، فهو يجري على ضروب: "...منه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف" [7].

كما تحدّث عن التّشبيه، وأولاه عناية خاصّة، فهو جار كثير في كلام العرب [8]، ولم يكن التّشبيه عنده مجرّد صنعة لفظية أو ركن من أركان البديع حسب، بل نظر إليه بوصفه غرضاً من أغراض الشّعر [9]، وعدّه بابا من الأبواب، فقد قال المبرّد فيه: " والتّشبيه باب كأنّ لا آخر له، وإنّما ذكرنا منه شيئاً؛ لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني" [10].

فظهرت عنايته بالتشبيه بأن أفرد بابا مستقلاً له، جمع فيه نماذج شعرية في مختلف العصور، فأورد ما عرف العرب في كلامهم من ضروب التشبيه المختلفة، وما تعوّدوا أن يشبّهوا به من أشياء تقع تحت حسّهم من واقع حياتهم، وارتسمت في أذهانهم بمعان خاصّة،

---

[1] انظر ابن رشيق، العمدة، 268/1

[2] المبرّد، الكامل 371/1

[3] قال المبرّد: تَخَوّنَها: تنقصّها. انظر المصدر نفسه، 371/1.

[4] المصدر نفسه، 368 /1

[5] المصدر نفسه، 371 /1

[6] انظر ص81 وما بعدها. فيما سبق من البحث.

[7] المبرّد، الكامل، 855/2

[8] انظر المصدر نفسه، 996/2

[9] انظر صمّود، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ص367، ص368، منشورات الجامعة التونسيّة، تونس، 1981

[10] المبرّد، الكامل، 1057/2

ويبدأ بما جاء في شعر القدماء، ثمّ يتبعه بما استحسن في شعر المحدثين ، فقد رأى المبرِّد أنّ التّشبيه قديم عند العرب وهو من أكثر كلام الناس وعن أصل أخذوه[1].

وصنّف التّشبيه في أربعة أنواع وكان رائداً فيه، فيقول:" والعرب تشبّه على أربعة أضرب فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مُقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولايقوم بنفسه، وهو أخشن الكلام " [2]، كما نراه يفصّل في هذه النعوت، فكان عنده التّشبيه العجيب، والأعجب، والمعيب، والمستحسن، والحسن، والمستطرف، وغيرها من الأوصاف. وكأنّه أراد أن يوضّح كيف اعتمد الشعراء بشكل عام التشبيه أساسا لبناء صورهم.

وقد اعتنى المبرّد بقصد التّشبيه، فيقول:" وإنّما تقصد العرب من كلّ شيءٍ إلى شيء" [3]، ويوضّح ذلك قائلاً:"واعلم أنّ للتّشبيه حدّاً؛ لأنّ الأشياء تشابه من وجوهٍ وتباينُ من وجوهٍ، فإنّما يُنظر إلى التّشبيه من أين وقع، فإذا شُبِّه الوجهُ بالشّمس والقمر فإنّما يُرادُ بِهِ الضِّياءُ والرّونق، ولا يُرادُ به العِظَم والإحراقُ "[4].

ويقدّم لنا المبرّد أمثلة السّابقين لتشبيه المرأة، فقال عن قول ابن أبي ربيعة:

أبـــــــــصرتها ليلةً ونِسوتَها يَمشينَ بينَ المقامِ والحجرِ

يَرفُلنَ في الرِّطِ والمَروطِ كما تَمشي الهُوَينا سَواكِنُ البَقَرِ

"فهذه تشبيهاتٌ عربيّةٌ مفهومة"[5]؛ لأنّ الشّاعر شبّه مشيتها بمشية البقر، وهذا ما سنفصّل القول فيه في غرض الغزل.

وذكر المبرّد تشبيهاتهم الأخرى، فقال: " شبّهوا عين المرأة والرّجل بعين الظّبي أو البقرة الوحشيّة، والأنف بحدّ السّيف، والفم بالخاتم، والشّعَر بالعناقيد، والعنق بإبريق فضّة، والسّاق بالجُمَّارة[6]، فهذا كلام جارٍ على الألسن" [7]، وكأنّ المبرّد أشار إلى أنّ تشبيهاتهم الجارية على ألسنهم مستقاة من البيئة حولهم؛ لذا نجد المبرّد يولي عنايته بوصف الشعراء للبيئة حولهم، وهذا ما اشترك فيه القدماء والمحدثين من الشّعراء كما سنرى لاحقا، وأعطى أجمل الصّور

---

[1] انظر المبرّد، الكامل ، 1037/2
[2] المصدر نفسه ، 1032/2
[3] المصدر نفسه، 950/2 .
[4] المصدر نفسه، 948/2
[5] المصدر نفسه، 2/ 952
[6] الجمّار: قلب النّخل، واحدته: جُمّارة. انظر المعجم الوسيط، (جمر).
[7] المبرّد، الكامل، 1037/2

الشعريّة التي تحدثت عن علاقة العربيّ بناقته، وذلك للعلاقة الوطيدة بينهما، فهو يركبها في أسفاره ويعتمدها في غذائه وملبسه، لذا وصفوا سيرها وحركتها، فيقول في هذا: "من التّشبيه المطرّد على ألسنتهم ما ذكروا في سير النّاقة وحركة قوائمها"[1] مستشهداً بقول الرّاجز:

كأنّها ليلة غِبِّ الأزرَقِ وقد مَدَدنا باعَها للسُّوَّقِ [2]

خرقاءُ [3] بين السُّلَّمَين تَرتَقِي

وذكر بيتين لامرئ القيس يصف حركتها فيقول:

كأنّ الحصى من خلفها وأمامها إذا نَجَلَته رجلُها خَذفُ أعسرا

كـــــأنّ صليل المَرو حينَ تُشِدُّه صليلُ زُيوفٍ يُنتَقَدنَ بعبقرا [4]

فهي إذا سارت فرّقت الحصى إلى كلّ جهة لشدّة سيرها؛ وشبّه فعلها ذلك برمي الأعسر، وهو الذي يرمي بيده اليسرى؛ وخصّه لأنّ رميه لا يذهب مستقيماً؛ وكذلك الحصى إذا رمت الناقة به[5]، فخذفُ الأعسَر يذهبُ على غير قصدٍ[6].

وشبّه صوت الحجارة، إذا رمت الناقة بها ووقع بعضها على بعض، بصوت الدراهم الرديئة إذا انتقدها الصّيرفيّ وقلّبها، وخصّها لأنّ صوتها أشدّ من صوت غيرها لكثرة نحاسها[7].

كما اعتنى المبرّد بإظهار دقة التّصوير الحركي في وصفهم للنّاقة وهذا ما كان في قول الشّماخ:

كـــــأنّ ذراعَيها ذراعا مُدِلّةٍ بُعيدَ السِّبابِ حاولَت أن تَعَـــــذّرا

---

[1] المبرّد، الكامل 2/ 1005

[2] يقول المبرّد : قوله (ليلة غِبِّ الأزرق) فإنّما يعني موضعاً ، وأحسبه ماء ، لأنّهم يقولون (نطفة زرقاء) وهي الصافية (وقد مددنا باعها للسُّوَّق) يقول استفرغنا ما عندها في السّير ، تبوّعت وانباعت إذا مدّت باعها. انظر المصدر نفسه، 2/1005

[3] يقول المبرّد : (خرقاء بين السّلّمين ترتقي) لكثرة حركة الخرقاء وقلّة حِذقها بالصّعود . انظر المصدر نفسه، 2/1006

[4] المصدر نفسه، 2/1009.

نجلته : مزّقته ورمت به ، والخذف الرّمي بالحصى ونحوها . والصليل:/ الصّوت، والمرو: الحجارة ، وتطيره: تفرّقه، والزيوف جمع زائف وهي الرّديئة، وعبقر: موضع باليمن، وكانت دراهمه زيوفا. انظر امرأ القيس، الديوان، ص 64

[5] انظر المصدر نفسه، ص 64.

[6] انظر المصدرنفسه، 2/1009

[7] انظر امرأ القيس، الديوان، ص 64

فيقول:" شبّه يديها بيدي مُدِلّةٍ بجمالٍ ومنصِبٍ قد سابَّت وأقبلت تعتذرُ، وتُشيرُ بيديها فوصف جمالَها الذي به تُدِلُّ، ومَنصِبَها المتصلَ بمن ذكرَتهُ ".[1]

وبلغ من عناية المبرّد بوصفهم للناقة أن ذكر أحسن أوصاف الشّعراء للنّاقة وهو ما وجده في قول الشّاعر:

إذا حُطَّ عنها الرّحلُ ألقَت برأسِها إلى شَذَبِ العيدان أو صَفَنَت تَمري [2]

وذكر كذلك أبلغ ما قيل في وصف الشّعراء الناقة، وهو ما وجده في قول الشّاعر:

كـــأنَّ ذِراعيها ذراعـــاً بَذِيَّـــةٍ مُفَجَّعةٍ لاقت خَلائِلَ عـــن عُـفر [3]
سَمِعنَ لها واستَفرَغَت في حَديثِها فلا شيءَ يَفري[4] باليدَين كما تَفري[5]

ثمّ إنّ المبرّد يهتمّ بتفسير هذه الأبيات فيقول:" وصفها بأنّها بذيّة[6]، وقد فُجِعت بما أسمِعَت ونيلَ مِنها، ولقيَت خلائِلها بعدَ زمانٍ، وتلك الشّكوى كامنةٌ فيها، وأصغَين إليها يَتَسَمَّعن"[7]، فجعلت تحدّث وتحرّك يديها في حديثها، فلا تكاد تسكنهما[8].

كما نقل المبرّد ما وجده من التّشبيه العجيب في وصف الشّعراء النّاقة، وهو ما جاء في قول الشماخ:

فقَرَّبتُ مُبراةً تَخالُ ضُلوعَها من الماسِخِيّاتِ[9] القِسِيِّ المُوَتَّرا[10]

---

[1] المبرّد، الكامل، 2/1006. قال سيد بن علي المرصفي: " شبّه سرعة ذراعي ناقته في السّير بذراعي هذه المرأة المغضبة تقضبهما وتبسطهما وهي تدافع عن نفسها. " المرصفي، رغبة الآمل، 6/250.

[2] المبرّد، الكامل، 2/721. شَذَب العيدان : ما تفرّق منها يريد عيدان الرحل المتفرّقة ، وصفَنَت : قامت على ثلاث قوائم وطرف الرّابعة . انظر المرصفي، رغبة الآمل، 5 /158

[3] العفر طول العهد . انظر المرصفي، رغبة الآمل، 6/ 253

[4] يقول المبرّد: والفري الشّقّ. انظر المبرّد، الكامل، 2/1008

[5] المصدر نفسه، 2/1008

[6] البَذي: الرجل الفاحش، البَذاء: الكلام القبيح. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الباء

[7] المبرّد، الكامل، 2/1009

[8] انظر العسكري، ديوان المعاني، 2/125

[9] قال المبرّد الماسخة: من بني نصر بن الأزد وإليهم تُنسب القسيّ الماسِخيّة .انظر الكامل، 2/935

[10] المصدر نفسه، 2/934

لم يعلّق المبرّد على هذا البيت، ولم يشرح وجه العجب فيه، وأحسبه وجده عجيباً؛ لأنّ الشاعر شبّه أضلاع النّاقة وبري السير إياها بالقسي الموترة، من قبل اجتماع الأضلاع والقسي الموترة في الشكل بالأعصاب والأوتار، وهو ما استحسنه قدامة في البيت ذاته[١].

ولم تكن عناية المبرّد بوصف الشّعراء للنّاقة حسب، بل اهتمّ بكلّ ما وصفوه في بيئتهم فذكر إجادة علقمة بن عبدة في وصف الماء الآجن[٢]، إذ يقول:

إذا وَرَدَت ماءً كَأنّ جِمامَهُ مِن الأجنِ حِنّاءٌ معاً وصَبيبُ[٣] [٤]

فقد وصف الماء المتغيّر لبعد عهده بالواردة، أي الذين يردون الماء ويأتونه إذا كان في فلاة نائية عن الأنيس[٥]، وكأنّ تجمعه غيّر طعمه ولونه ورائحته، فهو مثل الحناء والصبيب.

كما ذكر المبرّد قول النابغة الجعدي في وصف الخيل:

ويَصـــــــهلُ في مِثل جَوفِ الطَّويِّ صَهيلاً يُبَيِّنُ للمُـــــــــــــعربِ [٦]

أي إذا سمع صهيل من له خيل عِراب، عرف أنّه عربي ليس فيه عرق هجين[٧].

كما نقل لنا المبرّد التشبيه المصيب في قول الحطيئة في صفة روضة[٨]:

قرحـــــــــاءُ حوّاءُ[٩] أشراطيّةٌ[١٠] وَكَفَت فيها الذّهابُ وَحَفَّتـــــها البَـــراعيمُ [١١]

---

[١] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص111، و112

[٢] الماء الآجن المتغيّر الطّعم واللّون. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب النون، فصل الهمزة.

[٣] رواية الديوان فأوردتها ماء. انظر علقمة بن عبدة الفحل،(ت:20ق هــ)، **الديوان**، ط:1، (تح/ لطفي الصقال ودريّة الخطيب)، دار الكتاب العربي/ حلب، 1969م، ص 42.

[٤] المبرّد، الكامل، 2/925 . جمامه: تجمعه، انظر المعجم الوسيط، (جمم). الأجن: أجَنَ الماء أجناً أي تغيّر طعمه ولونه ورائحته. المصدر نفسه، (أجن).. الصبيب: شجر يكون بالحجاز يختضب به. انظر علقمة الفحل، الديوان، ص42.

[٥] انظر المصدر نفسه، ص42.

[٦] المبرّد، الكامل، 2/941، قال المبرّد: المُعرِبُ العالِمُ بالخيل العِرابِ

[٧] انظر الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني،(ت: 1205هــ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، د.ط.، (تح/ عبد الكريم الغرباوي)، مطبعة الكويت، 1967، 3/336.

[٨] المبرّد، الكامل، 2/926

[٩] قال المبرّد : قرحاء يريدُ الأنوار، وقوله: حوّاء تضربُ إلى السّواد لشدّة ريِّها وخُضرتِها . انظر الكامل، 2/926

[١٠] قال المبرّد أشراطيّة: مُطِرت بنوء الشّرَطَين. انظر المصدر نفسه، 2/926. وهو مثنى شرط بالتحريك وهما من الحمل قرناه. انظر المرصفي، رغبة الآمل، 6/151.

[١١] الذّهاب:الأمطار اللينة الدائمة، وهي أنجع المطر في النّبت، البراعيم: واحدها بُرعومة وهي أكِمّة الرّوض قبل أن تنفتق. انظر المبرّد، الكامل، 2/928.

فقد وصف الشاعر الروضة وكأن في وسطها نور أبيض، وتضرب إلى السواد لشدة ريّها.

وقد استحسن التشبيه الجامع المصيب في بيت لامرئ القيس:

كأنّ قلوبَ الطّير رَطباً ويابسا لدَى وَكرها العُنّابُ والحَشَفُ البالِي [١]

وهذا ما استحسنه آخرون بعده، وعدّوه من التشبيه المختار المقصود [٢]، وذلك لأنّ الشاعر جمع فيه تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، إذ يقول كأنّ الرطب من قلوب الطير وما جاءت به العقاب حديثاً العنّاب، وكأنّ ما يبس منها وقدم الحشف، وهوالبالي من التّمر ورديئه، فتقدير البيت: كأنّ قلوب الطير رطبة كالعنّاب، وكأنّها يابسة كالحشف البالي [٣].

لم تكن عناية المبرّد بالوصف عند الشّعراء الجاهليين حسب، بل تناول الوصف عند الشّعراء الإسلاميين والمحدثين، فتحدّث عن حلو تشبيهاتهم وقربها، وذلك في وصفهم البيئة حولهم، وكأنّه أراد أن يشير إلى جديدهم في صياغة المعاني القديمة.

فنقل وصف ذي الرمة للصّحراء:

ورملٍ كأوراكِ العَذارى قَطَعتُهُ وقد جلّلتهُ المُظلِماتُ الحَنادِسُ [٤]

وعدّه "من حلو التشبيهِ وقريبه، وصريح الكلام وبليغه" [٥].

كما تحدّث عن عجيب تشبيهاتهم، وهو ما جاء في وصف ذي الرمة الظليم [٦]:

شَـــختُ الجُزارةِ [٧] مثلُ البيتِ سائِرُهُ مِن المُسوحِ خِدَبٌّ شَوقَبٌ خَشِبُ [٨]

فقد وصف ظليماً شختَ الجزارةِ، أي دقيق القوائم مثل البيت من الشعر وسائره، ضَخم، وطويل وغليظ خشن.

---

[١] المبرّد،الكامل، 922/2

[٢] انظر ابن سنان، سر الفصاحة، ص236

[٣] انظر امرأ القيس، الديوان، ص38

[٤] قال المبرّد الحِندِس : الشّديد الظّلمة. انظر الكامل، 1013/2

[٥] المصدر نفسه، 1013/2

[٦] الظليم : الذكر من النّعام ج: ظلمان. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الميم، فصل الظاء

[٧] قال المبرّد : الشّختُ الضّئيل اليابسُ الضّعيف والجَزارَةُ القوائم. انظر الكامل،926/2

[٨] قال المبرّد قوله : " البيت سائره من المسوح يعني: " إذا مدّ جناحيه .الخِدّب: الضّخم والشّوقب: الطّويل والخَشِب: الذي ليس بليّن. انظر المصدر نفسه، 926/2

واستحسن المبرّد ما جاء في أشعارهم في صفة الضلوع واشتباكها، كقول الرّاعي:

وكـــــــأنّما انتطحت على أثباجِها[1] فُدُرٌ[2] بِشابَةَ[3] قد تَمَمْنَ وُعولا[4]

واستحسن كذلك الوصف المصيب لذي الرّمة في امرأة حسناء في بيته:

بيضاءُ في دَعَجٍ صفراءُ في نَعَجٍ[5] كَأنَّها فِضّةٌ قد مسَّها ذهَبُ[6]

فقد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب، فهي بيضاء بالنسبة لسواد عينيها، صفراء في النهار، وقد عدّ المبرّد هذا من التشبيه المصيب، وأظن ذلك لأنّهم استحسنوا في المرأة أن تكون بلون الشمس[7].

وبعد أن ذكر المبرّد الأوصاف التقليديّة التي برع الشعراء فيها من جاهليين وإسلاميين، كانت له عناية بالأوصاف التي جدّد فيها المحدثون، الذين رأوا في بيئتهم ما لم يرَه القدماء فوصفوه، مثل وصف أبي نواس للسّفينة:

بُـــــــنِيتْ علــــى قدَرٍ ولاءَم بينَها طَبَقانِ من قيرٍ ومن ألـــــــواحِ
فـــــــكأنَّها والمــــــاءُ يَنطِحُ صَدرَها والخيزرانةُ في يدِ المَــــــلاّحِ
جَـــــونٌ مـــن العِقبانِ يَبتدِرُ الدُّجى يَهوي بصوتٍ واصطِفاقِ جَناحِ[8]

كما تحدّث المبرّد عن تجديد أبي نواس في وصف الخمر، والمعاني المبتدعة التي أوجدها[9].

3- المدح:

أولى المبرّد عنايته بهذا الغرض الشّعري؛ فوضّح رغبة الناس في المدح على ما يقدّمون من الخير، وصنّفهم: فمنهم من لا يرغب أن يكون المدح في وجوههم، ومنهم من يرغب في هذا،

---

[1] أثباجها : معظم الظّهر وفيه محاني الضلوع . انظر المرصفي، رغبة الأمل، 6 /161

[2] قال المبرّد : الفادر المُسنّ من الوُعول. انظر الكامل، 2/935

[3] شابة: جبل بنجد أو بالحجاز . انظر المرصفي، رغبة الأمل، 6 /161

[4] المبرّد، الكامل، 2/935 .

[5] يقال الدعج، سواد العين. انظر المعجم الوسيط، (دعج).. والنعج البياض. انظر المعجم الوسيط، (نعج).

[6] المبرّد، الكامل، 2/934

[7] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 7/109.

[8] المبرّد، الكامل، 2/1048

[9] انظر المصدر نفسه، 2/1045

فيقول المبرّد:" كان النّاس يحبّون أن يُحمدوا على ما أولوا، وأن يُظهروا الشّكر لهم على ما قدّموا، وأن يكون ذلك في غير وجوههم"[١]، وذكر في ذلك قصة هشام بن عبد الملك مع أعرابيّ دخل عليه فأثنى عليه، فقال هشام له:" إنّا لا نحبّ أن نُمدح في وجوهنا، قال: لست أمدحك ولكنّي أحمد الله فيك، وأنشد:

شكري كفعلك فانظر في عواقبه تعرف بفضلك ما عندي من الشّكر

وقد ذكر المبرّد من صرّح بحبّه للمدح مثل أبي البختريّ وهب بن وهب:

" وكان من أجود النّاس، وكان إذا سمع مدح المادح، ضحك وسرى السرور في جوانحه وأعطى وزاد، وحين أتى عليه شاعر فأنشده:

لــكلّ أخي فضلٍ نَصيبٌ من العُلا ورأسُ العُلا طُرّاً عقيدُ النّدى وهبُ
وما ضرَّ وَهباً قولُ من غَمِطَ العُلا كما لا يَضُرُّ البدرَ يَنبــــحُهُ الكَلبُ

ثنى له الوسادة وهشّ إليه ورفَده، وحملَهُ وأضافَه"[٢].

وقد ذكر المبرّد بيتين من الشّعر فيهما دعوة صريحة لوجوب شكر فاعل الخير على فعله؛ حتّى لا يزهد فيما يفعل:

وزهّدني فــي كــــــلّ خير فعلتُه إلى النّاس ما جربّتُ من قـــلّة الشّكر
إذا أنت لــــــم تنظر لنفسك حظّها أحاطت بك الأشياء من حيثُ لا تدري [٣]

وكأنّ المبرّد يرى في الشكر استمرار الخير بين العباد، والمدح نوع من أنواع الشكر، فينقل المبرّد هجاء أبي حرملة العبديّ المهلّب:

عَدِمتُك يــــــــا مــهلّبُ مِن أمير أما تَندى يَمينُكَ للفقــــــــــــــير
بــدولابٍ أضـــــعتَ دماء قومي وطِــرتَ على مُواشِكَةٍ دَرورِ [٤].

ثمّ مدحه له بعد أن أعطاه المهلّب إذ قال:

يرى حـــــــتماً عليه أبو سعيدٍ جلاد القومِ فــــي أولى النّفير

[١] المبرّد، الفاضل، ص 97
[٢] المبرّد، الكامل، 673/2
[٣] المبرّد، الفاضل، ص97
[٤] المبرّد، الكامل، 1313/3.شرح المبرّد البيت نفسه في موضع آخر إذ قال: قوله مُواشكةٍ يريد سريعة. ودرورٌ من درّ الشيء إذا تتابع. انظر المصدر نفسه، 1247/3

إذا نـــــــــادى الشُّراةُ أبا سعيدٍ مشى في رفل مُحكَمَةِ القتير.[1]

ولعلّ المبرّد لا يعدّ هجاء الشّاعر لشخص ما، ثمّ مدحه له تناقضًا، فقد يكون مدحه له بعد هجائه نوعًا من الشّكر على الخير الذي أغدقه عليه، فقد عبّر أبو حرملة عن شكره لعطية المهلّب بأن مدحه.

شروط قصيدة المدح:

ظهرت شروط قصيدة المدح عند المبرّد في قول له ورد في العمدة: "من الشّعراء من يحمل [كذا والصواب يجمل][2] المدح، فيكون ذلك وجها حسناً لبلوغه الإرادة مع خلوّه من الإطالة، وبعده من الإكثار ودخوله في الاختصار"[3]، وهذا كما في قول الحطيئة في رأي المبرّد:

تزور فتى يُعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المكارم يحمد

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ويعلم أنّ المرء غيـــــر مخلّد

يرى البخل لا يبقي على المرء ماله ويعلم أن المرء غير مـــــخلّد

كســـوب ومتلاف إذا ما ســـــــألته تهلل واهتز اهتزاز المـــــهند

متى تأته تعشو إلى ضوء نــــــــاره تجد خير نار عندها خير موقد

وقد علل المبرّد استحسانه لأبيات المدح هذه؛ لكون الشّاعر: "تصرّف في أبياته هذه في أصناف المديح، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصار[كذا والصوّاب الاختصار] في البيت الأخير"[4].

ويستوقفنا قول المبرّد: (على سبيل الاقتصار)، فلا نستطيع تفسيره أو بيان المقصود فيه، فهل قصد فيه:" الاقتصار على الحدّ الأوسط فيما يقال"؟ وهو ما ورد عند قدامة في تفسيره للاقتصار[5]، وأظنّ ذلك بعيدًا؛ لأنّ المبرّد نقل عيب عمر بن الخطاب لهذا البيت – البيت الأخير– لما ورد فيه من غلو في صفة الممدوح، وكأنّ المبرّد كان موافقاً لرأي عمر بن

---

[1] المبرّد، الكامل ، 1314/3. الرفل: ثوب الرجل إذا فضل فيه، وكأنه عنى هنا فضلة الدرع. انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي فصل الراء باب اللام. القتير أطراف مسامير الدرع. انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي، فصل القاف، باب الراء

[2] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص79، كما أنّ لفظة يجمل مناسبة لما جاء بعدها من قول.

[3] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر، 85/2

[4] المصدر نفسه ، 85/2

[5] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص79.

الخطاب في البيت[1]، فالبيت بعيد عن الاقتصار على حد أوسط من القول، بل على العكس فيه غلو في المدح، فكيف نفسّر هذا التباين في موقف المبرّد من البيت؟

وقد ورد القول عند قدامة بن جعفر كما جاء عند ابن رشيق مع تغيير في الجملة التي استوقفتنا، دون أن ينسبه إلى المبرّد[2]، فقد وردت عند قدامة:" على سبيل الاختصار".

وأظن هذا أقرب إلى الصواب، فاستخدام قدامة بن جعفر لكلمة اختصار أكثر ملاءمة لقول المبرّد، فقد اختصر الشّاعر أوصافاً عديدة للممدوح في هذا البيت، وبكلمات مختصرة، فوصفه بالكرم وحسن الضيافة، فهو خير من يستضاء بنوره. كما أنّ كلمة اختصار متّفقة أكثر مع شروط المدح عند المبرّد، وهو ما جاء في القول الأوّل: "من الشّعراء من يجمل المدح، فيكون ذلك وجهًا حسناً لبلوغه الإرادة مع خلوّه من الإطالة، وبعده من الإكثار ودخوله في الاختصار"، فأغلب الظّن أن يكون تحريفاً وقع في كلام المبرّد فيما ورد في العمدة.

وعودة لقول المبرّد "تصرّف في أبياته هذه في أصناف المديح، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاختصار في البيت الأخير"، وكأنّ المبرّد في قوله هذا يحدّد أصنافاً للمديح يستحسنها، وهذا ما فصّل فيه قدامة في نعت المدح، فكانت أصناف المديح عند قدامة العقل، والعفة، والشجاعة، والعدل وأقسام كلٍّ منها [3]، وكأنّ المبرّد يتفق مع قدامة في أنّ الفضائل النفسية أساس المدح، مع أنّ المبرّد لم يذكرها؛ ولكن نراها في أبيات الحطيئة التي ذكر، وهذا لا يعني أنّ المبرّد أنكر أن يمدح الشاعر بالفضائل الأخرى من عرضية وجسمية وغيرها.

فإنْ كان المبرّد معتنياً بإبراز الصفات المعنوية للممدوح وهو ما جاء في مدح أعرابيّ:

وأوقفُ عندَ الأمر ما لم يَضِح لهُ وأمضَى إذا ما شكَّ مَن كان ماضيًا [4]

قال فيه المبرّد: " استجمع في هذا المدح ركانة الحزم، وإمضاء العزم"، فقد أورد مدح الشعراء بصفات جسمانية إلى جانب هذه الصّفات النفسية المعنوية، فذكر ما تمدح به العرب وتستحسنه: وهو قولهم: "مضجعُهُ كَمَسَلِّ الشّطبةِ، وتكفيه ذراعُ الجَفرةِ" [5]، موضّحًا المقصود بهذا فقال: "أي

---

[1] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 101

[2] انظر قدامة بن جعفر ، نقد الشّعر، ص79

[3] انظر المصدر نفسه، ص144

[4] قال المبرّد: "يقال أحزم الناس من إذا وضَحَ له الأمر صدع به أي مضى فيه . انظر الكامل، 116/1

[5] الشّطبة أصلها ما شطب من جريد النخل، وقيل السّيف ، والجفرة: الأنثى من أولاد الشّاء. انظر المصدر نفسه، 1058/2

خميص البطن"، كما ذكر من نعوت العرب، فقال: "ينبغي أن يكون الفارس مهفهف الخصرين، متوقد العينين حَمْشَ الذّراعين"[1].

وذكر كذلك نعوت السيّد:" أن يكون لحيماً، ضخم الهامة، جهير الصّوت، إذا خطا أبعد، وإذا تُؤمّل ملأ العين؛ لأنّ حقه أنْ يكون في صدر المجلس، أو ذِروة مِنبر، أو منفرداً في موكب، وأن يملأ العين جمالاً، والسّمع مقالاً"[2].

واستشهد بقول الشاعر في رجل:

فإذا جالَسْتَه صَـــدَّرتَهُ وتنحّيتَ له في الحاشـــية
وإذا ســـايَـــرتَه قدَّمتَهُ وتأخَّرتَ مــــــع المُستأنِيّة
وإذا ياسَـــرتَهُ صادَفتَهُ سَلِسَ الخُلق سَلِيمَ النّـــاحيّة
وإذا عـــاسَرتَهُ صادفتَهُ شرِسَ الرّأي أبيّا داهـــــية
فاحمد الله على صُحبَتِهِ واسألِ الرحمنَ منه العافية

وقد ذكر بعض الصفات التي يُمدح بها الشّريف، من صفات جسمانية ومعنويّة، كما ورد في مدح الخنساء لأخيها:

طويل النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا[3]

قال : " وهذا ممّا يمدح به الشّريف"[4].

وقد أورد المبرّد اعتراض عبد الملك بن مروان على ابن قيس الرُّقيّات، إذ قال" أتقول لمصعب:

إنّما مصعبٌ شهابٌ من اللـــ ـــه تجلّت عن وجهه الظّلماءُ

وتقول لي:

يعـــــــتدِلُ التّاجُ فوقَ مَفرِقِهِ على جَبينٍ كأنّــــــــه الذّهبُ"[5]

---

[1] المبرّد، الكامل، 1059/2

[2] المصدر نفسه، 1060/2

[3] قال المبرّد : **النجاد**: حمائل السّيف، تريد بطول نجاده قامته.انظر المصدر نفسه، 1413/3

[4] المصدر نفسه، 1413/3

[5] انظر المبرّد، الكامل، 828/2. وكيف كان عبد الله منقطعاً إلى مُصعب بن الزبير،كثير المدح له، ولما قتل مصعب، أهدر عبد الملك دم عبد الله، فهرب إلى أن سامحه عبد الملك، فأراد عبد الله التّقرّب من عبد الملك، الذي رفضه بداية، ولكنّ عبد الله لم يزل بباب عبد الملك حتى سمح له الدخول عليه، وبدأ عبد الله بمدحه بشعر لم ينل إعجاب عبد الملك...انظر المصدر نفسه،828/2

وهو ما استدلّ به قدامة على أنّ من لا يمدح بصفات نفسية يكون مخطئًا [1]، إلا أنّنا نجد المبرّد لم يعلّق على بيت ابن الرّقيات هذا بما يعيبه، وهو ما جاء به غيره من بعده [2]، وكأنّ المبرّد أورد هذه القصّة؛ ليشير إلى اختلاف دوافع شعر المدح عند الشاعر الواحد، فعبد الله كان منقطعاً لمصعب، كثير المدح له بدافع الإعجاب والإكبار، فخرج مدحه له مستحسناً، بينما اختلفت دوافع مدحه مع عبد الملك؛ فأصبحت مادية يريد التقرّب له، فلم ينل مدحه الاستحسان المطلوب عند عبد الملك.

وقد وضّح المبرّد اختلاف الشّعراء المادحين صدقاً وكذباً، قرباً من الحقيقة أو بعدًا عنها، فتحدّث عن المدح الصّادق النّابع من الشّعور الخالص والعاطفة الصّافيّة النّزيهة البعيدة عن الدوافع الماديّة، فذكر شعر الفرزدق لابن هبيرة وهو أسير، وقال فيه ابن هبيرة: "ما رأيتُ أشرف من الفرزدق، هجاني أميراً ومدحني أسيراً" [3].

وقد ظهر استحسان المبرّد للصّدق في المدح، فاستحسن مدح زهير لهَرِم بن سنان [4]، الذي قيل عنه لا يمدح الرّجل إلا بما فيه [5].

والتكسّب هو أحد دوافع الشّعر عند المبرّد، ولكنّه لا يجد التّكسّب مبرّراً لخروج الشّاعر عن الواقع، كأن يسمي الشاعر البخيل جوادًا، وهذا فيما نقله المبرّد من أبيات عمران بن حطان قالها للفرزدق يدعوه فيها أن يكون صادقاً في المدح، وأن لا يمدح الشّخص بما ليس فيه لغرض التكسّب، إذ يقول له:

أيّـــها المادح العبادِ لِيُعطى إنّ لله ما بأيدي العِـــــبادِ
فاســـأل اللهَ ما طَلَبتَ إليهم وارجُ فَضلَ المقسِّمِ العَوّادِ لا تَقُـــل
للجَوادِ ما ليسَ فيهوتسَمِّ البَخيلَ باسمِ الجَوادِ [6]

وفي هذا تأكيد ضرورة تحرّي الشّاعر الصّدق في مدحه عند المبرّد، أيّاً كانت دوافع هذا الشّعر.

---

[1] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشعر ص 144

[2] وقد أنكر ابن سنان لما جاء به قدامة، ثمّ علل انكار عبد الملك بن مروان على ابن الرقيات مدحه له بالتاج لأنّ التيجان كانت من زي ملوك العجم، ولم يكن خلفاء العرب يعرفونها. انظر ابن سنان، سر الفصاحة،ص254

[3] المبرّد، الكامل، 991/2

[4] المصدر نفسه، 226/1

[5] انظر ابن رشيق، العمدة، 103/1

[6] المبرّد، الكامل، 744/2

وإنْ كان المبرّد قد استحسن الصدق في المدح، فقد رأى وجوب اختيار الشّاعر لمن هو أهل لهذا المدح، بقوله: "أنشدني أحد الأمراء لشاعر من أهل الري يكنى أبا يزيد شيئاً لعبد الله ابن طاهر أحسن فيه وأصاب الفصّ[١]، وقصد بالمدح إلى معدنه واختاره لأهله"[٢]:

اشرب هنيئاً عَلَيكَ التّاج مُرتفِقاً في شاذَمِهرَ وَدَع غُمدانَ لليَمَن
فَأنتَ أولى بِتاجِ المُلكِ تَلبَسُه مِن هوذَةَ بن عَلِيٍّ وابن ذي يَزَن

ويقول كذلك في أبياتٍ لجرير في هشام بن عبد الملك هي المدح الصّحيح؛ لأنّ الشاعر قالها فيمن هو أهل لها[٣]، منها:

وأنتَ إذا نَظَرتَ إلى هشامٍ عَرَفتَ نِجارَ مُنتَجَبٍ كَريمِ [٤]

والمبرّد لا يرفض أن يكون الغرض من المدح التكسب إن كان الشّاعر صادقاً في مدحه، وإن كان الممدوح أهلاً لما مُدح به، مقدِّراً لقيمة هذا المدح، فيعطي ويجزل العطاء، وينقل المبرّد قول مَسلمَة بن عبد الملك يوماً لنُصيب:" أمَدَحتَ فلاناً، لِرَجُلٍ من أهلِهِ؟ قال: قد فعلت، قال: أوحرَمَكَ؟ قال: قد فعل، قال: فهلاّ هجوتَهُ قال: لم أفعَل، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّي كنتُ أحقَّ بالهجاء منه إذ رأيتُهُ موضِعاً لِمَدحي! فَأعجِبَ به مَسلمة، فقال: اسألني، قال: لا أفعلُ! قال: ولِمَ؟ فقال: لأنّ كفَّكَ بالعَطِيَّة أجودُ من لِساني بالمسألة!! فوهَبَ لَهُ ألفَ دينار"[٥]، فقد وجد نصيب نفسه مستحقاً الهجاء؛ لأنه لم يحسن اختيار من يستحقّ مدحه، إذ لم يظهر هذا الممدوح تقديرًا لمدح الشّاعر ولم يعط شيئاً. وكأنّ المبرّد بإيراده لما سبق يؤكّد ضرورة اختيار من هو أهل لمدح الشّاعر، وهو من يقدّر هذا المدح؛ لأن شعر المدح أبقى من العطايا الفانية، وهذا ما يشير إليه قول عمر بن الخطّاب لابنة هَرِم بن سِنان المُرِيّ بعد أن سألها:" ما وَهَبَ أبوكِ لزُهير؟ فقالت: أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدّهر! فقال عمر: "لكنّ ما أعطاكُموهُ لا يُفنيه الدّهرُ" [٦]، لقد نقل المبرّد قول عمر ونقل أيضاً أنّ نُصيباً امتدح عبد الله بن جعفر فأعطاه خيلاً وإبلاً ودنانير ودراهم وثياباً، فقال أحدُ الحاضرين: "أمِثلُ هذا الأسود يُعطى هذا المال؟ فقال: أمّا إنّه لئن كان أسود إنّ

---

[١] الفصّ: من الأمر مفصله. انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي، باب الصاد فصل الفاء.

[٢] المبرّد، الكامل، 2/537

[٣] انظر المصدر نفسه، 2/666

[٤] انظر البيت ص 112 فيما سبق من البحث.

[٥] المبرّد، الكامل، 2/690

[٦] المبرد، الكامل، 1/485

شعره لأبيض، وإنّ مدحه لعربيّ، ولقد استحقّ بما قال أكثر ممّا نال، وما الذي أعطيناه؟ إنّما أعطيناه مالاً يفنى، وثياباً تَبلى، ومطايا تُنضى، وأعطانا ثناءً يبقى، ومديحاً يروى"[1].

كما روى المبرّد عن معاوية قوله لرجلٍ من ولد قيس بن معد يكرب: "ما أعطى أبوك الأعشى حين مدحه؟ فقال: ثياباً وإبلاً وأشياء أنسيتها، قال: لكنّه أعطاه ما لا يُنسى"[2].

يظهر مما سبق تقدير المبرّد لشعر المدح؛ لذا نراه يقارن بين قيمة شعر المدح مقابل قيمة ما يُمنح للشّاعر المادح، فالأولى أكثر بكثير، لذا نراه يحثّ الممدوح على الجود في العطايا الفانيّة مقابل مدح الشّاعر الباقي.

وينبغي لشاعر المدح عند المبرّد أن يحترز في وصف الممدوح، فلا يستخدم ألفاظاً تستعمل في الذّم، فيجب أن يكون هناك مؤاخاة بين اللفظ والمعنى، لذا عاب على أبي تمام قوله:[3]

تَتّقي الحربُ منه حين تغلي مَراجلها بشيطانٍ رجيم

وذلك لأنه جعل الممدوح هو الشّيطان الرّجيم[4]؛ لأنّ كلمة الشيطان الرّجيم من ألفاظ الذّم ولم تجر العادة على استخدامها في المدح، وهذا ما كان عند غير المبرّد فيما بعد[5].

ونقل المبرّد ما عيب ضمنياً في مدح ذي الرّمة بلال بن أبي بردة حين قال:

سمعت النّاس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح[6] انتجعي بلالا[7]

وذلك بنقل المبرّد قول بلال بعد أن سمع عجز البيت – دون أن يعترض المبرّد عليه بما يخالفه – فيقول: "يا غلام مر لها بقت ونوى"، أراد بقوله أنّ ذا الرّمة لا يحسن المدح، وكأنّ المبرّد يوافق بلالاً على عدم استحسانه مدح ذي الرّمة لسؤاله ناقته أن تنتجع بلالاً؛ لأنه أساء التّصوير؛ فلم يكن تصويره هذا لائقاً بالممدوح.

كما نرى المبرّد يوافق على أن يجمع الشّاعر مدح شخصٍ وهجاء آخر في القصيدة نفسها، وهذا ما أورده العسكري للمبرّد: " لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول

---

[1] المبرّد، الفاضل، ص 34.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

[3] انظر البيت ص 42 فيما سبق من البحث

[4] انظر المرزباني، الموشح، ص 320

[5] انظر ابن سنان، سرّ الفصاحة، ص154 – 155

[6] صيدح : اسم ناقته. انظر المرزباني، الموشّح، ص178

[7] المصدر نفسه ص 179

ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد ويمدح أباه في كلمة "[1]:

أبـــوك لنا غيثٌ نعيشٌ بفضله وأنت جرادٌ ليس يبقى ولا يذر

لـــه أثرٌ في المكرمات يسرّنا وأنت تعقّي دائـــــماً ذلك الأثر

لقد قنعت قحطان خزياً بخالد فهل لك فيه يخزك اللهُ يا مُضرُ

4- الهجاء:

لم تظهر عناية المبرّد بهذا الغرض مثل عنايته بالأغراض الشعريّة الأخرى، فإن وقف عنده فيكون في غالب الأمر لغاية تعليميّة، فنراه يوضّح أحسن التشبيه ومليحه، بذكر قول رجل يهجو رجلاً برثاثة الحال:

يـــأتيك في جُبَّة مُخَرّقةٍ أطولُ أعمار مِثلِها يومُ

وطـــيلسانٍ كالآلِ يَلبَسُهُ على قميصٍ كأنّهُ غَيمُ [2]

كما نجده يثبت فصاحة شاعر بذكر أبيات له قد تكون في الهجاء[3].

وهذا لا ينفي ورود أبيات في الهجاء عند المبرّد يمكن منها محاولة الوصول إلى رأيه في هذا الغرض، فقد أورد المبرّد أبياتاً شعرية في هجاء الجماعة عند القدماء فقد رأى أنّ من أقبح الهجاء ما قاله أعرابي في هجاء قوم من طيئ:

ولمّا أن رأيتُ بني جُوين جلوساً ليس بينهم جَليسُ [4]

وقد علّل المبرّد حكمه هذا لكون الشّاعر في هجائه هذا نفى عنهم صفات عربيّة أصيلة، وهذا أقبح الهجاء عند العرب، فقال: "هؤلاء قوم لا ينتجعُ الناسُ معروفهم فليس فيهم غيرهم، وهذا من أقبح الهجاء"[5]، فهو بعيد عن صفات العرب الذين عُرفوا بكرمهم ومعروفهم وحُسن ضيافتهم.

ولم يُشر المبرّد بشكل واضح لهجاء القدماء الفردي الذي يتوجه به الشاعر إلى فرد معيّن يزدريه أو يهزأ به، فيُظهر عيوبه ويجرده من الفضائل التي يعتد بها الجاهلي؛ ليحتقره الناس إلاّ

---

[1] العسكري، ديوان المعاني 1/190-191

[2] المبرّد، الكامل، 3/1057

[3] انظر المصدر نفسه، 1/82

[4] المصدر نفسه، 1/225

[5] المصدر نفسه، 1/225

ما كان في قول الحطيئة، وهو شاعر مخضرم يهجو امرأته فيقول:

أطوّفُ ما أطوّفُ ثم آوي إلى بيتٍ قعيدتُهُ لكاعُ [1]

ويبدو أنّ المبرّد أشار ضمنيًا إلى موقف الإسلام من الهجاء بشكل عام، فقد نقل تفسير عائشة– رضي الله عنها– لقول رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم: "لأن يمتلئ جوف أحدِكم قيحًا حتى يَرِيَهُ(من الورى [2]) خير له من أن يمتلئ شعراً"، ثمّ قالت: "يعني الهجاء منه" [3]. وكأنّ المبرّد بهذا يشير لقبح الهجاء عند رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم.

كما ذكر المبرّد موقف الصّحابة من الهجاء، بذكر إيهام عمر بن الخطاب الحطيئة أنّه عازم على قطع لسانه على هجائه، فأنقذ الحطيئة نفسه، إذ ذكر هجاءه أمّه وزوجته وحتّى نفسه [4]، وكأنّه أراد أن يثبت لعمر أنّ الهجاء طبع فيه، خوفاً من عقابه، وفي موقف عمر من الحطيئة دلالة واضحة على موقف الخلفاء من شعر الهجاء.

ويبدو من ذكر المبرّد لشعر حسّان بن ثابت في الهجاء، أنّ الغرض منه الدفاع عن الرّسول– صلّى الله عليه وسلّم–ضدّ من حاول إيذاءه، فذكر قول رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– لحسّان بن ثابت:" اهجهم وروح القُدُس معك" [5]، وذكر قول الرّسول الكريم – صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله مؤيّد حساناً بروح القدس ما نافح عن نبيّه" [6]، وقول عائشة – رضي الله عنها:" كان يوضع لحسان مِنبر في مُؤخّر المسجد يقوم؛ فيُنافِحُ عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم" [7].

كما أشار المبرّد إلى النقائض في العصر الأموي، فذكر الأثر النّفسي الذي خلّفه بيت الأخطل الذي يعيّر فيه جريرًا:

قومٌ إذا استنبَحَ الأضيافُ كلبَهُمُ قالوا لأمِّهمُ: بولِي على النّار [8]

---

[1] قال المبرّد: قعيدة البيت: ربّة البيت، لكاع: كناية عن اللؤم . انظر الكامل، 338/1

[2] الورى: قيح يكون في الجوف. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الواو

[3] المبرّد، الفاضل، ص 13.

[4] انظر المبرّد الكامل، 726/2

[5] المصدر نفسه، 1472/3

[6] المصدر نفسه، 1472/3

[7] المصدر نفسه، 1472/3

[8] انظر البيت ص 43 فيما سبق من البحث.

يقول المبرّد: "وكان أن توجّع منه جرير"[1]. ويذكر المبرّد أسباب هذا الأثر فيقول: "جمع به ضروبًا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش، ومنها عقوق الأمّ في ابتذالها دون غيرها، ومنها تقذيرُ الفِناءِ، ومنها السَّوأةُ التي ذكرها من الوالدة"[2].

وقد تناول أبو أحمد العسكري هذا البيت مثالاً لأفحش بيت قالته العرب [3]، وقد علّق عليه: "فأخبر عن إطفاء النار، فدلّ به على بخلهم، وأشار إلى مهانتهم ومهانة أمهم عندهم"[4].

أمّا الهجاء عند المحدثين فقد ذكره المبرّد دون أن يعلّق على شدّته أوقسوته، وكأنّه بهذا يخبرنا عن خلوّه من هذه الشدّة والقسوة التي تميّز بها شعر الهجاء عند شعراء النقائض، فكان مثالاً لذلك قول أحد المحدثين:

كنــتُ ضيفاً ببرَمَايا لعبد اللـــ ـــه والضيّفُ حقُّهُ معـــــلومُ
فانبـــرَى يَمدحُ الصِّيامَ إلى أن صمتُ يومًا ما كنتُ فيه أصومُ
ثـــمّ أنشا يستامُ [5] برذونِيَ الوَرْ دَ مُلِحّاً كما يُلِحُّ الـــــــغَرِيمُ
وَلَعمري إنّ ابنَ عُتبَةَ إذ يســ ـتامُ برذَونَ ضيفِهِ للَئـــــــيمُ [6]

وقول آخر لبني أسد ين خُزيمة:

يـــا أيُّها السّائلي عَمداً لأخبرَهُ بذاتِ نَفسي وأيدي الله فوقَ يدي
إن تستقِم أسدٌ تَرشُد وإن شَغَبَت فـــــــلا يَلُم لائمٌ إلا بني أسدِ
إنّـــي رأيتكم يُعصى كبيرُكُم وتَكنعونَ إلى ذي الفجـــرةِ النَّكِدِ [7]
فبـــاعَدَ الله كـــلّ البُعد داركُم ولا شَفاكُم من الأضغانِ والحسدِ [8]

"فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب، وأدَلّه على ضِغنِ بعضِهم لبعض، وحسدِ بعضهم بعضاً، والوضيع يتفَلّتُ إلى الشّريف؛ لأنّه يرى مقاولته فَخراً، والاجتراء عليه ربحاً، كما أنّ مُقاولة

---

[1] المبرّد، الكامل، 3/ 1406
[2] المصدر نفسه، 3/ 1406
[3] انظر العسكري، المصون في الأدب، ص21
[4] العسكري، الصناعتين، ص 436 .
[5] سامت الماشية: رعت. انظر المعجم الوسيط، (سام).
[6] المبرّد، الكامل، 2/710
[7] تتكعون: تخضعون ، والفجرة: اسم لكل قبيح، والنكد: اللئيم . انظر المرصفي، رغبة الأمل، 6 /217
[8] المبرّد، الكامل، 2/975

الشّريفِ للّئيم ذُلٌّ وضَعَةٌ"[1]. ويستشهد المبرّد بهذا في قول الشّاعر:

إذا أنت قـــــــــــاولتَ اللّئيمَ فَإنّــما يكـــونُ عليكَ الفضلُ حينَ تُقاولُه
ولستَ كمن يَرضى بما غيرُهُ الرّض ويمسحُ رأسَ الذّئبِ والذّئبُ آكِلُه [2]

وذكر المبرّد هجاء المحدثين للأفراد: الخَلقي منه والخلقي، وكأنّه يشير إلى دور الهجاء الفردي في هذا العصر حين ضعفت العصبية القبلية. فذكر هجاء أحد المحدثين هجاءً خَلقياً يتناول عيوبًا جسديّة، إذ قال في أحدهم:

ولــــــــــه لحـــــــــــــــيةُ تيسٍ وله منـــــــــــــــــقار نسر [3]

وقد ذكر المبرّد ما يجعل الشاعر المهجو سخرية للآخرين، فمنه الهجاء الخُلُقي الذي يتناول عيوباً معنوية، من غدر، أو خيانة، أو كذب، أو بخل، كما في قول الشّاعر:

لــــــــــو كنتَ ريحاً كانت الدّبورا [4] أو كنتَ غيماً لم تكن غَيماً مَطيرا
أو كُنـــــــــــــتَ ماءً لم تكُن طَهوراً أو كنتَ مخّاً كنـــــتَ مُخّاً ريرا [5]

كما أشار المبرّد إلى ما قد يجره الهجاء على الشّاعر من عواقب، فأورد هجاء بشار بن برد لواصل بن عطاء:

مـــــــــــاذا مُنِيـــــــت بِـــغزّالٍ له عُنُقٌ كَنِقْـــــــنِقِ الدَّوِّ[6] إن ولّى وإن مَثَلا
عُنقَ الزّرافة ما بــــــــــــــــالي وبالُكُمُ تُكَفّرون رجالاً أكفَـــــــروا رَجُلا [7]

ذكر –المبرّد– بعد هذا الهجاء قصة قتل المهدي لبشار بن برد لإلحاده، مشكّكا بهذه القصّة، ذاكراً كيف فُتِشت كتب بشّار، فلم يلق أحدٌ فيها شيئاً مما كان يرمى به من إلحاد، ووجد فيها كتاب يقول فيه:" إنّي أردتُ هجاء آل سليمان؛ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله فأمسكت عنهم".

---

[1] المبرّد، الكامل، 975/2

[2] المصدر نفسه، 976/2

[3] المصدر نفسه، 946/2

[4] الدّبور: ريح تهبّ من المغرب تقابل ريح القبول أو ريح الصبّا. انظر المعجم الوسيط، (دبر).

[5] المبرّد، الكامل، 969/2، قال المبرّد الرّير: هو المُخّ الرّقيق يقال مخ رير ورار في معنى واحد. انظر المصدر نفسه، 969/2.

[6] النِّقنق: ذكر النعام. انظر المعجم الوسيط، (نقنق). الدَّوّ: الفلاة الواسعة. انظر المصدر نفسه، (دوي).

[7] المبرّد، الكامل، 1111/3

وكأنّه أراد بهذا أن يُلمح إلى أنّ قتل بشار كان لغاية أخرى غير الإلحاد، قد تكون بسبب هجائه، والمبرّد بهذا يشير إلى قوة تأثير الهجاء في هذا العصر، وأظنّ المبرّد رآه سبباً حقيقياً وراء قتل بشّار.

وأكّد هذا ما ورد عند ابن قتيبة :" وكان بشار هجا المهدي وذكر شغله بالشراب واللهو فأمر به فقتل تغريقاً في الماء "[1].

5- النسيب

ظهرت عناية المبرّد بهذا الغرض الشّعري من اختياراته الشعريّة التي نجد فيها ذكر الشعراء لصفات المرأة الجسدية والمعنوية؛ أي من اهتمامهم بخَلقها وخُلقها؛ وذكرهم لأثر الحبّ وتصرّف أحوال الهوى في الشّعراء، فنجدهم يشكون هجرهن ويطلبون قربهن.

وكأنّ المبرّد لم يفرّق بين الغزل والنسيب أوالتشبيب، وإن تعدّدت المصطلحات عنده إلا أنّها تعني ذكر المحبوبة، ولم يكن المبرّد بهذا مثل قدامة بن جعفر الذي فرّق بين مصطلحي الغزل والنسيب[2].

فالمبرّد يورد قصّة هروب محمد بن عبد الله بن نُمَيرٍ الثّقفي من الحجّاج، وسبب هذا الهروب في موضِعين من كتابه الكامل، ذكر في الموضع الأول أنّ سبب هروبه؛ لأنّه كان يشَبّبُ بزينب بنتِ يوسفَ أخت الحجّاج [3]، وذكر في الموضِع الثّاني القصّة ذاتها مبيّنًا سبب هروبه قائلاً:" كان ينسِبُ بزينب بنت يوسف"[4].

فماذا قصد المبرّد بالتشبيب والنّسيب؟

ذكر المبرّد تشبيب محمد بن عبد الله بن نُمير بزينب مصرّحاً باسمها، وفي موضع آخر نجد المبرّد يذكر نسيب أبي عيينة بفاطمة بنت عُمَر بن حفصٍ، بعد أن كنّى عنها بـــ (دنيا)، شكا هجرها وطلب قربها[5].

وكأنّ المبرّد بهذا أراد أن يقول إنّ التشبيب والنسيب ذكر المحبوبة، سواء أكان الشّاعر ذكرها باسمها كما فعل محمد بن عبد الله أم كنّى عن اسمها كما فعل أبو عيينة، وأن التشبيب

---

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص 457

[2] انظر قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص123،و 124

[3] انظر المبرّد، الكامل، 629/2

[4] المصدر نفسه، 743/2

[5] المصدر نفسه، 546/2.

بالمحبوبة مع التّصريح باسمها يعرّض الشاعر للخطر كما ذكر، أو يعرّضه للّوم من قبل المحبوبة كما سنرى لاحقاً.

وقد ظهر مصطلح "الغَزَل" عند المبرّد فيما قاله عن العباس بن الأحنف:" كان قصده الغَزَل وشغلُه النسيب وكان مقبولاً غزلاً، غزير الفكر، واسع الكلام، كثير التصرف في الغزل وحده، ولم يكن هجّاءً ولا مدّاحاً"[١].

فالغزَل عند المبرّد هو غرض من الأغراض الشّعريّة، فمن كان قصده الغزل والنسيب كان غزِلاً[٢]، وهو من ذكر النّساء، وهذا ما وصف المبرّد به يزيد بن الطَّثريّةِ[٣]، فيقول عنه:" كان غَزِلاً وكان يذكر حوشية[٤] وهي امرأة كان يشبّب بها"[٥].

كما ورد مصطلح (غزلت) عند المبرّد، وهو فيمن رغبت أن يقول الشاعر فيها شعراً وسنتحدث عن هذا لاحقا.

ومن الأبيات التي أوردها المبرّد في ذكر الشّعراء للنساء يمكن القول إنّ المبرّد وجد النسيب نوعين: نوع عبّر فيه الشّعراء عن مشاعر الحبّ والعشق واللوعة بذكر أوصاف المرأة الجسدية منها والمعنوية، ونوع آخر اكتفى الشاعر فيه بذكر أثر الحبّ ولوعته، واقتحام المخاطر من أجل المحبّ، والحديث عن صدود الحبيب وغير ذلك من المشاعر التي تدلّ على شدّة ألم الحبّ، وكان هذا غالباً دون ذكر مصطلحٍ بعينِه سوى أنّه حديث في المرأة المعشوقة.

فنجد المبرّد يختار أبياتاً تحدّث الشّعراء فيها عن لوعتهم وحبهم، فوصفوا مفاتن المرأة الجسديّة دون ابتذال، كما جاء في شعر لذي الرّمّة قال فيه:

وميّةُ أحسنُ الثّقلين جيدا وسالِفَة وأحسنَهُم قذالا[٦]
فلم أرَ مِثلَها نَظراً وعَيناً ولا أمٌّ الغزالِ ولا الغزالا
تُريكَ بَياضَ غُرَّتِها وَوجها كَقَرنِ الشّمس أفتَقَ ثم زالا[٧]

واستحسن المبرّد بيتين لبشّار:

---

[١] انظر اقتباس الأصفهاني من مؤلف الروضة للمبرّد . الأصفهاني، الأغاني، 8/ 352

[٢] غزل من الغزل. انظر المرصفي، رغبة الآمل، 5 /141

[٣] أمّه منسوبة إلى طثر (بفتح فسكون) ابن عنز أخي بكر بن وائل . انظر المصدر نفسه، 5 /141

[٤] في دواوين الأدب وحشيّة بنت فُدَيك بن حنظلة الجرمي. انظر المصدر نفسه، 142/5

[٥] المبرّد، الكامل، 707/2

[٦] يقول المبرّد : الجيد: العنق، والسّالفة: ناحية العنق، والقذالان: ناحيتا القفا. انظر االمصدر نفسه، 950/2

[٧] يقول المبرّد: قوله أفتق ثمّ زالا انكشف فكان أحسن ما يكون وأشدّه استنارة. انظر المصدر نفسه، 950/2

وكأنّ تحت لســـــانِها هاروت ينفثُ فيه سِحرا
وتخالُ ما ضمّت عليـــ ـــه ثيابَها ذَهَباً وعِطرا

قال عن البيت الثاني منهما من التشبيه الجامع، أي جمع شيئين لمعنيين [1]، وهو ما وضّحه المبرّد قائلاً: "تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين" [2]، فقد شبّه الشّاعر جمال جسد المرأة بالذهب، وشبّه رائحة هذا الجسد بالعطر.

وذكر المبرّد بيتين لجرير يصوّر فيهما مفاتن المرأة التي تظهر في مشيتها فيصوّرها بالسّحاب لتهاديها وسهولة مرّها، كما يصوّرها بالدّرة لنقاء لونها، فيقول:

ما استوصف الناسُ من شيءٍ يَروقُهُمُ إلاّ رأوا أمَّ نوحٍ فوق ما وصـــــفوا
كأنّـــــــها مُزنةٌ غَـــرّاء رائحـــــةٌ أو درّةٌ لا يُواري ضوءهَا الصّدَفُ [3]

كما ذكر المبرّد وصفَ الشّاعر للون وجه المرأة ورائحتها، وهو ما جاء في قول الأعشى:

بيضـــــــــاءُ ضَحـوتَـــها وصـــفر اءُ العَـشِيَّــةِ كالعـــــــــــرارة [4]

وهذا ما كان في وصفهم للجارية الحسناء، تتلوّن بلون الشّمس فهي بالضُّحى بيضاء وبالعشيّ صفراء [5].

كما نقل المبرّد تعبير الشّعراء عن مشاعرهم تجاه المرأة بذكر خصالها المعنويّة، وهو ما جاء في قول الشّنفرى:

كأنّ لها في الأرض نِسياً تَقُصُّه على أمِّها وإن تُحدّثك تَبلِتِ [6]

إذ يوضّح المبرّد قول الشاعر في وصف شدّة استحياء المرأة، فهي لا ترفع رأسها، وكأنّها تطلب شيئاً في الأرض، وإن تحدّث معها أحد تقطع هذا الحديث لاستحيائها.

أما النوع الثاني من النسيب، حسب النماذج التي وردت عند المبرّد، فهو تصوير الشاعر خلجات النفس وتأثرها بالحبّ والشوق للحبيبة، وهو ما جاء في قول بشّار:

---

[1] انظر المبرّد، الكامل، 1053/2
[2] المصدر نفسه، 922/2
[3] المصدر نفسه، 949/2
[4] المصدر نفسه، 1020/2.
[5] انظر ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 109/7.
[6] قال المبرّد : تقصّه : تتبّعَهُ، والأمُّ : القصدُ ، وقوله : وإن تحدّثك تبلِتِ : يقول تقطعُ الحديثَ لاستحيائها . انظر الكامل، 1018/2

كـــــــــأنّ فؤاده كُـــــرَةٌ تَنَزّى حِذارَ البَيــــنِ إن نَفَعَ الحِذارُ
جـــــقّت عيني عن التّغميض حتّى كأنّ جفونَها عنـــــــها قِصارُ [١]

كما يختار المبرّد أبياتا شعرية يعبّر فيها الشّاعر المحبّ عن أثر الحبّ عليه، فيشكو صدود الحبيبة، وكان هذا في أبياتٍ لأبي عُيَينة يشبّب بامرأة يقال لها فاطمة، ويَكنِي عنها بـــ (دنيا) فيطلب الشّاعر قربها ويشكو هجرها، ومن ذلك قوله فيها:

دعــــــوتك بالقرابة والجوار دُعاءَ مُصرِّح بادي السِّرار
لأنِّي عــــــنكِ مُشتغِلٌ بنفسي ومُحتَرِقٌ عليكِ بغير نــار
وَأنـــتِ تُوقِّرينَ وليسَ عِندي على نار الصَّبابَةِ من وَقار
فَــأنتِ لِأن ما بِكِ دونَ ما بي تُدارينَ العُــيونَ ولا أداري
ولَــــــوَ واللهِ تشتاقينَ شَوقي جَمَحتِ إليّ خالِعَةَ العــِذارِ [٢]

ويبدو أنّ المبرّد بنقله هذه الأبيات أراد الوقوف عند تصوير الشّاعر حال المحبّ المحترق بصبابته، والذي لا يجد صدى لحبّه عند المحبوبة فيشكو هذا الصدّ.

كما ينقل المبرّد لنا وصف العبّاس بن الأحنَف حاله بعد الحرمان من الحبيبة، فيقول:

أحــــرَمُ منكم بما أقولُ وقد نالَ به العاشِقونَ مَن عَشِقوا
صِــرتُ كأنّي ذُبالةٌ نُصِبَت تُضيءُ للنّاس وهيَ تَحتَرِقُ [٣]

ولا يقف المبرّد عند ذكر حال المُحبّ وصدّ المحبوبة له، بل يذكر قصّة تشير إلى ميل المرأة إلى التّغزّل بها، وكأنّ المبرّد أراد أن يخبرنا عن رغبة المرأة بأن يثني الشّعراء على جمالها، وكان هذا فيما رواه عن نُصيب الذي نزل عند امرأة في موضع كانت تضيف به، فخيّرها بين المال أو أن يقول فيها الشّعر، ففضّلت قول الشّعر فيها على المال، وإن لم يكن هذا الشعر صادِقًا[٤].

كما نقل المبرّد أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة كتبها في امرأة محرمة:

ألّما بذاتِ الخال فاستطلِعا لنا على العهدِ باقٍ وُدُّها أم تصرّما؟

---

[١] المبرّد، الكامل، 942/2
[٢] المصدر نفسه، 546/2 و547
[٣] المصدر نفسه، 1053/2
[٤] انظر المصدر نفسه، 689/2

وقــولا لها: إنّ النّوى أجنَبيّةٌ بنا وبِكُم قــــد خِفتُ أن تَتَتَمّما [1]

وعوتب عمر عليها، إذ قيل له:" ماذا تريدُ إلى امرأة مسلمةٍ محرمة تكتُبُ إليها بمثل هذا الشّعر؟!"، ولكنّ المرأة ردّت عليه قائلة:

أضحى قَريضُكَ بالهَوى نَمّاما فاقصِد هُدِيتَ وكــن لهُ كتّاما
واعلم بأنَّ الخالَ حينَ ذكرتَهُ قَعَدَ العَدُوُّ بــهِ عَلَيكَ وقاما [2]

وكأنّ المبرّد أراد أن يشير ضمنياً إلى الأسباب التي جعلت الشّعراء يجسرون على النّساء. كما اختار المبرّد أبياتاً للشّعراء المحبّين تدلّ على جرأة بعضهم وعدم مبالاتهم بالعذّال، وهذا ما كان من الوليد بن يزيد، فيقول:

أنـــا الــــوليد الإمام مُفتَخِراً أنعِمُ بالي وَأتبَعُــــــــــُ الغزلا
أنقــــلُ رجــلي إلى مجالسِها ولا أبالي مقــــال من عَذَلا [3]

فكأنّ الشاعر يتحدّى المخاطر والعذال ولا يبالي، فهو متبّع لهواه.
وهذا لا يتناقض مع اختيار المبرّد لقول الشّاعر:

أكــنِي بغَير اسمها وقد عَلِمَ اللّـــــــهُ خَفيّاتِ كُــــــــــلِّ مُكتَتَمِ [4]

وكأنّه أراد أن يقول بوجود من يَكني باسم المحبوبة من الشّعراء، ويوضِّح المبرّد سبب هذا رغبة المحبوبة بذلك، وعتابها للشاعر إن باح باسمها، وهو ما ورد في البيت التالي الذي ذكره المبرّد:

وقد أرسلَت في السِّر أن قد فضَحتَني وقَد بُحتَ باسمي في النّسيب وما تَكني [5]

كما يخبرنا المبرّد بصعوبة هذا الأمر على الشاعر المحبّ فيختار قول الشّاعر:

أحــبّ المكانُ القفرُ من أجلِ أنّني بِهِ أتّغَنّى باسمِها غيــــــــــرَ مُعجَمِ [6]

---

[1] المبرّد، الكامل 856/2
[2] المصدر نفسه، 856/2
[3] المصدر نفسه، 854/2
[4] المصدر نفسه، 855/2
[5] المصدر نفسه، 855/2
[6] انظر البيت ص82 فيما سبق من البحث.

فقد وجد الشّاعر راحته في ذكر اسم المحبوبة ، فيقول في بيته إنّه يبحث عن المكان البعيد عن الناس ليتغنى باسم محبوبته.

وقد ألمح المبرّد إلى أنّ الغزل أصبح مقبولاً شرط أن لا يكون فيه إساءة، فقد أصبح الشّعراء يشبّبون ببنات الخلفاء، وكان هذا فيما رواه المبرّد بأنّ معاوية سمع قول عبد الرحمن بن حسّان في ابنته، إذ قال فيها:

وهي زهراءُ مِثلُ لُؤلُؤة الغواص ميزَت مِن جَوهَرٍ مَكنون [1]

وقولِه فيها:

وإذا ما نسـبَتَها لَم تَجِـدها في سَـناءٍ من المَكـارِمِ دونِ

فقال معاوية صدق ، ولكنّه حين سمع قوله فيها:

ثمّ خاصَرتُها إلى القُبّةِ الخَضـراءِ تَمشي في مَرمَرٍ مَسنون

قال مُعاوية: كذَب[2]

ويبدو أنّ معاوية كان موافقاً على قول الشّاعر في ابنته حين وصفها الشّاعر باللؤلؤ المميّز، ووافق على ما قاله الشّاعر في كرم نسبها، ولكنّه رفض أن يقول الشاعر فيها: (ثم خاصرتها...).

ونجد المبرّد لا يذكر من الغزل إلا ما هو مقبول، ويمتنع عن ذكر **التّغزل بالمذكر** أو حتى الإشارة إليه، فمع ذكر المبرّد لبعض الشّعراء الذين عرفوا بهذا النّوع من الغزل، مثل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد، إلا أنّ المبرّد اكتفى بالقول إنّهما "كانا مرميين جميعا بالخروج عن الملّة"[3]، وحين ذكر المبرّد أبياتًا لمطيع بن إياس اختار أبياتاً له لا يتحرّج المرء من ذكرها[4].

كما أنّه لا يتطرّق لأشعار أبي نواس في الغزل الإباحي، ويكتفي بذكر أبياتٍ لا حرج فيها، فذكر له بيتاً فيه معنىً تداوله الشّعراء، إذ وصفوا وقع الحبّ على قلب المحبّ كوقع المُدام[5].

فيصفُ أبو نواس أثر الحبّ في الشاعر، وكأنّه تغلغل المُدام في كلّ نواحيه.

---

[1] المبرّد، الكامل، 1/389

[2] انظر المصدر نفسه، 1/ 389

[3] المصدر نفسه ، 3/1461

[4] انظر المصدر نفسه، 3/1461، و1462

[5] انظر البيت ص 106 فيما سبق من البحث.

وأحسب أنّ اكتفاء المبرّد بذكر شعر الغزل المقبول مردّه إلى ما سنعرفه عن المبرّد من تحري الخُلق في الشعر.

كما تحدّث المبرّد عن الأوصاف التي استخدمها الشّعراء العرب في وصف المرأة، فشبّهوا المرأة "بالشّمس، والقمر، والغصن، والكثيب، والغزال، والبقرة الوحشية، والسّحابة البيضاء، والدُّرة، والبيضة"[1].

وقال: "والعرب تَكني بالنّعجة عن المرأة وبالشّاة "[2]، كما في قول الأعشى الكبير:

فرميتُ غفلـــة عَينِه عن شاتِه فأصَبتُ حَبَّة قلبها وطِحالَهَا [3]

وعلّل المبرّد بعض تشبيهاتهم للمرأة فقال:"والعربُ تُشبِّهُ النّساءَ ببيضِ النَّعام تريد نَقاءَهُ ورِقّة لونِه"[4]. وقال كذلك: وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينيها ولمشيتها، والبقرة يقال لها العيناء، وكذلك يقال للمرأة[5]، وذلك في وسع عينها.

كما يذكر المبرّد قول ابن أبي ربيعة يشبّه مشية المرأة بمشية البقر:

أبصرتُها غُدوةً ونِسوتَـــــــها يَمشينَ بين المقَامِ والحَجَـــر

يمشينَ في الرَّيطِ والمُروطِ كما تمشي الهُوينا سواكنُ البقر [6]

وقد أوضح المبرّد كيف احتكم الشّعراء لتقاليد العرب وعاداتهم في وصف المرأة، وانتقدوا خروج بعضهم عن المألوف من هذه الأوصاف، فنقل المبرّد نقد بعضهم لأقوال بعض دون أن يعلّق بما يخالفه، إذ نقل نقد بشار وصف كثيرعزة للمرأة بالعصا الوارد في قوله:

ألا إنّما ليـــــلى عَصا خَيزرانَةٍ إذا غَمزوها بالأكـــفّ تلينُ [7]

حيث قال فيه بشار: " لله أبو صَخر جعلها عَصاً ، ثمّ يعتذِرُ لها ؟! والله لو جعلها عصا مخّ أو زُبدٍ لكان قد هجّنها بالعَصا"، وكأنّ المبرّد يوافق بشّاراً على ما جاء به من نقد لهذا البيت،

---

[1] المبرّد، الكامل، 950/2

[2] المصدر نفسه، 787/2

[3] المصدر نفسه، 787/2

[4] المصدر نفسه، 948/2

[5] انظر المصدر نفسه، 790/2، و 791

[6] المصدر نفسه، 791/2. الريط جمع ريطة وهي الملاءة ليست بذات لفقين ولا تكون إلا بيضاء . والمروط جمع المرط وهو كساء من خزّ أو صوف أو كتان .انظر المرصفي، رغبة الأمل 245/5 .

[7] المبرّد، الكامل، 1018/2

وذلك لخروج الشاعر في وصفه للمرأة عن المألوف في البيئة، ولم يصفها بما هو مألوف كما فعل بشّار في قوله:

وبيضـــــاءِ المَحاجِرِ مِن مَعَدّ كأنّ حديثَها قِطَـــــعُ الجِنانِ
إذا قامـــــــــــت لسُبحَتِها تَثَنَّت كأنّ عِظامَها مـــــِن خَيزُران [1]

كما نقل المبرّد نقد الأصمعي لبيت الأعشى الكبير:

كأنّ مشيتها من بيت جارته مرّ السّحابة لا ريثٌ ولا عجلُ [2]

وكأنّه يوافق الأصمعي في رأيه ، فهو لم يظهر ما يخالفه، ويبدو أنّ الأصمعي انتقد البيت؛ لأنّ الشاعر جاء بمعنى لم يَجرِ به العُرف، إذ قال فيه:" لقد جعلها خرّاجة ولاّجة"، والمرأة المنعمّة المترفة لا تنتقل في العادة إلى بيت جاراتها لزيارتهن، بل يسعين هنّ إليها اعترافاً منهن بعلو شأنها، وهذا ما جاء في قول الشاعر:

ويُكرمُها جاراتها فيَزُرنَها وتعتّلُّ عن إتيانهن فتُعذَرُ

وهو ما فضّله الأصمعي لأنّه مما جرت به العادة وأقرّه العرف[3].

كما ظهر اهتمام المبرّد بالعُرف السّائد في وصف المرأة، وذلك بذكره للمجلس الأدبيّ الذي جمع كُثيّرا، وعمر بن أبي ربيعة والأحوص ونُصيب، فنقل المبرّد تعليق كثيّر على قول ابن أبي ربيعة:

قالت لــــها أختُــــها تُعاتِبُها لتُفسِدِنَّ الطّوافَ فـــي عُمَرِ
قالت: تَصَدّي لهُ ليُبصِرنا ثمّ اغمِزيه يا أختُ في خَفَرِ
قالت لها: قد غَمَزتُه فأبى ثمّ اسبَطَــرَّت تشتدُّ في أثري [4]

إذ قال: "والله لو قلت هذا في هِرَّة أهلِك ما عدا [5]، أردت أن تنسِبَ بها، فنسبتَ بنفسك، أهكذا يقال للمرأة؟ إنّما توصف بالخَفَر، وأنّها مطلوبةٌ مُمتنِعة"[6].

---

[1] المبرّد، الكامل ، 1018/2
[2] المرزباني، الموشح، ص51
[3] انظر المصدر نفسه، ص51
[4] المصدر نفسه، 686/2 . اسبطرّت: نشطت، بطر بطر فلان بطرا نشط. انظر المعجم الوسيط، (بطر)
[5] ما عداك الانتقاد، فحذف لفهم السامع له. انظر المرصفي، رغبة الأمل، 113/5
[6] المبرّد، الكامل، 687/2

وكأنّ المبرّد يوافق على نقد كثيّر لأبيات عمر بن أبي ربيعة، وذلك لخروجه عن المألوف في وصف المرأة، فقد وصفها بأنّها من يُبادر في طلب الرّجل فتغمزه ويتمنّع، والعُرف يقول إنّها المطلوبة الممتنعة.

وهذا ما كان في أبيات الأحوص التي استحسنها كثيّر، وكأنّ المبرّد يوافق على هذا الاستحسان، لأن الشّاعر صوّر فيها خضوعه لمحبوبته، فيقول:

أدور ولـــولا أن أرى أمَّ جعفرٍ بأبياتِكُم ما دُرتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لا بدَّ أن سَيَزورُ
لقد مَنَـــعت مَعروفَها أمُّ جعفرٍ وإنّي إلى مَـــعروفِها لَفَقيرُ [١]

فقد جاء في أبيات الشّاعر المعنى الذي يسير وفق العُرف السّائد المتداول بحكم التّقاليد، وهو أن تكون المرأة متمنّعة.

وكأنّ المبرّد تابع نقد كثيّر للشّعراء، فأورد نقده للأحوص في خروجه عن العُرف في عدم مبالاته بهجران المحبوبة، فيقول:

فإن تصلي أصِلكِ وَ إن تعودي لِهَجرٍ بَعدَ وَصلِكِ لا أبالي [٢]

وقد عابه كثيّر قائلاً له: "أما والله لو كنتَ من فحول الشّعراء لباليتَ!"
لم يعلّق المبرّد على نقد كثيّر للأحوص، فتبدو موافقته على نقده؛ وذلك لأنّ قول الأحوص خرج عن المألوف من العاشق، وكأنّ المبرّد بهذا يشترط في الشاعر العاشق أن يصرّ على دوام العاطفة بينه وبين المحبوبة مع هجرها له، فالتجلّد من العاشق مذموم كما ذكر العسكريّ[٣].

وما يؤكّد هذا ذكر المبرّد انتقاد كثيّر قول نصيب:

أهيمُ بِدَعدٍ ما حَيِيتُ فإن أمُت فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدي [٤]

فقال له: " كأنّك اغتممت ألاّ يُفعل بها بعدك"[٥]، وفي رواية ثانية:" أيهمّك من ينكحها

---

[١] المبرد، الكامل، 687/2

[٢] المصدر نفسه 687/2

[٣] العسكري، الصناعتين، ص131

[٤] المبرّد، الكامل، 687/2. ورد البيت في الكامل في موضع آخر بعجزٍ مختلف " أوَكّلْ بدعدٍ مَن يَهيمُ بها بَعدي". انظر المصدر نفسه، 236/1

[٥] المصدر نفسه، 688/2

بعدك؟ الرّجال أكثر مما تظن"[1].

أكّد المبرّد موافقته لنقد كثيّر بيت نُصيب هذا؛ لخروجه عن العرف، بقوله:" لم تجد الرّواة ومن يفهم جواهر الكلام له مذهباً"[2]، كما أخبرنا المبرّد كيف عاب هذا البيت عبدُ الملك بن مروان، وكلّ من كان في مجلسه، فمن صفات العاشق الغيرة الشّديدة على المحبوبة حتّى بعد الموت وهو ما لم يظهر في بيت نصيب.

كما طلب المبرّد من العاشق الصّبر على المحبوبة مهما صدر منها، فيجب أن يكلّمها بكلام لطيف ليثبت عشقه لها، ونلمس هذا من نقل المبرّد لكلام جميل بعد أن بلغه أنّ بثينة شتمته فقال فيها:

رمـــــى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغُرّ من أنيابها بالقوادح [3]

وذكر كيف صنعت عزة بكثيّر مثل صنيع بثينة، فقال كثيّر فيها:

هنيئا مريئا غيرَ داء مُخامـــــــــــر لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ

يكلّفها الخنزير شتمي وما بـــــــها هواني ولكن للمليك اســتذلّتِ

أصابَ الرّدى من كان يهوى لك الرّدى وجُنّ اللواتي قلــن عزة جُنّتِ

فما أنا بالدّاعي لـــــــــــعزّةَ بالرّدى ولا شامت إن نعل عزّة زلّتِ [4]

وكأنّ المبرّد أراد أن يقول إنّ كثيّراً بأبياته هذه كان أكثر عشقاً من جميل؛ لأنّه صبرعلى محبوبته، ولم يُحدّثها إلا بما يليق بها من كلام لطيف دمث، مستعملاً ألفاظاً عذبة، وهذا عكس ما فعل جميل، فعلى كثيّر تنطبق صفات العاشق الحقّ.

كما ذكر المبرّد المتوقّع من الشّاعر العاشق في أوصافه للحبيبة، فيذكر ما عيب في قول كثيّر:

فما رَوضَةٌ بالحَزن طيّبَةُ الثّرَى يَمُجّ النَّدَى جَثجاثُها وعَرارُهـــا

يمُنــخَرِقٍ من بَطن وادٍ كأنّمــا تلاقَت بـــــه عَطّارَةٌ وتِجارُهَــا

بأطيَبِ من أردانِ عَزّةَ مَوهِنــا وقد أوقِدَت بالمَندل الرّطب نارُها [5]

---

[1] المرزباني، الموشّح، ص164

[2] المبرّد، الكامل، 236/1

[3] المرزباني، الموشّح، ص200 . القادحة: السوسة تدب في الأسنان. انظر المعجم الوسيط (قدح)

[4] المرزباني، الموشّح، ص200

[5] المبرّد، الكامل، 1019/2

الذي أثبت للحبيبة الطّيب إذا أوقدت بالمندل الرّطب نارها، فذكر ما قيل بأن امرأة مدينيّة[١] عرضت لكثيّر فقالت: " أأنت القائل هذين البيتين[٢]؟ قال : نعم ، قالت: فضّ الله فاك! أرأيت لو أنّ زنجيّة بخّرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب! ألاّ قلت كما قال سيّدك امرؤ القيس:

ألم تَرَيَاني كلّما جِئتُ طارِقاً وَجَدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ".[٣]

ويبدو أنّ المبرّد يوافق ما عيب في قول كثيّر، الذي أخبر أنّ أردان المرأة إذا تبخّرت كالرّوضة في طيبها وذلك لما قيل بأنّه لا يعدم في أسهك[٤] البشر جسماً وأقلهم تنظّفا، وفضّل عليه بيت امرئ القيس، الذي أثبت للمرأة طيباً وإن لم تطب، فهذا المتوقع من المحبّ العاشق، فقد أتى بما لم يعلم وجوده في البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبا[٥].

وربّما اشترط المبرّد شروطاً في ألفاظ قصيدة النسيب، فيذكر ما عيب على العباس بن الأحنف من إدخاله هذا البيت في الغزل:

فإن تقتلوني لا تفوتوا بمهجتي مصاليتَ قومي من حنيفة أوعِجلِ[٦]

وذكر المبرّد ما عابوا به على الفرزدق:

يا أخت ناجية بن سامَة إنّني أخشى عليك بنيّ إن طلبوا دمي[٧]

وقالوا ما للمتغزّل وذكر الأولاد والاحتجاج بطلب الثارات؟[٨]، فكأنّ المبرّد وجد أنّ الشّاعر أخطأ في إدخال موضوع الثأر وألفاظه في الغزل، فقد قيل بأنّ هذا الكلام خلاف الغزل، فإن قتيل الهوى عندهم لا يودَى ولا يطلب بدمه[١]، وفضّل المبرّد عليه قول جرير:

---

[١] روى الأصفهاني في الأغاني 15 / 283،15/-284 ، أنّ المرأة هي قطام صاحبة ابن ملجم لعنه الله ، كما ورد عند ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 189/6: " دخل كثيّر عزّة على سُكينة بنت الحسين ، فقالت له بعد سماعها هذه الأبيات: ويحك ! وهل على الأرض زنجيّة منتنة الإبطين ، توقد بالمندل الرّطب نارها إلا طاب ريحها ، ألا تقول كما قال عمّك امرؤ القيس وذكرت بيته :

ألم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها طيباً وإن لم تطيّب

[٢] تقصد الثاني والثالث

[٣] المبرّد، الكامل، 1019/2

[٤] السهك بالتحريك: ريح كريهة ممن عرق . انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الكاف، فصل السين

[٥] انظر ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق، 1/ 123

[٦] المرزباني، الموشّح، ص291

[٧] انظر البيت ص 44 فيما سبق

[٨] انظر المرزباني، الموشح، ص115، و 291

[١] انظر المصدر نفسه، ص 104 . يودى من وَدَى القاتل القتيل وديا، ودية: أعطى وليّه ديته. انظر المعجم الوسيط، (ودى).

قتلننا ثمّ لم يحيين قتلانا [1]

ظهر مما سبق موافقة المبرّد على النقد الموجه إلى الشعراء الذين خرجوا عن المألوف في وصفهم وحديثهم عن المرأة، ومن هذا يبدو أنّ المبرّد يشترط في النسيب أن يلتزم الشّاعر بالعُرف الذي تفرضه البيئة في وصف المرأة؛ ليكون شعره صحيح المعنى مقبولاً، كما تظهر شروط المبرّد في أوصاف الشاعر العاشق بأن يصر في أشعاره على دوام العاطفة بينه وبين المحبوبة مع هجرها له، كما رأى المبرّد وجوب صبر الشاعر على المحبوبة مهما بدر من صدها فيكلمها بكلام لطيف وألفاظ عذبة.

[1] المرزباني، الموشّح، ص 115، و 291

الفصل الرّابع:

نقد الأسلوب

لقد ظهرت عناية المبرّد بهذا المنوال الذي ينسج فيه الشاعر أو الكاتب مفرداته وتراكيبه وذلك بدراسته للمفردات التي يستخدمها الأديب، وتتبّع بعض مقاييسها، كما اهتمّ المبرّد بتنميق الأسلوب، والمؤاخاة، ووحدة النسج، والإطناب والاختصار وأظهر أهميتهما للأسلوب.

1- دراسة المفردات وبعض مقاييسها:

وقف المبرّد على دراسة المفردات موضّحًا الأسباب التي تمنحها الجمال الذي يؤثّر في القارئ تأثيراً نفسيّاً مطلوباً؛ فهي اللبنات الأولى للأسلوب الذي يصوغ فيه الكاتب أفكاره ليبيّن ما يجول في نفسه من انفعالات، ولم تكن دراسة المبرّد المفردات غريبة فهو اللغويّ المعروف ، لذا ظهرت عنايته بمفردات الشّاعر، يفضّل لفظًا على لفظ؛ لأنّه الأنسب من حيث اللغة، فيختار لفظ (أنآني) على لفظ (نآني) الموجود في بيت الشاعر:

أعاذِلَ إن يُصبِح صَدايَ بقفرةٍ بعيداً نآني صاحِبي وقريبي [1]

معللا لاختياره هذا فيقول: " والوجه في فَعَلَ أفعَلْتُهُ، نحو دَخَلَ وأدخَلْتَه، ومات وأماتَهُ الله، فهذا الباب المُطَّرد "[2].

وقد يستبدل المبرّد ألفاظ الشّاعر أحياناً بألفاظٍ أخرى يستحسنها؛ لأنّها أكثر تأثيراً في الأسلوب، إذ يوضّح المعنى الجديد الذي تضيفه هذه اللفظة الجديدة، فيقول في بيت مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة:

إلاّ أكُن ممّن قَتَلن فإنّني ممّن تَرَكنَ فُؤادَهُ مَخبُولا [3]

قوله: (ممن تركن فؤاده مخبولاً) " يريد الخبل وهو الجنون، ولوقال (محبولاً) لكان حسنًا، يريد مَصِيدًا واقعاً في الحِبالةِ "[4]، ويستشهد بقول الشاعر:

فكلُّنا هائمٌ في إثر صاحِبِه دانٍ وناءٍ ومَحبولٌ ومُحتَبِلٌ

وقد أوضح المبرّد أحياناً غايته من دراسة مفردات الشاعر، وذلك ليظهر الإنشاد الصّحيح للأبيات الشّعريّة فيقول في البيت التّالي:

---

[1] المبرّد، الكامل، 479/1

[2] المصدر نفسه، 483/1

[3] المصدر نفسه، 863/2

[4] المصدر نفسه، 867/2

لو لم يُفارقنِي عَطِيَّةُ لم أهُن ولم أعطِ أعدائي الذي كُنتُ أمنَعُ [1]

" أحسنُ الإنشادين عندي: (لم أهِن) "[2]، إذ يعلّل المبرّد اختياره لهذا الإنشاد بعد أن يعود لمعنى المفردة القريب، فيقول: يأخُذُه من وَهَنَ يَهِنُ، فلم أهِن من الضّعف وهو المعنى المقصود، بينما لم أهُن فهو من الهَوان، وإن وجده المبرّد غير بعيد في المعنى، ولكنّه يختار الأوّل[3].

وقد كانت دراسة المفردات والتراكيب عند المبرّد وسيلة لشرح النّصوص – التي يوردها في مؤلفاته – على أكثر من وجه، فيقول في بيت عمر بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا تُحِبُّها ؟ قُلتُ بَهراً عددَ النَّجمِ والحَصى والتُّرابِ [4]

قوله (قلت بهراً) يكون على وجهين: أحدهما: حُبًّا بَهَرَني بَهراً أي ملأني، ويقال للقمر ليلة البدر(باهر)؛ أي يبهَرُ النُّجوم، أي يملؤها، والوجه الآخر: أن يكون أراد (بَهراً لكم) أي: تبّاً لكم حيث تَلومونني على هذا[5].

كما قال في قول الشاعر: (عدَدَ النَّجمِ والحَصى والتُّرابِ) فيه قولان: أحدهما: أنّه أراد بالنّجم: النُّجوم، ووضع الواحد في موضع الجمع؛ لأنّه للجنس، كما تقول: أهلكَ النّاسَ الدّرهَمُ والدّينارُ، وقد كثُرَت الشّاةُ والبعير، والوجه الآخر: أن يكون النّجمُ: ما نجَمَ من النّبت، وهو ما لم يقُم على ساقٍ، والشّجر ما قام على ساق، واليقطينُ ما انتشر على وجه الأرض[6].

وفي كلّ وجهٍ من الوجوه كان المبرّد يستشهد بالشّعر والآيات القرآنية؛ ليدعّم قوله فيما يذهب إليه.

فمع عناية المبرّد الواضحة بالمفردات إلاّ أنّه لم يعتن بشروط خاصّة للمفردة الفصيحة كما فعل غيره[7]، ولكنّنا نستطيع تلمّس بعض المقاييس التي حدّدها المبرّد للحكم على المفردات، منها الدّقة، والإيحاء، والجزالة، والصّحة.

---

[1] المبرّد، الكامل، 114/1

[2] المصدر نفسه، 115/1

[3] انظر المصدر نفسه، 115/1

[4] المصدر نفسه، 788/2

[5] انظر المصدر نفسه، 794/2 و795

[6] انظر المصدر نفسه، 795/2

[7] انظر ابن سنان سرّ الفصاحة، ص58

الدّقة:

لقد تحرّى المبرّد مقياس الدّقة في اختيار الشّاعر لمفرداته فيفضّل اختيار الشّاعر أدقّ الألفاظ في أداء المعنى الذي يجول في نفسه، لا سيّما حين يخاطب بها الخلفاء، فنقل المبرّد نقد الوليد بن عبد الملك لمّا بلغه قول جرير:

هذا ابن عمّي في دمشقَ خليفة لو شئتُ ساقكم إليّ قطينا

يقول: "قال الوليد: أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذلك، ولكنّه قال لو شئت فجعلني شُرطيّاً له"[1].

فالمبرّد في هذا، كأنّه يوافق على انتقاد الخليفة لعدم دقة جرير في اختياره لمفرداته التي تُناسب الخلفاء.

وقد ذكر المبرّد عقاب بعض الخلفاء للشّعراء الذين يخونهم الحظ بهذا الاختيار، وهذا ما حدّث عنه من أنّ أبا النجم العجلي أنشد هشاما بن عبد الملك أرجوزة منها:

والشمس قد صارت كعين الأحول[2]

وقد كان هشام أحول، فأساء أبو النجم في اختياره مفرداته فأغضب الخليفة فأمر به فطرد[3]، وقيل:"حجب عنه مدة، وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويمازحه"[4].

وقد دعا المبرّد إلى تحرّى الدّقة في اختيار الشّاعر كلمات المدح، واحترازه في وصف الممدوح ممّا يُستجفى من الكلام، فيختار من الألفاظ أدقها ممّا يناسب الممدوح، كما اشترط أيضاً شروطاً في ألفاظ قصيدة النسيب[5].

---

[1] المرزباني، الموشح، ص120

[2] ورد في العمدة :

صغواءُ قد كادت ولما تفعَل كأنّها في الأفق عين الأحول

ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 229/1

[3] انظر المرزباني، الموشّح، ص214

[4] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، 229/1

[5] انظر ص 183 فيما سبق من البحث

الإيحاء:

أشار المبرّد إلى سرّ الكلمة الموحيّة التي تثير في النفس معاني كثيرة، ولم تذكرها قواميس اللغة، فقد يكون النطق بهذه الكلمات مثيراً لهذه المعاني في نفس السّامع. فنقل المبرّد نقد الحجاج ليلى الأخيليّة؛ لأنّها وصفته بالغلام في قولها:

إذا ورَد الحَجّاجُ أرضاً مَريضةً تتبّعَ أقصى دائِها فشَفاها

شفاها مِن الدّاء العُقام [1] الذي بها غُلامٌ إذا هَزَّ القناةَ ثناها [2]

وذلك لما توحي به كلمة غلام في نفس السّامع من معاني الخرق والطيش، التي لا يرتاح لها الحجّاج، فيعيب الحجاج عليها مثل هذا الاستخدام، ويصلحه لها فيقول: " قولي همام لا غلام"[3]، وكأنّ المبرّد بنقله هذا النّقد دون أن يعلّق عليه، يوافق عليه.

وإن اعتنى المبرّد في هذا المقياس إلاّ أنّه لم يكن مبالغاً فيه، فإن كانت الكلمة توحي بمعنى يكره ذكره نجد المبرّد يذكر استخدام الشاعر لها دون أن يعيب ذلك عليه، وكان هذا فيما نقله المبرّد من استخدام الشاعر لكلمة الغائط أي الوادي في قول الشاعر:

وكم من غائطٍ من دون سلمى قليل الإنس ليس بـــــــه كتيع [4]

ومع ذكر المبرّد للمعنى الذي توحي به الكلمة، فهي كناية عن الحدث [5]، إلا أن المبرّد لا يعيب على الشّاعر استخدامه لهذه المفردة. وذكر المبرّد قول الشّاعر:

أتيت حُريثاً زائراً عن جنابة فكان حريثٌ عن عطائيَ جامِدا [6]

موضّحاً معنى (عن جنابة): أي عن غربة وبعد[7]، وذلك دون أن يعيب استخدام الشّاعر لكلمة توحي بمعنى يكره ذكره.

---

[1] أو عضال. انظر المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، (ت:384)، **أشعار النساء** ، (تح/ سامي مكي العاني وهلال ناجي)، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1976، ص61 .

[2] المبرّد، الكامل، 398/1. قراءة الديوان سقاها. انظر ليلى الأخيلية، . **ليلى بنت عبد الله بن شداد بن كعب**، (ت:85هـ)، الديوان، (جمعه خليل إبراهيم العطية وجليل العطية)، دار الجمهورية، بغداد، 1967م، ص 121.

[3] المبرّد، الكامل، 398/1

[4] المصدر نفسه، 857/2

[5] المصدر نفسه، 857/2

[6] المصدر نفسه، 902/2

[7] انظر المصدر نفسه، 903/2

فلم يكن المبرّد بهذا مثل ابن سنان الذي رأى من شروط الكلمة الفصيحة: " أن لا تكون الكلمة قد عبّر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فإذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت"[١].

الجزالة:

كما اعتنى المبرّد بمقياس الجزالة في اللفظ، فاستحسن قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيّان المُرِّي: "لصحّة معناه، وجزالة لفظه، وكثرة تردّد ضربه من المعاني بين النّاس"[٢].

ويبدو أنّ المبرّد أظهر أثر الجزالة في الكلام، مبيّناً رأيه بكلام رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– الذي وجده جزلاً، فيقول: "فأي كلام أوعظ، أو زجر في القلب أوقر؟ إنّ هذا الكلام لَيَجِلُّ عن أن يبلغه وصف، أو يحيط بكنهه قول انظر إلى فخامته وجزالته"[٣].

وإن لم يذكر المبرّد تعريفاً صريحاً لجزالة اللفظ، ولكن يمكننا القول إنّ اللفظ الجزل عند المبرّد ليس باللفظ الغريب؛ لأنّه ربطه بكثرة تردّده بين الناس، وهذا يشير إلى وجوب أن يكون واضح المعنى مألوفاً، فهل نستطيع القول إنّ قصد المبرّد باللفظ الجزل ما عرّفه العسكري قائلاً: " لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدودًا مستكرهًا، ومتوعّرًا متقعّراً، ويكون بريئًا من الغثاثة، عاريًا من الرثاثة"[٤].

الصحة:

ومن مقاييس المبرّد للألفاظ أن تكون صائبة، فتتبّع المبرّد ألفاظ الشّعراء، وقال عن مرداس ابن حُدَير أبي بلال: " كان مجتهدا كثير الصّواب في لفظه"[٥].

وهذا ما رآه المبرّد في كلام عرار بن عَمرو بن شأس الأسدِيِّ لعبد الملك في ردّه على أسئلته بكلام " في أصحّ لفظ، وأشبع قول، وأوجز اختصار..." [٦]، فأن يكون اللفظ صحيحاً هو مبتغى المبرّد من اللفظ؛ لذا نراه دقيقاً في اختيار اللفظ الصحيح للمعنى المقصود، إذ يوضّح قول

---

[١] ابن سنان، سرّ الفصاحة، ص80

[٢] المبرّد، الكامل، 63/1

[٣] المبرّد، البلاغة، ص 90.

[٤] العسكري، الصناعتين، ص 81

[٥] المبرّد، الكامل، 1173/3

[٦] المصدر نفسه، 1/ 355

العرب: "فلان ليس بذي طعم، وليس بذي نَزَلٍ " [١]، قائلاً: "أي ليس بذي عقلٍ ولا مَعرفة، وإنّما يُقال: هذا طعامٌ ليس له نَزَلٌ: إذا لم يكُن ذا ريع" [٢]، ثمّ ينبّه من الاستخدام الخاطئ للفظ، فيقول: " ومن قال نُزلُ في هذا المعنى فقد أخطأ " [٣].

ويقول حول لفظ (حوالكا) الوارد في الرّجز التّالي:

أهَدَمــــــــــوا بيتَكَ لا أبالك وأنا أمشي الدّألى حَوالكا [٤]

" هو يطوف حَوالَه وحولَه وحَواليه، ومن قال حواليهِ بالكسر، فقد أخطأ" [٥]، ويستشهد بالقرآن الكريم:﴿ نودي أن بورِكَ مَن في النار ومن حولَها ﴾ [٦].

كما اعتنى المبرّد باستعمالات العرب للألفاظ، فذكر ما كان دالا على معنى، ثمّ غيّرته العامّة وجعلته دالا على معنى آخر، وهذا ما جاء في تفسير المبرّد للفزع، حيث يقول: "الفزع في كلام العرب على وجهين: أحدهما ما تستعمله العامّة تريد به الذّعر، والآخر الاستنجاد والاستصراخ [يقصد استخدام الخاصّة له]" [٧]، ويستشهد بقول شاعر:

كُنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كان الصّراخُ لَهُ قَرعَ الظّنابيبِ [٨]

وقد أشار المبرّد للفظ الذي تستخدمه العامة، واللفظ الذي تستخدمه الخاصّة، حين ذكر بيتاً لجرير استخدم فيه الشاعر لفظ الكراث:

كم عمّةٍ لك يا خُليدُ وَ خالةٍ خُضر نَواجِذُها من الكُرّاثِ [٩]

ثمّ نجده يتحدّث عن استخدام العامّة للفظ آخر تقصد المعنى ذاته، وهو الرّكل، فيقول: "والكُرّاثُ من أطعِمَتِهم العامّة [يقصد عبد القيس، وهم من يسكنون البحرين]، ويُسَمُّونَهُ

---

[١] المبرّد، الكامل، 1/224

[٢] المصدرنفسه، 1/224

[٣] المصدر نفسه، 1/224

[٤] يقول المبرّد: الدّألى مشيبي كمشي الذئب، انظر المصدر نفسه، 2/731

[٥] المصدر نفسه، 2/732

[٦] سورة النمل: 8

[٧] المبرّد، الكامل، 1/4

[٨] قال المبرّد: يقال: قرَعَ لذلك الأمر ظنبوبَه: إذا جدّ فيه ولم يفتُر. انظر المصدر نفسه، 1/3.

[٩] انظر البيت ص 68 فيما سبق من البحث.

الرّكل)"[1].

وذكر المبرّد اللفظ الذي عبّرت به العامّة عن غير ما وضع له في عرف اللغة، و اختصت العامّة باستعماله دون الخاصّة، وهو ما قاله ابن سنان بعده[2]، فقال المبرّد في لفظ الأيّم:" والأيِّم التي لا زوج لها بكراً كانت أم ثيّباً، والأيّم عند العامة الثّيب"[3].

وقد بيّنا مبلغ عناية المبرّد بمقياس الصحة في حديثنا عن النقد اللغويّ، إذ كانت نظرة المبرّد إلى النص تقوم على سلامة ألفاظه من الخطأ ومطابقته لقواعد اللغة، فكشف المبرّد الأخطاء النحويّة واللغوية التي وقع فيها الشّعراء[4]، وتتبّع من وقع منهم في هذه الأخطاء، فيقول في أبي العتاهية: " كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشّعر وسهولته عليه يكثرعثاره وتصاب سقطاته، وكان يلحن في شعره، ويركب جميع الأعاريض"[5].

2- تنميق الأسلوب:

في نظرة متفحصّة في مؤلّفات المبرّد، نجد اهتمامه بتنميق الشّعراء للأسلوب وإن لم يصرّح بذلك، فقد وقف على وجوه تحسين الكلام وهو ما أطلق عليه ابن المعتز البديع، ووضع قواعده وجمع فنونه[6]، وهوما يختص بتنسيق صياغة الكلام وتجميل الأسلوب.

فقد نقل المبرّد من أشعار المحدثين ما يشير إلى صور الجمال الفنّي في أشعارهم، كما يفرّق بين التكلّف والصنعة، فيعيب الأوّل ويستحسن الثاني، فاستحسن بديع أبي نواس وحذقه في الصّنعة، وكان معجباً بعذوبة كلام المحدثين[7]، وحلاوة رثائهم[8].

ويبدو اهتمام المبرّد بوجوه تحسين الكلام من عنايته ببعض أنواع البديع، فقد تحدّث المبرّد عن الاستعارة، وهو الباب الأوّل من البديع عند ابن المعتّز[9]، وقد فصّلنا هذا في صفحات

---

[1] المبرّد، الكامل، 1020/2.

[2] انظر ابن سنان، الفصاحة، ص71

[3] انظر المبرّد، الفاضل، ص83

[4] انظر النقد اللغوي عند المبرّد ص 50 فيما سبق من البحث

[5] المرزباني، الموشّح، ص 262

[6] انظر ابن المعتز البديع، ص 4 وما بعدها

[7] المبرّد، الكامل، 43/1

[8] انظر المصدر نفسه، 1427/3

[9] انظر ابن المعتّز، البديع، ص3

سابقة[1]، كما أشار المبرّد لنوع آخر من البديع عند الشّعراء وهو استخدام المطابقة، وإن لم يذكر المبرّد ما عيب منها في الكلام والشّعر كما فعل ابن المعتز[2].

وقد اكتفى المبرّد بعرض لون من تقسيمات هذا الضّرب، وهو ما يكون بلفظين من نوع واحد: أي ما يكون بين اسمين، وهو ما ورد في قوله تعالى:﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ [3]، أو ما يكون بين فعلين وهو ما جاء عنده في قوله تعالى:﴿ تؤتي الملكَ من تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممّن تشاء﴾[4].

وذكر المبرّد معاني متطابقة، وهي ما يقال للسيّئ الغذاء، وما يقال للذي قد أحسن غذاؤه، فيقول: " ويقال للسيّئ الغذاء الحجِن والقتين، ويقال للذي أحسِن غذاؤه مُسَرهَف ومُعَذلج ومُخرَج[5].

وقد اعتنى المبرّد بالسّجع ضمن عنايته بالبديع، وهو ما يؤثّر في تنميق أسلوب الأديب، وقد عرّفه قائلاً: " والسّجع في كلام العرب: أن تأتلف أواخر الكلام على نسقٍ، كما تأتلف القوافي"[6]، كما ميّز المبرّد بين الكلام المنثور والمسجوع قائلا:" والكلام المنثور والسّجع " [7]، وقد وضّح المبرّد السّجع بأنّه موالاة الصّوت، مستشهدا بقول لابن الدمينة:

أأن سجعت ورقاء في رونق الضّحى على فنن غضّ النبات من الرّند [8].

ويبدو أنّ المبرّد لم يستحسن من السّجع سجع الكهان، ونفهم هذا من إيراده سجع أبي إسحاق[9]؛ وقوله فيه:" كان يدعي أنّه يلهم ضربا من السّجاعة لأمور تكون ثمّ يحتال فيوقعها، فيقول للنّاس: هذا من عند الله عز وجل" [10]، فقد كان محتالاً يؤذي الناس، فقد ذكر المبرّد كيف هرب أسماء بن خارجة الفزاري من الكوفة وترك الدّار بعد سماعه لسجع أبي إسحاق:" لتنزلن

---

[1] انظر ص 155 فيما سبق من البحث.

[2] انظر ابن المعتز، البديع، ص 46

[3] سورة الكهف: 18

[4] سورة آل عمران: 26

[5] المبرّد، الفاضل، ص 82 و83.

[6] المبرّد، الكامل، 788/2

[7] المبرّد، البلاغة، ص 80

[8] المبرّد، الكامل، 788/2

[9] أبو إسحاق: هو المختار عبد الله بن عُقْبة الغَنَوي. انظر ابن الأثير الشيباني، عز الدين أبي الحسن علي (ت:630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، 1979م، 234/4.

[10] المبرد، الكامل، 1191/3

من السّماء دار دهماء، فلتحرقن دار أسماء "، وكان يقول: " أقد سجع بي أبو إسحاق! هو والله محرق داري!".

كما ظهرت عناية المبرّد **بالالتفات** وهو أوّل محاسن الكلام التي ذكرها ابن المعتز بعد فنون البديع[1]. وقد اكتفى المبرّد بذكر نوع واحد من الالتفات، وهو أن ينصرف فيه المتكلّم عن الإخبار إلى المخاطبة، وعن المخاطبة إلى الإخبار، وكان هذا أثناء تعقيبه على بيت الأعشى الكبير:

وأمتَعَني على العشا بوليدةٍ [2] فأبْتُ بخيرٍ منك يا هَوذُ حامِدا

إذ قال: " فإنّه كان يتحدّثُ عنه ، ثمّ أقبلَ عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة "[3]، ثمّ يستشهد المبرّد بقوله عزّ وجلّ:﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَينَ بهم بريح طيّبةٍ ﴾[4]، شارحاً الالتفات الوارد في الآية الكريمة: " كانت المخاطبة للأمة، ثم صُرفت إلى النبيّ إخبارا عنهم ".

3- الأسلوب والمخاطب:

وقد ظهرت عناية المبرّد بضرورة اختيار الأسلوب الذي يناسب المقام، وكأنّه يدعو الشاعر إلى مراعاة أحوال المخاطَبين، وهذا ما يذكر في مقياس الدّقة، إذ يرى المبرّد ضرورة اختيار الشاعر أدق الألفاظ في أداء المعنى، ولاسيّما حين يخاطب الخلفاء أو يمدحهم، وكأنّه بهذا ينادي بضرورة الاهتمام بأحوال المخاطَبين.

وقد كان لآخرين بعد المبرّد عناية بهذا فقيل: "والفطن الحاذق يختار للأوقات ما شاكلها وينظر في أحوال المخاطبين ...، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ويتفقّد ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره"[5].

كما ظهرت عناية المبرّد بالأسلوب الذي يعتمد المخاطَب، فقال: "والعرب تلف الخبرين المختلفين، ثمّ ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلٍّ خبره" [6]. وقد عدّ الباحثون

---

[1] ابن المعتز، عبد الله ، (ت: 296) ، **كتاب البديع**، ط:3، ص 58، دار المسيرة، بيروت،1982

[2] وليدة: جارية. انظر الأعشى الكبير، الديوان، ص114

[3] المبرّد، الكامل، 910/2

[4] سورة يونس: 22

[5] ابن رشيق، العمدة، 229/1

[6] المبرّد، الكامل، 166/1

المبرّد من أوائل الذين التفتوا إلى هذا الأسلوب [١]، ويبدو أنّ المبرّد ذكر التعريف دون ذكر المصطلح، وهو ما عُرف لاحقاً بأسلوب اللف والنشر، وهو ذكر متعدّد على جهة التّفصيل أو الإجمال، ثمّ ذكر ما لكلّ واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه [٢]، وكان حديث المبرّد في هذا شافياً لم يضف المتأخرون إلى جوهره شيئاً مذكوراً [٣]، وقد ذكر المبرّد أمثلة على هذا الأسلوب منها ما جاء في بيت امرئ القيس الذي أطلق عليه المبرّد التشبيه الجامع:

كأنّ قلوبَ الطّير رَطباً ويابساً لدَى وَكرها العُنّابُ والحَشَفُ البالي [٤]

والذي قال فيه:" فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: هلاّ فصّل، فقال: كأنّه رطباً العنّاب، وكأنّه يابساً الحشف، قيل له: وهذا العربي الفصيح اللقن الفطن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى بعد ذلك التّكرير عيّاً" [٥].

كما قام المبرّد بتوضيح شرط استخدام هذا الأسلوب في استشهاده بقوله تعالى: ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ [٦]، فقال: "علماً بأنّ المخاطبين يعلمون وقت السكن ووقت الاكتساب" [٧]، وكأنّ المبرّد يشير إلى دور المتلقي أوالمستمع.

وحين تحدّث المبرّد عن أسلوب الحذف، اشترط فيه علم المخاطب بالمحذوف ومعرفته به، فيقول: "وممّا يحذف لعِلم المخاطب بما يقصد له قولهم: لا عليك، إنّما يريدون: لا بأس عليك" [٨].

وقد قال المبرّد في معنى صدر بيت عمران بن حطّان:

وما منـــــــــهما إلاّ يُسَرُّ بِنُسبَةٍ تُقَرِّبُني منه وإن كان ذا نَفَر [٩]"

موضّحاً المعنى إذ يقول: "أي: وإن أحدٌ، ومعنى إن معنى ما"، ويستشهد بقول الشّاعر:

وما الدّهـــــرُ إلاّ تارتان فمِنهُما أموتُ وأخرى أبتَغي العيشَ أكدَحُ

---

[١] انظر مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط:1، 73/3، (الطي والنشر)، المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1983

[٢] انظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 1/ 519

[٣] حسين، عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، ط:1، ص217-218، دار نهضة مصر، القاهرة،1975

[٤] انظر البيت وشرحه ص 160 فيما سبق من البحث.

[٥] المبرّد، الكامل، 922/2. انظر معنى العيّ ص 85 فيما سبق.

[٦] سورة القصص: 73.

[٧] المبرّد الكامل،923/2

[٨] المبرّد، المقتضب، 129/4

[٩] المبرّد، الكامل، 1088/3

يريد: "فمنهما تارةٌ "[1]

وأحسب المبرّد رأى ضرورة عناية الشاعر بحدوث الانسجام بين المنشِئ والمتلقّي؛ حتّى يؤدي النّص وظيفته ومهمته على أتمّ نسق[2].

وكان هذا في استحسان المبرّد تخلّص الخنساء فيقول: "ممّا قدمناه من شعرها واستحسناه من تخلّصها قولها"[3]؛ وذلك لأنّها عبّرت عن مقدار حزنها على أخيها، وذلك بسؤال عينيها البكاء على من يحمل هذه الصفات:

أعيـــــنيّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السّيدا

وهو ما كان تمهيداً لذكر مناقبه، وهو المقصود من قصيدتها، فكان السامِع مترقباً للانتقال إلى هذا الغرض الرئيسي.إذ قالت:

طويل العماد عظيم الرّما د ساد عشيرته أمردا

إذا القـــــوم مدّوا بأيديهم إلى المجد مدّ إليه يدا

وفي هذا اهتمام من قبل المبرّد بضرورة الانسجام بين الشاعر والمتلقي، **فحُسن التخلّص** كما عُرّف بعد المبرّد "الانتقال ممّا شبب الكلام به من تشبيب أوغيره إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما؛ لأنّ السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب المقصود كيف يكون، فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرّك من نشاط السّامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس"[4].

وقد كان المبرّد مختلفاً في تسمية هذا المصطلح عن غيره، فقد أطلق عليه التخلّص، وسمّاه ثعلب[5] وابن المعتز[6] **حُسن الخروج** من معنى إلى معنى، وجاء العسكري بعد ذلك

---

[1] المبرّد، الكامل، 1096/3

[2] انظر عمار، ياسر محمد عطا، رسالة ماجستير، ص 16

[3] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 90

[4] الخطيب القزويني، جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن، (ت: 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة** ، ط:6 2/609-610،

(تح/ محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت،1999م.

[5] ثعلب، قواعد الشّعر ص 50

[6] ابن المعتز، البديع، ص 60

فخصّص جزءاً من كتابه الصناعتين للحديث عن هذا المصطلح، مطلقاً عليه " الخروج "[1].

كما أولى المبرّد عنايته بالكلام البليغ، وهو ما يوصل المعنى المطلوب للمتلقّي دون لبس، ويكون مناسباً للمتلقي، فيحدث الانسجام بين المنشِئ والمتلقي؛ لذا نقل ما ورد عند العتابي من أهداف البلاغة دون أن ينكره، وكأنّه موافق عليه: "قيل للعتابّي: ما أقرب البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السّامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السّامع "[2].

لذا رأى المبرّد ضرورة أن يكون الكلام بعيداً عن اللهجات المذمومة وعيوب الكلام واللحن؛ فيحقّق أهداف البلاغة ويكون بهذا الكلام فصيحاً.

وقد وقف الجاحظ على ذلك، وكأنّ الرجلين متقاربان في أهداف الكلام البليغ، فقد نقل الجاحظ مفهوم أحدهم في البلاغة فقال: "كل من أفهمك حاجتك من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ "[3]، ثمّ قام الجاحظ بتوضيح هذا المفهوم قائلاً:" إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء"[4].

لذا نرى المبرّد يولي عنايته بحبسة اللسان، ويعدّها عيباً من عيوبه، يؤثّر في بلاغة الكلام؛ لأنّه يؤثّر في فصاحته، ويعرّف المبرّد الحبسة بقوله: "تعذّر الكلام عند إرادته "[5]، وينقل ما ورد عند الجاحظ: " قال لي محمد الجهم: لما كانت أيام الزُط أدمَنتُ الفِكر، وأمسكت عن القول، فأصابتني حبسة في لساني، وهذا يكون لأنّ اللسان يحتاج إلى التمرين على القول، حتّى يخفّ له، كما تحتاج اليد إلى التمرين على العمل ..."[6].

وقد أشار المبرّد إلى أعراض الحبسة فيما نقله عن العتّابي: " إذا حبس اللّسان عن الاستعمال اشتدّت عليه مخارج الحروف"[7].

كما نجد المبرّد يولي عنايته بالحديث عن عيوب الكلام الأخرى، وكأنّها في نظره نقيضٌ لفصاحته؛ لأنّ هذه العيوب في النطق تفقد هذا الكلام عنصر الإفهام، فذكر أمثلة على عيوب النّطق وعرّفها فقال: "التّمتمة: التّردّد في التّاء. والفأفأة: التّردّد في الفاء. والعُقلة: التواء اللّسان

---

[1] العسكري، الصناعتين، ص 515

[2] المبرّد، الكامل، 1502/3

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، 113/1

[4] المصدر نفسه، 162/1

[5] المبرّد، الكامل، 761/2

[6] المصدر نفسه، 532/2

[7] المصدر نفسه، 764/2

عند إرادة الكلام. والحُبسة: تعذّر الكلام عند إرادته. واللَّفَف: إدخالُ حرفٍ في حرف. والرُّتة: كالرّيح تمنّعُ أوّل الكلام. فإذا جاء منه شيء اتّصل. والغَمغمة: أن تسمع الصّوت ولا يتبيّن لك تقطيعُ الحروف. والطَّمطمة: أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم. واللُّكنة: أن تعترض على الكلام اللغة الأعجميّة ... واللثغة: أن يُعدل بحرفٍ إلى حرف. والغُنّة: أن يُشرب الحرفُ صوتَ الخيشوم. والخُنّة: أشدّ منها. والتّرخيم: حذف الكلام "[1].

كما رأى المبرّد وجوب خلو الكلام من اللّحن؛ حتّى يكون الكلام فصيحاً، ويصل إلى المتلقّي ويؤدي وظيفته على أتمّ نسق؛ وذلك لأنّ اللّحن يُفقد الكلام عنصرالإفهام، وهذا ما كان في نقل المبرّد سؤال الحجاج ليحيى بن يعمر:" أتسمعني ألحن؟"[2]، فنفى يحيى بن يعمر عن الأمير اللّحن قائلاً: "الأمير أفصح من ذلك ..."[3]، وكأنّ المبرّد يوافق على أن فصاحة الشخص تتنافى مع اللحن.

لذا اعتنى المبرّد بالنّحو وعدّه من أفضل العلوم[4]، ويبدو أنّ المبرّد يؤكّد هذا في ذكره هذين البيتين:

النحو يُطلِقُ من لسان الألكَن والمرءَ تعظمه إذا لم يلحن
فإذا طلبــتَ من العلوم أجلّها فأجلُّها منها مُقيمُ الألــسن[5]

إنّ اهتمام المبرّد بكلّ ما سبق لأكبر دليل على عنايته بضرورة الانسجام بين المنشِئ والمتلقّي.

4- المؤاخاة :

اعتنى المبرّد بمقاربة الكلمة أختها، ومعاضدة شكلها، وكان هذا باختيار الكلام؛ ليتحقق حُسن النظم فيه، وهو حق البلاغة عند المبرّد[6]، فدعا إلى أن يُنظم القول على نسق واحد، وأنْ يوضع على رسم المشاكلة، فهذا أوّلُ ما يَحتاجُ إليه القولُ[7].

---

[1] المبرّد، الكامل، 761/2 و 762

[2] المصدر نفسه، 365/1.

[3] المصدر نفسه، 365/1.

[4] انظر المبرّد، الفاضل، ص4 .

[5] المصدر نفسه، ص4

[6] انظر ص 84 فيما سبق اللفظ والمعنى.

[7] انظر المبرّد، الكامل، 691/2

وهذا ما أوضحه البلاغيون بعد المبرّد وأطلقوا عليه مراعاة النّظير والتناسب والائتلاف والتوفيق[1]، وجعلوا جزءًا منه المشاكلة.

وكأنّ المبرّد يشير إلى وجود مؤاخاة أومشاكلة بين المعنى والمعنى، وبين اللفظ واللفظ، وبين اللفظ والمعنى، وهو ما يحقق نظم الكلام، فيكون القول متّسق الأجزاء، وهذا ما استحسنه المبرّد في شعر ابن مناذر، فقال عنه: "رمى في شعره بالمثل السّائر، والمعنى اللطيف، واللفظ الفخم الجليل، والقول المتّسق النّبيل"[2].

أ -المؤاخاة بين المعاني:

اهتم المبرّد بالمشاكلة أو المؤاخاة بين المعنى والمعنى؛ ليجري الكلام على نظم، وقد ظهر رأي المبرّد هذا، من تأييده لما عابه نُصيب في بيت الكُمَيْت بن زيدٍ:

وَقد رَأينا بها حُوراً مُنَعِّمَةً بيضاً تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ

وقد "أتى نُصَيبٌ خِنصَرَهُ، فقال له الكُمَيْتُ: ما تصنَع؟ قال: أحصي خَطأك! تَباعَدتَ في قولك (تَكامَلَ فيها الدَّلُّ والشَّنَبُ) هَلاَّ قلتَ كما قالَ ذُو الرُّمَّة:

لَمياءُ فِي شَفَتَيها حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللِّثاثِ وَفِي أنيابها شَنَبُ"[3]

فقال المبرّد:" والذي عابه نُصيب من قوله : (تكامل فيها الدّل والشّنَبُ) قبيح جداً، وذلك أنّ الكلام لم يجرعلى نظم، ولا وقَعَ إلى جانب الكلمة ما يُشاكِلُها، وأوّل ما يحتاج إليه القول أن يُنظم على نَسَق، وأن يوضع على رسم المُشاكلة"[4].

وقد يكون ما عابه المبرّد في قول الشّاعر، هوعدم المؤاخاة بين المعنى والمعنى وذلك لما قيل إنّ "الدّل – وهو ما يكون من تجنّي المحبوب – لا يناسب الشّنب فهو ماء ورقة وعذوبة في الأسنان"[5]، " فالدّل لا يكون مع الشّنب إنّما يكون مع الغنج أو نحوه، والشّنب إنما يكون مع

---

[1] انظر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 505/2

[2] المبرّد، الكامل، 1427/3.

[3] المصدر نفسه، 690/2، 691/2

[4] المصدر نفسه، 2/ 690

[5] .العماري، قضية اللفظ والمعنى وأثرها، ص245

اللّعس[1] أو ما يجري مجراه من أوصاف الثّغر والفم والشّفة "[2]، وهو ما رآه نُصيب في بيت ذي الرّمّة وأيّده المبرّد.

وظهر رأي المبرّد بضرورة المؤاخاة بين المعنى والمعنى كذلك في نقله لبيت أنشده أستاذه عَمرُو بنُ بحر(الجاحظ):

وشعرٍ كبعر الكَبش فرَّقَ بينَهُ لِسانُ دَعِيٍّ في القَريضِ دَخيلِ[3]

ثمّ علّق المبرّد عليه: "إنّ قائل هذا البيت أراد أنّ الشعر الذي هجاه مختلف المعاني غير جارٍ على نظمٍ ومشاكلة"[4].

لقد أوضح تعليق المبرّد عنايته بضرورة المشاكلة أوالمؤاخاة بين المعنى والمعنى في قول الشاعر؛ ليتحقّق حسن نظم الكلام، فقد شبّه الشّعر الذي انتقده ببعر الكبش، وهو ما أوضحه المبرّد قائلاً:" وبعر الكبش يقع متفرّقاً"[5]، وكأنّ المبرّد أراد أنّ معاني الشّعر عند الشّاعر كما قيل: "لا يربطها رابط، ولا تتوالى مع بعضها البعض، وإنّما هي متباعدة في سياقها"[6].

وقد رأى الجاحظ في البيت ذاته تباعدًا في ألفاظ الشّاعر، إذ يقول:" وأمّا قوله (كبعر الكبش) فإنّما ذهب إلى أنّ بعر الكبش يقع متفرّقاً غير مؤتلف ولا متجاور. وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشّعر من البيت تراها متّفقة لمساً وليّنة المعاطف سهلة.

وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقّ على اللّسان وتكده. والأخرى تراها سهلة ليّنة، ورطبة مؤاتية سلسة النّظام، خفيفة على اللسان حتى كأنّ البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"[7].

---

[1] اللعس: سواد مستحسن في باطن الشّفة، انظر المعجم الوسيط (لعسه)

[2] منصور، البسيوني أحمد، الخصومة بين القديم والجديد في النقد العربي القديم، ص206

[3] المبرّد، الكامل، 691/2

[4] المرزباني، الموشّح، ص362

[5] المبرّد، الكامل، 691/2

[6] طه، هند حسين، النظرية النقدية عند العرب، ص111

[7] الجاحظ، البيان التبيين، 67/1

ب- المؤاخاة بين الألفاظ :

كما يبدو أنّ مقاربة الكلمة أختها عند المبرّد تكون بالمؤاخاة أو المشاكلة بين اللفظ واللفظ كذلك، فتعاضدِ الكلمة شكلها، وهذا ما يحقق حُسن الرّصف واستواء النّظم الذي استحسنه المبرّد في قول النّابغة الذبياني لحصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاريّ:

يقولون حِصنٌ ثمّ تأبى نفوسُهُم وكيف بحِصنٍ والجبالُ جُنوحُ
ولم تَلفِظِ المَوتى القُبورُ ولم تَزُل نُجومُ السماءِ والأديمُ صحيحُ
فعمّا قليـــــــــلٍ ثمّ جاءَ نَعِيُّه فظلّ [1] نَدِيُّ الحَيِّ وهو ينوحُ [2]

فقال فيه: "خرج في كلامٍ جيّد ثمّ جُعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يُستحسن"[3].

كما وصف المبرّد ألفاظ العرب بأنّها حسنة الرّصف، فيقول:"من ألفاظ العرب ... الحسنة الرّصف الجميلة الوصف"[4].

وإن كان المبرّد لم يبيّن قصده بحسن رصف الألفاظ، فالظن أنّ الأمر يعود إلى نظم الكلام وموضع الألفاظ فيه، وأنّ قصد المبرّد بهذا المصطلح لم يخرج عمّا جاء به العسكري من تعريف لهذا المصطلح بعد المبرّد، إذ يشير إلى:" أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التّقديم والتّأخير، والحذف والزّيادة إلاّ حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يعمي المعنى، وتضمّ كلّ لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها، وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها" [5]، وقد يؤيّد ما ذكر سابقا عيب المبرّد لبيت الفرزدق:

وما مِثلُهُ في النّاس إلاّ مُملَّكاً أبو أمِّهِ حَيٌّ أبوهُ يُقاربُهْ [6]

وذلك لما في هذا البيت من تقديم وتأخير في اللفظ جعل فيه هذا التهجين؛ وذلك لأنّ الألفاظ لم توضع في مواضعها، وكأنّ المبرّد في هذا يعيب سوء الرّصف في هذا البيت، وإن لم

---

[1] رواية الديوان (فبات نديّ القوم)، انظر النابغة الذبياني، الديوان، ص 74
[2] المبرّد، الكامل، 1033/2
[3] المصدر نفسه، 1033/2
[4] المصدر نفسه، 40/1
[5] العسكري، الصناعتين، ص179
[6] انظر البيت ص 38، فيما سبق من البحث.

يذكر المصطلح. فالمبرّد يعيب التقديم والتأخير في اللفظ إن أفسد الكلام، ويستحسن أن يكون اللّفظ منسجماً مع غيره من الألفاظ، إذ تركّب الألفاظ بعضها جوار بعض، تركيباً ترضى عنه قواعد اللغة. لذا يستحسن المبرّد بيتاً لأبي نواس لاستقامة لفظه [1]، وإن لم يوضّح المبرّد ما قصده باستقامة اللفظ، فلعلّه قصد به انسجام اللفظ مع قرائنه من الألفاظ.

كما نادى المبرّد بما عرف عند غيره بالمشاكلة، وهي:" ذكر الشّيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أوتقديراً"[2]، فقال المبرّد في قوله تعالى: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ﴾ [3]، "المعنى: فاقتّصوا منه، يُخرَج اللفظ كلفظ ما قبله، كقول العرب: (الجزاء بالجزاء)، والأوّل ليس بجَزاء"[4].

ج- المؤاخاة بين اللفظ والمعنى:

ظهرت عناية المبرّد في ضرورة المؤاخاة بين اللفظ والمعنى من تعريفه للبلاغة كما ذكر سابقاً، فحقّ البلاغة عند المبرّد إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام [5]، كما تتضّح عنايته بضرورة المؤاخاة بين اللفظ والمعنى، وإن لم يتحدّث عن ذلك بشكل مباشر، ولكنّنا نفهم اهتمامه في هذا بربطه اللفظ بالمعنى في غير موضع، وهذا ما تناولناه أثناء حديثنا عن قضية اللفظ والمعنى عند المبرّد.

وقد ظهر تنبّه المبرّد لهذا المقياس بملاحظته أنّ للنسيب ألفاظا خاصة، وأنّ للمدح ألفاظًا خاصّة به، وللذّم ألفاظاً خاصة كذلك، لا ينبغي أن تختلط هذه الألفاظ؛ كأنْ تستعمل ألفاظ الذّم للمدح[6].

وحين تحدّث المبرّد عن صحة المعنى ربط ذلك بجزالة اللفظ [7]، فكلام رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم، حمل المعنى الصحيح الذي ظهر في الوعظ، وكان اللفظ الموضوع له جزلاً [8]،

---

[1] المرزباني، لموشّح، ص320

[2] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 511/2

[3] سورة البقرة: 194

[4] المبرّد، ما اتّفق لفظه واختلف معناه، ص28

[5] انظر ص 84 فيما سبق من البحث .

[6] انظر ص 169 فيما سبق من البحث.

[7] انظر المبرّد، الكامل، 63/1

[8] انظر ص 190 فيما سبق من البحث.

وحين تكلّم المبرّد عن المعاني المفهومة رأى ضرورة ألاّ يكون اللفظ غريباً [1]، كما رأى ضرورة ارتباط المعنى اللطيف بلفظ فخم جليل فيكون القول متّسقاً [2]، وحين عاب المبرّد أبعد المعاني ربط ذلك بأهجن الألفاظ[3].

5- وحدة النّسج:

النّسج "هو الأسلوب أو التعبير عن المعاني والأفكار بألفاظ وعبارات يشدّ بعضها بعضًا؛ ليصبح الكلام كالنسيج الذي انضمّت خيوطه وترابطت وأصبحت محبوكة، ليس فيها خيط مضطرب ولا لون ضال"[4].

وقد اعتنى المبرّد بوحدة النسج، وإن لم يذكر المصطلح أو يعرّفه، فطلب أن تكون أبيات القصيدة الواحدة ذات أسلوب متقارب لا ارتفاع في بعضها وانحطاط في بعضها الآخر؛ لذا فهو يدعو لتنقيح الشّعراء أشعارهم وهذا ما استحسنه في أبيات الفرزدق وعابه على جرير، فقال: "الفرزدق يجيء بالبيت وأخيه، وجرير يأتي بالبيت وابن عمّه " [5]، ويعيب على أبي تمام كذلك أن يقول البيت النّادر، فيتبعه البيت السّخيف؛ فيكون بهذا شعره متفاوتاً،لا وحدة نسج فيه.

وقد أوضح المبرّد رأيه هذا في مثال نقله فيقول: "خُبِرتُ أن عُمَرَ بن لَجَأٍ، قال لابن عمّ له: أنا أشعرُ مِنك، قال له: وكيف؟ قال : لأنّي أقول البيتَ وأخاه، وأنت تقول البيتَ وابنَ عمّه "[6]. ويقصد بهذا أنّ أبياته، فقدت وحدة النّسج.

6-الاختصار والإطناب:

اعتنى المبرّد بالاختصار والإطناب، وهذا من الأساليب العربية التي شغلت النقاد في مختلف العصور، وشارك المبرّد في هذا الجهد، فأشار في مؤلّفاته إلى فضل الاختصار، إلا أنّه لم يقلل من قيمة الإطناب، فعدّهما معاً من الأساليب العربيّة، إذ يقول:"من كلام العرب الاختصار المُفهم والإطناب المفخم"[7].

---

[1] المبرّد، التعازي والمراثي، ص 272

[2] المبرّد، الكامل، 1427/3.

[3] انظر المصدر نفسه، 42/1

[4] مطلوب، أحمد، معجم النقد العربي القديم، 397/2

[5] المرزباني، الموشّح، ص121.

[6] المبرّد، الكامل، 691/2. و المرزباني، الموشّح ص362

[7] المبرّد، الكامل، 40/1 .

الاختصار

لذا اعتنى المبرّد بالاختصار، وجعله أحد الفضائل الكبرى في الكلام، وعبّرعن تفضيل الاختصار في الكلام، بقوله: "خيرُ الكلام ما أغنى اختصارُهُ عن إكثاره" [١]. فالغاية عند المبرّد أنْ يؤدي القائل المطلوب بأقل عدد من الألفاظ ليكون المعنى مع الإيجاز مستوفى. فلم يخرج ذوقه عن الذّوق العربيّ في اهتمامه بأسلوب الكلام المختصَر، فقد كانت العرب تفضّل الإيجاز الذي يظهر في أداء المعاني من أقصر طريق وبألفاظ قليلة.

وقف المبرّد على الكثير من أمثلة الاختصار فاستحسنها، مشترطاً الإفهام فيها، فيستشهد بسؤال معاوية لعيّاش بن صحار العبدي: "ما أقرب الاختصار؟ قال: لمحة دالة "[٢].

وقد أكثر المبرّد من سرد الأمثلة التي تدلّ على تفضيله واستحسانه للاختصار في الأسلوب المصحوب بالإفهام؛ فخصّص باباً في اختصار الخطب، وذكر منها خطبة أبي طالب ابن عبد المطلّب في رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- قال فيها: "وهذه الخطبة من أقصد [٣] خطب الجاهلية"[٤].

كما نقل رأي العُتبيّ (محمد بنُ عُبيدِ الله) في أوّل خطبة لأبي بكر بعد توليه الخلافة، قال فيها: "لم أر أقلّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى" [٥]، وكأنّ المبرّد يوافق العُتبيّ في رأيه في هذه الخطبة واستحسانه لها لما فيها من اختصار في الكلام.

والمبرّد يعقد موازناته بين الأبيات الشّعريّة، فيفضّل الكلام المختصرعلى المطنب المسهب إذا كانا في المعنى ذاته فيورد قول امرئ القيس:

سمـــــــاحة ذا وبرّ ذا ووفاءَ ذا ونائلَ ذا، إذا صحا وإذا سَكِر [٦]

ويفضّله على قول عنترة في المعنى ذاته:

---

[١] المبرد، الكامل، ص 884

[٢] المصدر نفسه، 884/2

[٣] القصد: القليل.انظر، المعجم الوسيط، (قصد).

[٤] المبرّد،الكامل، 1362/3

[٥] المصدر نفسه، 18/1

[٦] المرزباني، الموشح، ص57.

فإذا شـــــــــربت فإنّني مستهلكٌ مالي، وعرضي وافرٌ لم يُكلم

وإذا صحوتُ فما أقصّر عن ندىً وكما علمت شمائلي وتكرّمي [١]

وذلك لأنّ بيت امرئ القيس جمع في بيتٍ واحد أوصافاً كثيرة: (سماحة ذا وما بعده)، وأثبت له الجود والعطاء في حالتيّ الصّحو والسّكر، وهذا ما كان في بيت عنترة من فخر بنفسه في حالتي الصّحو والسّكر، إلاّ أنّ عنترة أطنب؛ فأدّى المعنى في بيتين فاستحقّ منزلة دون امرئ القيس الذي اتّصف قوله بالإيجاز.

إنّ الأصل عند المبرّد أن يؤدّي القول غايته، وكلّما كان هذا بعدد أقلّ من الكلمات كان مستحسَناً بليغاً عند المبرّد، فالمفاضلة بين الشّعراء تكون في قدرتهم على التّعبيرعن المعنى في أقلّ لفظ؛ كما كان الاختصار سمة من سمات الكلام الفصيح عند المبرّد ، فقد اشترط فيه أن تكون ألفاظه مناسبة لغاية القول، فلاعجز فيه عن بلوغ الغاية ولا إسراف يتجاوز به القدر، وهذا ما رآه المبرّد في كلام أبي ناظرة السدوسي، وهو من أهل العلم والمعرفة بكلام العرب، فيقول عنه يرثي البصرة وأهلها بكلام عربي فصيح، وهو ما كان أوّله:

منازلنا هل من إياب مؤمّلٍ إليك ، إذا ما آب كلّ غريب [٢]

قال المبرّد فيه:" ذلك بأنّه ينبئ أنّه كلام موجع يخرج عن نيّة صادقة، من ألفاظ رجل لا عجز يقعد به عن بلوغ الحاجة، ولا إسراف في قوله وتمحّل يتجاوز به القدر"[٣].

وقد ظهرت عناية المبرّد بأسلوب الحذف ووضّح غاياته، فتحدّث عن حذف بعض أجزاء الكلام بهدف الإيجاز، منه حذف التوكيد[٤]، فيقول: "فإن طال الكلام حسُن حذف التوكيد "[٥]، وفي موضع آخر يتحدّث عن الحذف بغاية جمالية، فيقول إذا طال الكلام كان الحذف أجمل [٦]، كما حذف الفعل في العطف منعًا للتكرير، فقال:" وذلك قولك رأسك والحائط ودلّ على الفعل المحذوف بما يشاهد من الحال" [٧]، وذكر الحذف للاستغناء: ومنه حذف المضاف استغناء بإضافة الثّاني، وذلك في باب الاسمين لفظهما واحد والآخر منهما مضاف كأن تقول:

---

[١] المصدر نفسه، ص 57.

[٢] انظر البيت ص 153 فيما سبق من البحث

[٣] المبرّد، التّعازي والمراثي، ص 282

[٤] المبرّد، المقتضب، 3/ 210

[٥] المصدر نفسه، 210/3

[٦] انظر المصدر نفسه، 336/2

[٧] المصدر نفسه، 215/3

(يا زيد زيد عمرو) فتقصد يا زيد عمرو، وأقحمت يا زيد عمرو تأكيداً للأوّل فحذفت من الأوّل المضاف إليه استغناء بإضافة الثّاني[1].

وتحدّث عن الحذف للاستخفاف لعلم السّامع ما يريد القائل كقولك: (الهلال والله) أي هذا الهلال، وأغنى عن قوله هذا القصد والإشارة"[2].

أما الحذف لكثرة الاستعمال، فقد استشهد المبرّد بقول رؤبة حين يسأل: " كيف أصبحت؟ فيقول: خيرٍ عافاك الله" فيقول المبرّد: " فلم يضمر حرف الخفض ولكنّه حذف لكثرة الاستعمال"[3]، وبقيت آثار الحرف المحذوف.

الإطناب:

نقل المبرّد رواية قد تعدّ دفاعاً مشروعاً عن الإطناب، وكان هذا في مواضع بيّن فيها هدف الإطناب: وذلك في قوله: "قال رجل لخالد بن صفوان إنّك لتكثر، فقال: أكثر لضربين: أحدهما فيما لا تغني فيه القلّة، والآخر لتمرين اللسان، فإنّ حبسه يورثُ العُقلة"[4].

فالإطناب مقبول عند المبرّد حين لا ينفع الاختصار، ولا يؤدي هدف الكلام غير الإطناب فيه، كما أنّ الإطناب مهمّ عنده حتى يعتاد الشّخص مخاطبة النّاس بيسر وتمكّن، فإنّ حبْس اللسان يؤدي إلى العقلة[5]، فغاية المبرّد من الإطناب في الكلام تعويد اللسان على ممارسة الكلام لبلوغ البلاغة.

أنواع من الإطناب:

قدّم المبرّد نموذجاً لأسلوب الإطناب وهو ما سمي بعده **الإيغال**[6]، دون أن يذكر المصطلح أو تعريفه، وهو ما أوضحه العسكري بعد المبرّد مبيّنًا: "أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحا وتوكيداً وحسنًا"[7].

---

[1] المبرّد، الكامل، نفسه، 227/4

[2] المصدر نفسه، 616/2

[3] المصدر نفسه، 617/2

[4] المصدر نفسه، 532/2 .

[5] انظر تعريف المبرّد للعقلة ص 197 من البحث.

[6] العسكري، الصناعتين، ص422 ، وابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر، 7/2 .

[7] العسكري، الصناعتين، ص422

وكانت إشارة المبرّد لهذا فيما نقل من سؤال التوزي للأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: الذي" ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها، أفاد بها معنى، قلت: نحو من؟ قال: نحو الأعشى [الكبير] إذ يقول:

كناطح صخرة يوماً ليَفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

فقد تم المثل بقوله: وأوهى قرنه، فلما احتاج إلى القافية، قال: الوعل، فزاد معنى، قلت: وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح؟ قال: لأنه ينحط من قنة الجبل على قرنه فلا يضيره"[1].

وإن لم يكن الكلام السابق في الإيغال كلام المبرّد، بل كان نقلاً له، دون تعقيب عليه بما ينكره بعد نقله، فبدا كأنّه يوافق عليه. كما يظن اهتمام المبرّد بهذا النوع من الإطناب – أي الإيغال كما ذكره العسكري– من تعليقه على قول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يُثَقبُ

إنّه:" من تمثيل امرئ القيس العجيب"[2]، وقد يكون سبب تعليقه على هذا البيت؛ أنّ الشّاعر شبّه عيون الوحش لما فيهنّ من السواد والبياض بالخرز غير المثقب؛ لأنّ ذلك أصفى له وأتمّ لحسنه[3]، فزيادة الشّاعر(لم يثقب) أضافت توكيداً لهذا التشبيه؛ لأن الجزع[4] إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون، فهذه الزيادة الحسنة قبل القافية، تأتي لحاجة الشّاعر في توضيح المعنى وتوكيده.

كما استحسن المبرّد بيت زهير:

كأنّ فتات العهن في كلّ منزلٍ نزلن بهِ حَبّ الفنا لم يُحطّمِ[5]

وقد يبدو أنّ سبب استحسان المبرّد هذا البيت للزيادة الحسنة فيه (لم يحطم)؛ لأنّها أوضحت التشبيه المقصود أكثر، فقد شبّه الشّاعر ما يتناثر من فتات الصوف المصبوغ بحب

---

[1] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر، 7/2 . والعسكري، الصناعتين، 422 ، وابن سنان، سر الفصاح، ص 170. وردت كلمة قنة عند العسكري قلة. انظر العسكري، الصناعتين، 422

[2] المبرّد، الكامل، 923/2

[3] انظر امرأ القيس، الديوان، ص53

[4] الجَزع الخرز اليماني الصّيني، فيه سواد وبياض تشبّه به الأعين. انظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب العين، فصل الجيم.

[5] المبرّد، الكامل، 995/2

الفنا الذي لم يحطم؛ " لأنّه أحمر الظاهر أبيض الباطن، فإذا لم يحطم، لم يظهر فيه بياض البتة، وكان خالص الحمرة"[1].

وقد قيل إنّ المبرّد اعتنى بنوع آخر من الإطناب، وهو ما سمّاه العسكري التتميم أو التكميل و عرّفه قائلاً: " أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصّحة ... ثمّ لا تغادر معنى يكون فيه تمامه، إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره"[2].

وقد أشار إلى ذلك أبو الحسن عبد الله الخطيب في دراسته لكتاب الكامل، فيقول عن المبرّد: "كما تكلّم بشأن التّتميم كضرب من الإطناب، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة"[3]، ووجد الشّاهد في قول زهيرعلى علاّته[4] الوارد في البيت التالي:

إن تلق يوماً على علاّته هَرِماً تلقَ السّماحةَ منهُ والنّدى خُلُقا

وعودة إلى تعليق المبرّد على البيت؛ نجده لا يذكر مصطلح التتميم ولا يناقش مضمونه، وقد اكتفى بإيراد هذا البيت أثناء حديثه عن التقديم والتأخير، فيقول معلّقاً:" إنّما هو تقديم وتأخير، ولولا هذا التقديم لم يجز أن يُضمر قبل الذكر"[5]، فلعلّ أبا الحسن حمّل المبرّد ما لم يقصد.

ومع ما ورد من استحسان المبرّد للإطناب إلا أنّه يكره الإطالة التي لا فائدة منها فيقول : "قد أردنا أن نصل كتابنا بما شرطناه على أنفسنا من ذكر ما ينتفع به من يأخذه عنّا، وينشره من ينسبُه إلينا، وقد أتينا منه بعض ما أردنا وقصدنا، وكرهنا الإطالة، وخفنا على قارئه السّآمة وأشفقنا أن يبلغ به حدّ المجاوزة، فإنّ الإكثار سرف كما أنّ التّقصير عجز"[6].

وقال في موضع آخر : "قد ذكرنا من هذا الباب صدراً نخاف على قارئه الملال إن أطلناه، ونحذر من ضجر يلحقه إن أسهبنا فيه، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق"[7].

وفي هذا إشارة واضحة لموقف المبرّد من الإطناب، وهو ما أكدّه الأقوال التي اختار ، فقد نقل قول بعض الحكماء: "من أطال الحديث عرّض أصحابه للسّآمة وسوء الاستماع"[1].

---

[1] انظر ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، ص 8 و9

[2] العسكري، الصناعتين، ص436

[3] الخطيب، المبرّد ودراسة في كتابه الكامل، ص 432

[4] وهذا ما جاء به القزويني ويبدو أنّ أبا الحسن الخطيب نقله . فقد قال القزويني :العلات جمع علة وهي الحدث الذي يشغل صاحبه عن حاجته. والشّاهد قوله على علاته .القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 331/1 . يريد لا يشغله عن الجود شيء. انظر المرصفي، رغبة الأمل من كتاب الكامل، 252/2

[5] انظر المبرّد، الكامل، 258/1

[6] المبرّد، الفاضل، ، ص 99.

[7] المصدر نفسه، ص 86.

الخاتمة

نشأ المبرّد في عصر نضوج الثقافة الأدبية والفكرية، وتتلمذ على عدد من رجال الفكر والأدب، ونقل عنهم الروايات في الأدب والبيان، فبرز علماً من أعلام هذا القرن.

ومع أنّه لم يفرد كتاباً خاصّاً للنّقد ممّا وصل إلينا من مؤلّفاته، إلاّ أنّ آراءه النّقديّة برزت مبثوثة في مؤلّفاته، وفي مؤلفات غيره، فظهرت واضحة وصريحة أحياناً، إذ يشيد ببيت شعري أو قول نثري مظهراً جماله، ويعيب آخر مظهراً ضعفه.

كما كانت لفتاته النقديّة غير واضحة في أحايين أخرى، إذ يمكن استنتاجها فيما نقله من نقد الآخرين لشاهد شعري أو قول نثري، دون أن يعيبه أو يعترض عليه، ولعلّ ذلك يشير إلى تأييده له. فكان من رجالات عصره الناقدين؛ له يد طولى في بلورة النقد في القرن الثالث الهجري ليصبح فنّاً أدبيّاً مستقلاً له رجاله وكتبه التي تناقش عددًا من القضايا، توسّع نقاد القرن الرّابع الهجري في بحثها.

لقد حقّق المبرّد بعض الشّروط التي رأى النقاد وجوب توافرها في النّاقد من ثقافة واسعة، ومعرفة باللغة، ورواية للشّعر ونظمه، ومن معرفة بالأدب الذي ينقده، وكان لهذا دور في إبراز قدرة المبرّد النقدية، فظهر منهجه في الموازنات الموضوعية التي احتكم فيها للجمال الفني، التي عقدها معتمداً الموازنة بين شيئين من جنس واحد.

وقد أظهرت موازناته ذوقه ومنهجه، إذ استحسن الشعر الذي يخلو من الرديء؛ لذا لا يجد في تنقيح الشعر تكلفاً، فكان يدعو له، ويفضّله ليظهر الكلام كالنسيج الواحد، وبهذا يخالف أستاذه الجاحظ الذي عدّ تنقيح الشعر تكلفاً.

كانت نظرة المبرّد للنص تقوم على سلامته من الخطأ، ومطابقته لقواعد اللغة، فظهر عنده النقد اللغويّ الذي اعتنى بكشف أخطاء الشعراء النحويّة منها واللغويّة، ثمّ محاولة تصويبها.

كما عاب المبرّد الإكفاء والإقواء والتضمين في الشّعر، ولكنّه لم يكن مغالياً في عيبه للإقواء؛ فانتصاره لقضية الجمال، يجعله يقبل الشعر أحياناً، وإن كان فيه إقواء، كما قبل الإكفاء في القوافي إن كان في حروف متقاربة المخارج.

اعتنى المبرّد بالنّقد الفني، فمع السّمة البارزة في عصره بأن يكون النقد غير معلّل؛ إلاّ أنه جمع بين النقد المعلّل وغير المعلّل، فكان لاتّصاله بالآثار الأدبيّة مساهمة في تكوين مقاييسه للجمال ونقده، وقد ساعده في ذلك نظمه للشّعر وثقافته الواسعة؛ فأصبح يملك القدرة على

---

[1] المصدر نفسه، ص 99.

التعليل. كما اعتمد أحياناً ذوقه في إدراك الجمال دون تفسير ما يدرك، فاتسمت أحكامه بالتّركيز والاكتفاء بالإشارة العابرة والكلمة الموجزة.

كما تحلّي المبرّد بخلق الرّاوي النّزيه، فكانت السّمّة الغالبة في مؤلفاته دقته في نقل الرّوايات وإسنادها إلى قائليها. وقد أشار المبرّد إلى نوع من النّقد المعتمد تأثير البيئة في لغة الأدب.

لقد اعتنى المبرّد بالقضايا النقدية العامّة التي ظهرت في عصره، ولم يخرج في أغلبها عن ذوق عصره، وكان في بعضها مقدّمة لمن جاء بعده.

اهتمّ المبرّد بالطبع والتكلّف، فعدّ الشاعر المطبوع من يقول الشعرعفو الخاطر، فيرتجل دون إعداد، فوافق بهذا الجاحظ. كما استحسن المبرّد من الشّعر ما جاء متماشياً مع ما عرف بعده بأبواب عمود الشّعر، إلا أنّه لم يصف من خالف هذه الأبواب من الشعراء شاعراً غير مطبوع.

وقد يكون المبرّد شابه الجاحظ في عدم التفريق بين البديهة والارتجال، وأشار إلى اختلاف الشعراء في الطبع، فمنهم من يحسن غرضاً ولا يتقن الآخر، فالمطبوع عند المبرّد يحتاج إلى دواع للشعر تحث طبعه، كما أشار إلى موت قريحة الشّاعر أحياناً، ووجود فترات يكون فيها غير قادر على التعبير وتصوير ما يحس، وكان رأيه في هذا مثل ابن قتيبة. وقد عاب المبرّد التكلّف، وكان حريصاً على تجنّبه في كتاباته، وهو فيما يراه زيادة في الكلام، وذكر ما لا حاجة إليه. كما أنّه استحسن البديع وعدّه صنعة محمودة، شرط أن لا يفرط الشاعر فيه.

جمع المبرّد بين اللفظ والمعنى في اختياره للقول الحسن المتسق، واعتنى بنوع العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه، فوقف عند مبحث الحقيقة والمجاز، فكانت له وقفات عند الاستعمال غير العادي للفظ، وهو ما قصد به المثل والكناية. وكانت البلاغة من المسائل التي التفت إليها في قضية اللفظ والمعنى، فهي عنده إحاطة القول بالمعنى، واختيار الكلام وحسن النظم، مبيّنًا قضيّة التلاؤم والمؤاخاة بين اللفظ والمعنى.

وفي بحثه في البلاغة أشار المبرّد إلى أهميّة الانسجام بين المنشئ والمتلقّي حتى يؤدي النص وظيفته ومهمته؛ ورأى ضرورة أن يكون الكلام بعيداً عن اللهجات المذمومة وعن اللحن، ولعلّه في هذا مثل الجاحظ، فهما متقاربان في أهداف الكلام البليغ.

كان المبرّد سباقاً إلى رصد نظم الشعراء المنثور ونثرهم المنظوم، كما أنّه لم يكن مبالغاً في ادّعاء سرقات الشّعراء.

وقد حاول إخراج السّرقات من التّهمة إلى ميدان أرحب هو الفن والإبداع، فلا يعيب المعنى إن تعاوره الشعراء كثيرًا، شرط أن يزيد الشاعر زيادة تضيف معنىً جديداً، أو يخرج المعنى في قالب فني جديد، أويُجمل هذا المعنى بعدد أقلّ من الأبيات، فكان مثل ابن قتيبة معاصره، ومثل ابن طباطبا من بعده، وإن لم يحقّق الآخذ شيئاً ممّا سبق فنجد المبرّد يعطي الفضل لمن كان له السبق في المعنى.

لم يتهمّ المبرّد شعراء الجاهليّة بالسّرقة، وعدّ ما بينهم من معان متشابهة مماثلة وليس أخذاً، أمّا ما بين الجاهليين وغيرهم فقد يكون أخذاً أومماثلة. ولا يعدّ ما بين شعراء النقائض من أخذ اللفظ والمعنى سرقة.

وقد ظهر موقف المبرّد من الصراع بين القديم والحديث واضحاً، فأحبّ القديم، ولكنّ هذا لم يطغ على تعاطفه مع المحدَث وإنصافه له في مؤلّفاته، وكان أكثر من غيره إقبالا على المحدث، فهو لم ينح منحى من يتعصّب للقديم، كما أنّه لم يحمل لواء التجديد، بل وقف موقفاً معتدلاً منصفاً، فالأفضلية للشعر الجيّد والانتصار لقضية الفن، فكان موضوعياً في أحكامه النقديّة، متّفقًا مع الجاحظ وابن قتيبة في هذا، ومقدّمة لغيره ممّن جاء بعده.

كان للمبرّد وقفه عند نقد المعنى فطلب أن يكون المعنى صحيحاً، قريبًا من واقع الحياة واللغة والتاريخ والتصوير، إلا أنّه انتصر أحياناً للإبداع، وإن جاء المعنى غير صحيح.

كما أظهر المبرّد عنايته بوجوب التمسك بالأخلاق في الشعر، ولكنّه لم يجعل الدّين مقياساً لجودة الشعر أو رداءته، ولم يجعل لعقيدة الشاعر أو أخلاقه أثرًا في الحكم عليه؛ ولكنّه رأى أنّ المعاني أوسع من أن تضيق بالشّاعر حتى يلتجئ إلى التهاون في تعظيم الله ورسله وآل بيت رسول الله، فينكر هذه المعاني في أشعارهم.

يؤمن المبرّد بأنّ الشاعر غير ملزم باتّحاد الخواطر والآراء في إنتاجه الأدبي، لذا قبل تناقض الشاعر في إنتاجه الشعري، ووافق على جمع الشاعر بين الهجاء والمدح للشّخص نفسه في قصائد مختلفة. وكان بهذا مثل قدامة بن جعفر. ولكنّه عاب تناقض الشاعر في العمل الواحد إن كان هذا التناقض ظاهراً ولا يمكن تبريره.

كما كان يفضّل الشّعر الصادق ولا يجد التكسب بالشّعر مبرّرا لخروج شعراء المدح عن الواقع، فعاب الإفراط والإحالة والغلو والتجاوز في الشعر بشكل عام، وعدّه من كذب الشّعراء، فاستجاد الشعر السليم من السرف.

وفضّل وضوح الشعرعلى الغموض، وكان الشّعر الواضح في نظره ما يحمل المعنى المقصود، ويخلو من التزيّد والتعقيد الذي عابه، فكان بهذا مثل غيره من النقاد، وإن لم يذكر مصطلح التعقيد بوضوح.

ومن جانب آخر ظهرت عنايته بالمعنى اللطيف، وهو ما كان في الإيماء والتعريض والاختصار والكناية– التي انفرد بذكر طبيعتها وأقسامها وأغراضها، وكأنه كان مقدمة لمن جاء بعده– واشترط فيه أن يكون قليلاً لا يتعب القارئ في الوصول إلى قصد الشّاعر.

كما اهتم بالأغراض الشعرية ضمن عنايته بالمعنى، فظهرت شروطه لقصيدة المدح، محدّدًا أصنافا للمديح وهو ما فصّل فيه قدامة، وقد اتفق المبرد معه في أنّ الفضائل النفسية أساس المدح، مع عدم ذكر المبرّد لها، غير أنّه لم ينكر أن يمدح الشاعر الفضائل الأخرى العرضية والجسمية، كما وافق المبرّد على اجتماع المدح والهجاء في القصيدة نفسها لشخصين مختلفين.

ووضع المبرّد شروطاً لقصيدة الرّثاء وذكر نوعًا جديداً من الرّثاء، وهو رثاء المدن، ولم ينكر بدء قصيدة الرثاء بالغزل، فكان مختلفاً عن غيره من النّقاد في هذا.

وأشار إلى الصورة الشّعرية، فكان مثل غيره ممن وجدوا الكلام المشتمل على الخيال أروع تاثيراً وأشد، فنظر إلى التشبيه بوصفه غرضاً من أغراض الشّعر، صنّفه على ضروب وفصّل فيه، وذكر الأوصاف التي جدّد فيها المحدثون.

ولم يذكر المبرّد من الغزل إلاّ ما كان مقبولاً لا حرج فيه، وانتقد خروج الشعراء عمّا هو مألوف من وصف المرأة، ووضع شروطاً للشاعر العاشق، كما عدّ النسيب والتشبيب والغزل بالمرأة بمعنى واحد، ولم يفرّق بين هذه المصطلحات مثل غيره من النقاد.

وقد انتقد المبرّد الأدب من حيث الشكل، فدرس المفردات ووضع مقاييس لها، ولكنّه لم يعتن دائماً بشروط خاصّة للمفردة الفصيحة كما فعل غيره من النقاد، كما ظهرت عنايته بتنميق الشاعر للأسلوب، فاهتمّ بوجوه تحسين الكلام ضمن عنايته ببعض البديع.

وأولى عنايته بالإيجاز والإطناب بعدّه نوعًا من الأساليب التي شغلت النقاد في مختلف العصور، فالإطناب مقبول حين لا ينفع الاختصار، ولا يؤدي هدف الكلام غير الإطناب فيه.

المصادر والمراجع

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، (ت370)، **الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري**، ط:1، (تح / السيد أحمد صقر)، دار المعارف، مصر، 1961م.

- إبراهيم، طه أحمد، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، ط1، دار الحكمة، بيروت، د.ت.

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت637)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، د.ط، (تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي،(ت630هـ)، **الكامل في التاريخ** ، د.ط.، دار صادر ودار بيروت، 1979م.

- الأصفهاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين الأموي القرشي،(ت 365هـ)، **الأغاني** ، ط3، المؤسسة المصرية العامة، مصر، 1927م.

- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، (ت216)، **الأصمعيات**، ط3، (تح/ أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، مصر، د.ت.

- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل، (ت 7هـ) **الديوان** ، ط7، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت،1983م.

- امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، (ت 80 ق هـ)، **الديوان** ، د.ط.، (تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر،1958م.

- الأنصاري، أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت ابن بشير بن أبي زيد، (ت 215هـ)، **النوادر في اللغة**، ط1، (تح/ محمد عبد القادر أحمد)، جامعة الفاتح، استانبول، د.ت.

- البحتري، **أبو** عبادة الوليد بن عبيد التنوخي ، (ت284)،**الديوان** ، ط1، (تح/ عمر فاروق الطبّاع)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 2000م.

- بدوي، أحمد أحمد، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1996م.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر،(ت1093هـ) ، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1929م.

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت487هـ)، **سمط اللآلي**، ط1، (تح/ عبد العزيز الميمني) ، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر،القاهرة، 1936م.

- تيمور باشا، أحمد بن إسماعيل بن محمد الكردي الموصلي، (ت 1348هـ)، **نوادر المخطوطات العربيّة وأماكن تواجدها** ، ط1، (تح/ صلاح الدين المنجد)، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 1980م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت:429هـ)، **لطائف المعارف**، د.ط، (تح/ إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصّيرفي) ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م.

- ثويني، حميد آدم، **منهج النقد الأدبي عند العرب**، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255)،

أ -الحيوان، ط1،(تح/ عبد السلام هارون)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938م.

ب- **البيان والتبيين**، ط4، (تح/ عبد السلام هارون)، دار الفكر، بيروت، 1948م.

- الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، ط:1، (تح / هـ. ريتر)، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، 1954.

- الجمحي، ابن سلاّم، (ت 231)، **طبقات فحول الشعراء** ، ط1، (تح/ محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة ، 1974م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان،(ت392هـ)،

أ- **سر صناعة الإعراب**، ط1، (تح/ الدكتور حسن هنداوي) ، دار القلم، دمشق، 1985م.

ب- **الخصائص**، ط2، (تح/ محمد علي النّجار) دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952-1956م.

ج -**المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** ، ط2، (تح/ علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النّجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969.

- الحاج حسن، حسين، **النقد الأدبي في آثار أعلامه** ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

- الحاجري، طه محمد، **الجاحظ حياته وآثاره**، ط2، دار المعارف، مصر،1969م.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسنطِيني، (ت1067)، **كشف الظنون عن أسامي** الكتب والفنون، ط4، دار الفكر، بيروت، 1982م.

- الحاوي، إيليا، **شرح ديوان أبي تمام**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1981م.

- الحديثي، خديجة، **المبرّد سيرته ومؤلّفاته**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، 1990م.

- الحسن البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج، (ت: 656)، **الحماسة البصرية**، ط3، (تح/ مختار الدين أحمد)،عالم الكتب، بيروت،1983م.

- حسن الشيخ، عبد الواحد، **قضايا النقد الأدبي والبلاغة عند اللغويين في القرن الثالث الهجري**، اللجنة المصريةالعامة للكتاب، مصر،1980م.

- حسين، صبحي ناصر، أبو بكر الصّولي ناقداً، ط1، جامعة بغداد، دار الجاحظ للطّباعة والنّشر، بغداد، 1975م.

- حسين، عبد القادر، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1975م.

- الحصري، القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن علي، (ت:413 أو 453) ،

أ –**زهر الآداب وثمر الألباب**، ط3، (تح /محمد محيي الدين عبد الحميد) ، مطبعة السعادة، مصر، 1953م.

ب– **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، ط1، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ت.

- الحطيئة، جرول بن أوس بن مالك العبسي (ت:45هـ)، **الديوان**، ط1، (شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تح/ نعمان أمين طه)، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1958م.

- الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)،

أ -**معجم البلدان**، ط1، (تح/فريد عبد العزيز الجُندي)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990م.

ب -معجم الأدباء، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، ط1، (تح/ عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1999م.

- الحميري، نشوان بن سعيد،(ت : 573هـ)، **الحور العين**، ط1، (تح/ كمال مصطفى)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1948م.

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، (ت 414هـ)، **الامتاع والمؤانسة**، ط1، (تح/ أحمد أمين، وأحمد الزين)، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، (ت 463هـ)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، والمكتبة العربية، بغداد، ومطبعة السعادة، مصر،1931م.

- الخطيب، أبو الحسن عبد الله، **المبرّد ودراسة في كتابه الكامل**، ط1، الهيئة المصريّة العامّة، الاسكندريّة، 1979م.

- الخطيب القزويني، جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن، (ت 739هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط6، (تح/ محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت،1999م.

- ابن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو (ت نحو 2 ق هـ) **الديوان**، (تح/ناصر الدين الأسد)، ط1، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1962م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808) ، **مقدّمة ابن خلدون**(مقدمة العبر)، ط6، دار القلم، بيروت لبنان، 1986م.

- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .(ت: 681 هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، ط2، (تح/إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1978م.

- الخولي، أمين، **منهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب** ، ط1، دار المعرفة،1961م.

- **ديوان الهذليين**، ط1، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1995 م.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، (ت: 784هـ)،

  أ –**سير أعلام النّبلاء**، ط1، (تح/ الشّيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين) ، مؤسسة الرسالة، بيروت،1981م

  ب– **العبر في خبر من غبر**، ط2، (تح/ صلاح الدين منجد)، الكويت، 1984م.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، (ت:456هـ)، **العمدة في محاسن الشعر** وآدابه، ط1، (تح محمد عبد القادر أحمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، (ت: 283أو284)، **الديوان**، ط1، (تح/ حسين نصار) ، دار الكتب، مصر، 1974م.

- الزبيدي، الأندلسي، أبو بكر، محمد بن الحسن، (ت: 379)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط2، (تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، مصر،1973م.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني،(ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس ، د.ط.، (تح/ عبد الكريم الغرباوي)، حكومة الكويت، الكويت،1967م.

- الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1310هـ)، **الأعلام**، ط5، دار العلم للملايين، بيروت،1980م،

- سلام، محمد زغلول، **تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري** ، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

- سلوم، داود، **النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف**، ط2، مكتبة الأندلس، بغداد، 1970م.

- ابن سنان، الخفاجي الحلبي أبو محمد عبد الله سعيد، (ت: 466)، سر الفصاحة، ط1، (تح/ داود غطاشة الشوابكة)، دار الفكر، الأردن، 2006م.

- السّيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (ت : 368) أخبار النّحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض ،ط1، (تح/ فرينس كرنكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1936م.

- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (ت911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ط3، (تح/ أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي)، دار عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1958م.

- الشايب، أحمد، **أصول النّقد الأدبي**، ط8 مزيدة منقحة، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1973م.

- الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين، (ت: 436)، **غررالفوائد ودرر القلائد، أمالي المرتضى**، ط1، (تح/ محمد أبي الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، 1954م.
- الصّاوي، محمد إسماعيل عبد الله، **شرح ديوان جرير**، ط1، مطبعة الصّاوي، مصر، د.ت.

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764) ،**الوافي بالوفيات**، ط3 ، (تح/ محمد بن محمود إبراهيم بن سليمان)، دار صادر، بيروت، 1991م.

- صمّود، حمادي، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس** ، منشورات الجامعة التونسيّة، تونس، 1981م.

- الصولي، أبو بكر محمّد بن يحيى،(ت335)، **أخبار أبي تمام**، ط3، (تح / محمد عبده عزّام ، وخليل محمود عساكر، ونظير الإسلام الهندي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت335)،

أ- **كتاب الأوراق قسم أخبار الشّعراء**، ط1، (عني بنشره ج. هيورث . دن)، مطبعة الصاوي، مصر،1934م.

ب- **قسم أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق** ، ط1، مطبعة الصّاوي، مصر،1936م.

ج- **أخبار البحتري**، ط2، (تح/ صالح الأشتر)، دار الفكر، دمشق، 1964م.

- ضيف، أحمد، **مقدّمة لدراسة بلاغة العرب**، ط1، مطبعة السفور، القاهرة، 1921.

- ابن طباطبا، العلوي أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت322)، **عيار الشّعر**، ط:1، (تح/ عبد العزيز بن ناصر المانع) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.

- طبانة، بدوي،

أ –**السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبيّة وتقليدها**، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956م.

ب– **دراسات في النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث**، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1965م.

ج– **البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى**، ط4 مزيدة منقحة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1968م.

- طرفة، عمرو بن العبد بن سفيان البكري،(ت 70ق هـ)، **الديوان**، ط1، (شرح الأعلم الشنتمري، تح/ درية الخطيب ولطفي الصقال)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1975م.

- طه، هند حسين، **النظرية النقدية عند العرب**، ط1، دار الرشيد ، العراق، 1981م.

- العافي، سامي مكي، **معجم ألقاب الشعراء**، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1971م.

- عباس، إحسان، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط:1 الجديدة المزيدة المنقحة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1993م.

- عبد الخالق، غسان إسماعيل، **الأخلاق في النقد العربي من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت 328هـ)، **العقد الفريد**، ط2، (تح/ محمد سعيد العريان)، دار العودة، بيروت، 1953م.

- أبو العتاهية، اسماعيل بن القاسم،(ت211هـ)، **الديوان**، دار صادر، بيروت،1980م.

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، (ت382)،

أ- **شرح ما يقع فيه التّصحيف والتّحريف**، ط1، (تح / عبد العزيز أحمد)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1963م.

ب- **المصون في الأدب**، ط2، (تح/عبد السلام هارون)، مطبعة الكويت، الكويت، 1984م.

- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت395)،

أ - **الصناعتين**، ط:2، (تح/ مفيد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.

ب -**ديوان المعاني**، ط1، مكتبة القدسي، القاهرة، 1933م.

- العقاد، عباس محمود، **ابن الرومي حياته من شعره**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1984م.

- علقمة بن عبدة الفحل، (ت:20ق هـ)، **الديوان**، ط1، (تح/ لطفي الصقال ودريّة الخطيب)، دار الكتاب العربي، حلب، 1969م.

- العماري، علي محمد حسن، **قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة إلى عهد السكاكي**، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م.

- عيّاد، محمد شكري، **المذاهب الأدبية عند العرب والغربيين** ، ط:1 سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

- غريّب، روز، **النقد الجمالي وأثره في النقد العربي**، ط:1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م.

- الفيروز آبادي، أبو طاهر، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت: 817)، **القاموس المحيط**، ، ط:6، (تح/ محمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م.

- القاضي الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، (ت 392هـ)، **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، ط1، (تح/ أحمد عارف الزين) ، مطبعة العرفان، صيدا، 1912م.

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت276)، **الشعر والشعراء / طبقات الشعراء**، ط1، (تح/ مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000 .

- قدامة بن جعفر،(ت337) **نقد الشّعر**، ط3، (تح/ كمال مصطفى)، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1978م.

- القعود، عبد الرحمن، **الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم**، ط1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1990م.

- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف ، (ت646)، **إنباه الرُّواة على أنباه النّحاة**، ط1، (تح / محمد أبو الفضل إبراهيم) ، دار الكتب المصريّة، مصر، 1955م.

- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر،(ت 751)، **مدارج السالكين بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾**، طبعة جديدة منقحة،(تح/محمد بيومي)، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، 1997م.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت: 744هـ)، **البداية والنّهاية**، ط1، (تح أحمد أبو ملحم وآخرين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.

- لانسون ومايبه ، **منهج البحث في الأدب واللّغة**، د.ط، (نقله إلى العربيّة/ محمد مندور)، دار العلم للملايين، بيروت، 1946م

- ليلى الأخيلية، ليلى بنت عبد الله بن شداد بن كعب، (ت85هـ)، **الديوان**، (جمعه خليل إبراهيم العطية وجليل العطية)، دار الجمهورية، بغداد، 1967م.

- المبرّد، محمد بن يزيد، (ت285)،

أ –**ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد** ، (تح/ عبد العزيز الميمني) ، المطبعة السلفيّة، القاهرة، 1931م.

ب– **الفاضل**، ط1، (تح/ عبد العزيز الميمني)، دار الكتب المصريّة، 1956م.

ج– **المذكّر والمؤنّث**، ط1، (تح/ رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي)، مطبعة دار الكتب 1970م.

د– **القوافي وما اشتقت ألقابها** ، ط1، (تح / رمضان عبد التواب)، مطبعة عين شمس، القاهرة، 1972م.

هـ– **البلاغة**، ط2، (تح/ رمضان عبد التواب)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1985م.

و –**ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد** ، ط1، (تح/ محمد رضوان الدّاية)، دار البشائر، دمشق،1991.

ز- **الكامل**، ط3، (تح/ محمد أحمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

ح- **التعازي والمراثي**، ط2، (تح / محمّد الدّيباجي)، دار صادر، بيروت، 1992م.

ط- **المقتضب**، ط1، (تح/ محمد عبد الخالق عُضيمة)، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة، 1969م.

- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، (ت384)،

أ- **الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء**، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، 1924م.

ب- **معجم الشّعراء** ، د.ط، (تح/ عبد الستارأحمد فراج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م.

ج- **نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشّعراء**، (اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري) ، ط1 ، (تح/ رودلف زيلهايم) ، فرانتس شتاينر، فسبادن، 1964م.

د- **أشعار النساء**، (تح/ سامي مكي العاني وهلال ناجي)، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1976م.

- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن،(ت: 421هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، ط:1، (تح/ أحمد أمين وعبد السلام هارون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.

- المرصفي، سيد بن علي،(1931)، **رغبة الآمل من كتاب الكامل** ، د.ط، مكتبة الأسد، طهران، 1970م.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ **مروج الذّهب ومعادن الجوهر**، ط5، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

- مصطفى،إبراهيم وآخرون ، **المعجم الوسيط**، ط:2، المكتبة الإسلاميّة، استانبول، تركيا،1972م.

- مطلوب، أحمد،

أ- **معجم النّقد العربي القديم**، ط:1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

ب- **المصطلحات البلاغية** وتطورها، ط:1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، العراق، 1983.

- ابن المعتز، عبد الله (ت296)،

أ - **الديوان**، ط1، (تصدير شفيق جبري)، المكتبة العربية، دمشق،1951م.

ت -**كتاب البديع**، ط3، دار المسيرة، بيروت، 1982م.

ج- **طبقات الشعراء المحدثين**، ط:1، (تح/ عمر فاروق الطبّاع)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998م.

- مندور، محمد، **النّقد المنهجي عند العرب** ، ط1، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1948.

- منصور، البسيوني أحمد، **الخصومة بين القديم والجديد في النّقد العربي القديم** ، ط:1، مكتبة الفلاح، الكويت،1981 .

- ابن منظور، الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم،

(ت711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م.

- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي،(ت:584)، **البديع في البديع في نقد الشعر** ، ط:1، (تح/عبد آ.علي مهنّا)، دار الكتب العلمية، بيروت ،1987م.

- مَوافي، عثمان، **الخصومة بين القدماء والمحدثين في النّقد العربي القديم تاريخها وقضاياها**، ط2، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة، 1984م.

- النابغة الذبياني، زياد بن عمرو بن معاوية، (ت18 ق هـ)، **الديوان**، د.ط.، (تح/ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الجزائر، 1976م.

- ابن النديم ، أبو الفرج بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق (ت380)، **الفهرست من أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم** ، ط3، (تح/ رضا تجدّد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني)، مكتبة الأسدي، طهران، 1971م.

- أبو نواس، الحسن بن هانئ، **ديوان أبي نواس**،(تح/عمر فاروق الطباع)، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1998م.

- هدّارة، محمد مصطفى، **مشكلة السّرقات في النّقد العربي دراسة تحليليّة مقارنة**، ط:3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981م.

- ابن وكيع، أبو محمد الحسن بن علي ، (ت393)، المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، ط1، (تح/ عمر خليفة بن ادريس)، جامعة قار يونس، بنغازي، 1994م.

- اليافي، **عبد الكريم، دراسات فنيّة في الأدب العربي**، ط2، دار الحياة، 1972م.

البحوث المنشورة:

- العطوي، مسعد بن عيد، الغموض في الشعر العربي، **مجلة جامعة الإمام محمد**، ع2، 1989، السعودية.
- العماري، **علي محمد حسن**، (2007)، **مذهب المبرّد في النّقد الأدبي، مجلة** رسالة الإسلام، مطبوعات المجمع العالمي للتّقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ع 25، السنة السابعة، عبر الشبكة الالكترونية:

http://www.taghrib.org/arabic/nashat/esdarat/kotob/arabic/books/resalatalislam/07/25/10.htm

رسائل جامعيّة:

- عمار، ياسر محمد عطا، (1994)، **المبرّد بلاغيا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان.
- الحياري، عبد الكريم، (1977)، **عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة** ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان.

Al-MUBARRID AS ALITERAY CRITIC

BY

RABAB MUHAMMAD ABDUL RAHMAN LAFI

SUPERVISER:
DR. ABDUL KAREEM AL_ HIYARI

ABSTRACT

This study tackles the role of Al-Mubarrid in the literary criticism of the third century A.H. It clarifies his approach to criticism, the critical expressions he used and the critical issues he dealt with.

This study covered the works of Al-Mubarrid, published and unpublished and the relations cited in other authors' works a bout Al-Mubarrid's critical view and ideas. Al-Mubarrid's priorities of poetic choices are discussed.

His critical stand is very much explicit in the diction and meaning issue, spontaneous and non spontaneous poetry, ancient and modern poetry , poetic plagiarism.

Al-Mubarrid had his own opinions in the criticism of style and the criticism of meaning.